www.kotobarabia.com

أصوات الصمت

أصوات الصمت

أصوات الصمت

www.kotobarabia.com

يوسف القعيد

أصوات الصمت

أحاديث أدبية

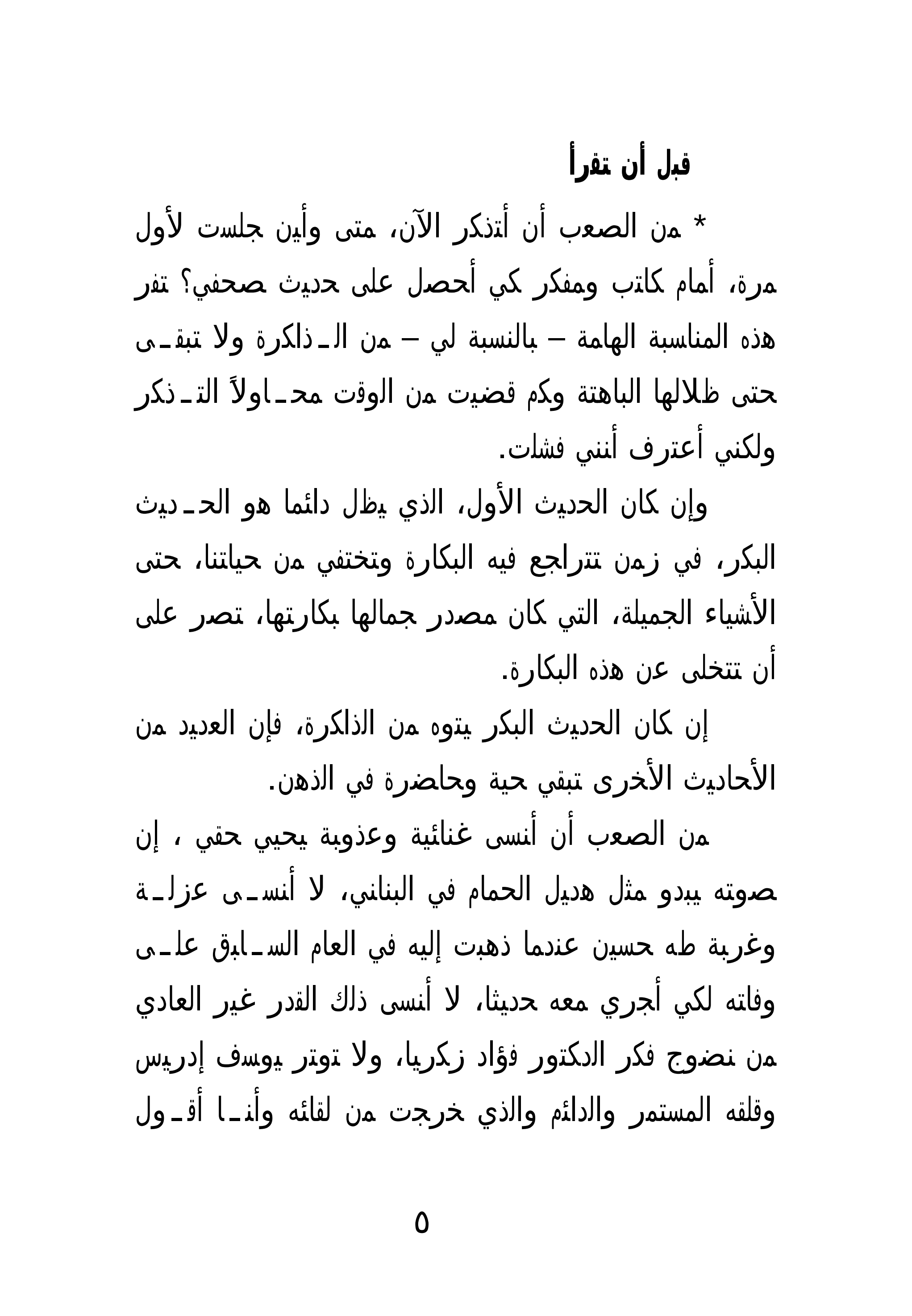
يوسف القعيد

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

جميع حقوق النشر و التوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية. يحظر نقل أو إعادة نسخ أو إعادة بيع اى جزء من هذا المصنف و بثه الكترونيا (عبر الانترنت أو للمكتبات الالكترونية أو الأقراص المدمجة أو اى وسيلة أخرى) دون الحصول على إذن كتابي من كتب عربية. حقوق الطبع الورقى محفوظة للمؤلف أو ناشره طبقا للتعاقدات السارية.

المحتويات

- قبل أن تقرأ ٥
- يحي حقى.................................. ١١
- نجيب محفوظ ٢٦
- إحسان عبد القدوس........................... ٣٧
- يوسف إدريس يحاكم كل الناس ٧٤
- الدكتور فؤاد زكريا........................... ٨٧
- لفتحي غانم ١١٤
- الدكتور محمد مصطفى ١٤٢
- نزار قباني ١٥٨
- عبد الوهاب البياتي يتحدث ١٧١
- للدكتور عبد الرحمن منيف ١٨٥
- الرواية والقصة والنقد ١٩٦
- مناضلة فلسطينية............................. ٢١٢
- الدكتور طه حسين يقول ٢٢٢
- جبر إبراهيم جبرا ٢٣٠



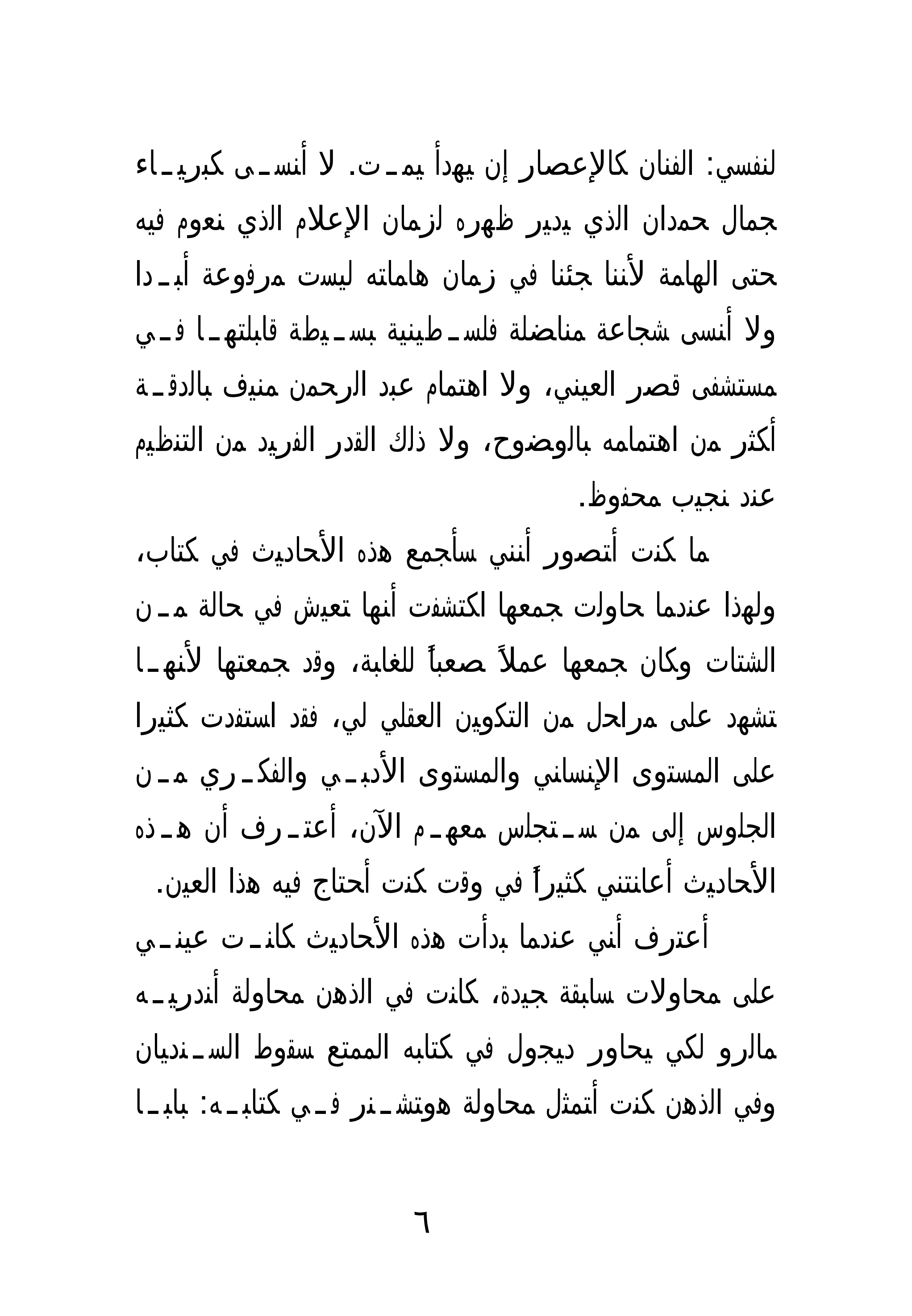
قبل أن تقرأ

* من الصعب أن أتذكر الآن، متى وأين جلست لأول مرة، أمام كاتب ومفكر كي أحصل على حديث صحفي؟ تفر هذه المناسبة الهامة – بالنسبة لي – من الـذاكرة ولا تبقـى حتى ظلالها الباهتة وكم قضيت من الوقت محـاولاً التـذكر ولكني أعترف أنني فشلت.

وإن كان الحديث الأول، الذي يظل دائما هو الحـديث البكر، في زمن تتراجع فيه البكارة وتختفي من حياتنا، حتى الأشياء الجميلة، التي كان مصدر جمالها بكارتها، تصر على أن تتخلى عن هذه البكارة.

إن كان الحديث البكر يتوه من الذاكرة، فإن العديد من الأحاديث الأخرى تبقي حية وحاضرة في الذهن.

من الصعب أن أنسى غنائية وعذوبة يحيي حقي ، إن صوته يبدو مثل هديل الحمام في البناني، لا أنسـى عزلـة وغربة طه حسين عندما ذهبت إليه في العام السـابق علـى وفاته لكي أجري معه حديثا، لا أنسى ذلك القدر غير العادي من نضوج فكر الدكتور فؤاد زكريا، ولا توتر يوسف إدريس وقلقه المستمر والدائم والذي خرجت من لقائه وأنـا أقـول



لنفسي: الفنان كالإعصار إن يهدأ يمـت. لا أنسـى كبريـاء جمال حمدان الذي يدير ظهره لزمان الإعلام الذي نعوم فيه حتى الهامة لأننا جئنا في زمان هاماته ليست مرفوعة أبـدا ولا أنسى شجاعة مناضلة فلسـطينية بسـيطة قابلتهـا فـي مستشفى قصر العيني، ولا اهتمام عبد الرحمن منيف بالدقـة أكثر من اهتمامه بالوضوح، ولا ذلك القدر الفريد من التنظيم عند نجيب محفوظ.

ما كنت أتصور أنني سأجمع هذه الأحاديث في كتاب، ولهذا عندما حاولت جمعها اكتشفت أنها تعيش في حالة مـن الشتات وكان جمعها عملاً صعباً للغاية، وقد جمعتها لأنهـا تشهد على مراحل من التكوين العقلي لي، فقد استفدت كثيرا على المستوى الإنساني والمستوى الأدبـي والفكـري مـن الجلوس إلى من سـتجلس معهـم الآن، أعتـرف أن هـذه الأحاديث أعانتني كثيراً في وقت كنت أحتاج فيه هذا العين.

أعترف أني عندما بدأت هذه الأحاديث كانـت عينـي على محاولات سابقة جيدة، كانت في الذهن محاولة أندريـه مالرو لكي يحاور ديجول في كتابه الممتع سقوط السـنديان وفي الذهن كنت أتمثل محاولة هوتشـنر فـي كتابـه: بابـا

هيمنجواي وبعد ذلك التقيت بمحاولة معاصرة لنا: هي عزلة ماركيز حيث نجد كتاباً بأكمله عبارة عن حوار مع جارثيا ماركيز.

ما أبعد المسافة بين ما نحلم به وبين ما نستطيع القيام به في النهاية، فالعيب الذي يتسلل إلى هذه الأحاديث أنها تبقى مجرد أحاديث وليست حوارات، إنها منولوجات والمنولوج لغوياً يعني التكلم منفرداً، ولكن الحوار نوع من الجدل والنقاش بين عقليتين يمثل كل منهما وجهة نظر تختلف عن الأخرى تماما، الذي حدث أنها أحاديث، أسئلة تعد مجرد وقفات ولكن على الناحية الأخرى، فإن المتكلم يبقى دائماً هو المتكلم الوحيد.

أعترف أنني اكتشفت عند العودة للتقليب في الدفاتر القديمة، إن دوري كان نقل الجو والوصف ومحاولة إقامة جسر من الألفة بين القارئ والكاتب الذي أجرى معه الحديث، ولكني لم أجد قضايا خلافية أساسية في وجهات النظر كانت تصلح لأن توجد مناسبة محددة لإجراء هذا الحديث، وأعترف أيضاً أنني بذلك أكون قد شاركت، بوعي أو بدون وعي، في ابتذال كتاب كبار، وابتذال معنى وجود

الحوار مع مفكر وكاتب، ولكن مع هذا الاعتراف لا بد مـن القول إننا نميل إلى هذه المنولوجات لأننا نعيش في جزء من العالم يكره فكرة الحوار ويخشاها وعندما تحـدث يجرمهـا ويعلن عليها الحرب في بعض الأحيان، ونحن أيضاً نعـيش في جزء من العالم يكره القضايا المثارة والجـدل الفكـري ويستريح إلى الأحاديث ذات الطابع الذي يعتمد على السؤال عن الصحة والحال، وحال الجو وإن كنت قد اكتشفت أيضـاً أنني لم أفعل هذا.

قمت بهذه الأحاديث – وأنا أدرك أننا – نحن الجيـل الذي سمع أول ما سمع دوى الهزيمة فـي ١٩٤٨، وتفـتح وعيه أول ما تفتح على دوى هزيمة يونيو ١٩٦٧. أدركـت أننا جئنا إلى العالم في ذيل عصر عظيم، جئنا فـي السـاعة الخامسة والعشرين من عمر جيل كبيـر، والمحـزن لحـد المأساة، إنه في الوقت الذي ركبنا فيه سنين قطار عمرنا لـم نتمكن من أن نكون مقدمة لعصر جديد، هذا العصر الجديد لم تكن لديه شجاعة الخروج إلى الوجود. ونحن كنـا مسـلوبي الإرادة ولم نمد أيدينا لنخرجه من مخاض الميلاد إلى عالمنا، يبدو لي أن الأجيال التي تقبل فكرة الركـوب فـي أواخـر

القطارات ليس من حقها الحلم بأن تكون في المقدمة، وهكـذا أسلمنا أنفسنا إلى حالة من الإنسكار العام والذي أتوقع له أن يستمر طويلا ربما استمر العمر كله، من يدري!

جمعت هذه الحوارات وأعطيتهـا عنوانـا «أصـوات الصمت» تعبيراً عن تساؤل أطرحه على نفسي كل صـباح ولا أجد أي إجابة له: ما جدوى ما أقوم به؟ في زمن تحاصر الكلمة، المكتوبة من الأمام ملايين الأميـين، ومـن الخلـف عصر الإعلام، عصر الفيديو والتليفزيون الذي احتل حتـى غرف النوم آخر معاقل الإنسان، في زمن تهاوت فيـه كـل المعاقل، ما جدوى كل هذا العالم المصنوع من الكلمات فـي زمن لم يعد فيه للكلمة دور؟ أما توجد هناك أي نهاية لهـذا العوم في بحار الكلمات في الزمن الذي أصبحت فيـه هـذه الكلمة تعني العزلة!

أعاني من أوراق خاص بي، هم ليست له حدود علـى مصير الكلمة المكتوبة، أدرك في كل وقت أنه لا جدوى من من كل هذا لدى يقين أن القانون الذي يحكم هذا الجزء مـن العالم – وهو قانون غير مكتوب – يقول: ليكتب من يريـد الكتابة ما شاء وليقل من يحترف القول كل ما لديه، ولكن من

يملك قدرة الفعل سيفعل أيضاً ما يريد لسبب بسيط أنـه لـن يقرأ ولن يسمع، ولهذا أقول من جديد إنها أصوات الصمت.

أدرك أنه لا جدوى، ولا أمل ومع هذا أتحرك كل يوم بحكم العادة اليومية، واكتشف أن تجدد الحياة اليومية يعطـي الناس قدرة على الاستمرار هي بجد ذاتها بطولة من نوع ما.

أجريت هذه الأحاديث لننـي دخلـت ميـدان العمـل الصحفي من باب الأدب، وكنت أتصور أنه أنسب الأعمال، ولكني عندما قرأت كلمة هيمنجواي الخالدة التي يقول فيها : «إن الصحافة تناسب الروائي تماما بشروط أن يعرف الوقت المناسب لكي يتركها فيه»...

وقد عرف هيمنجواي ذلك الوقت وهجرها فيه..

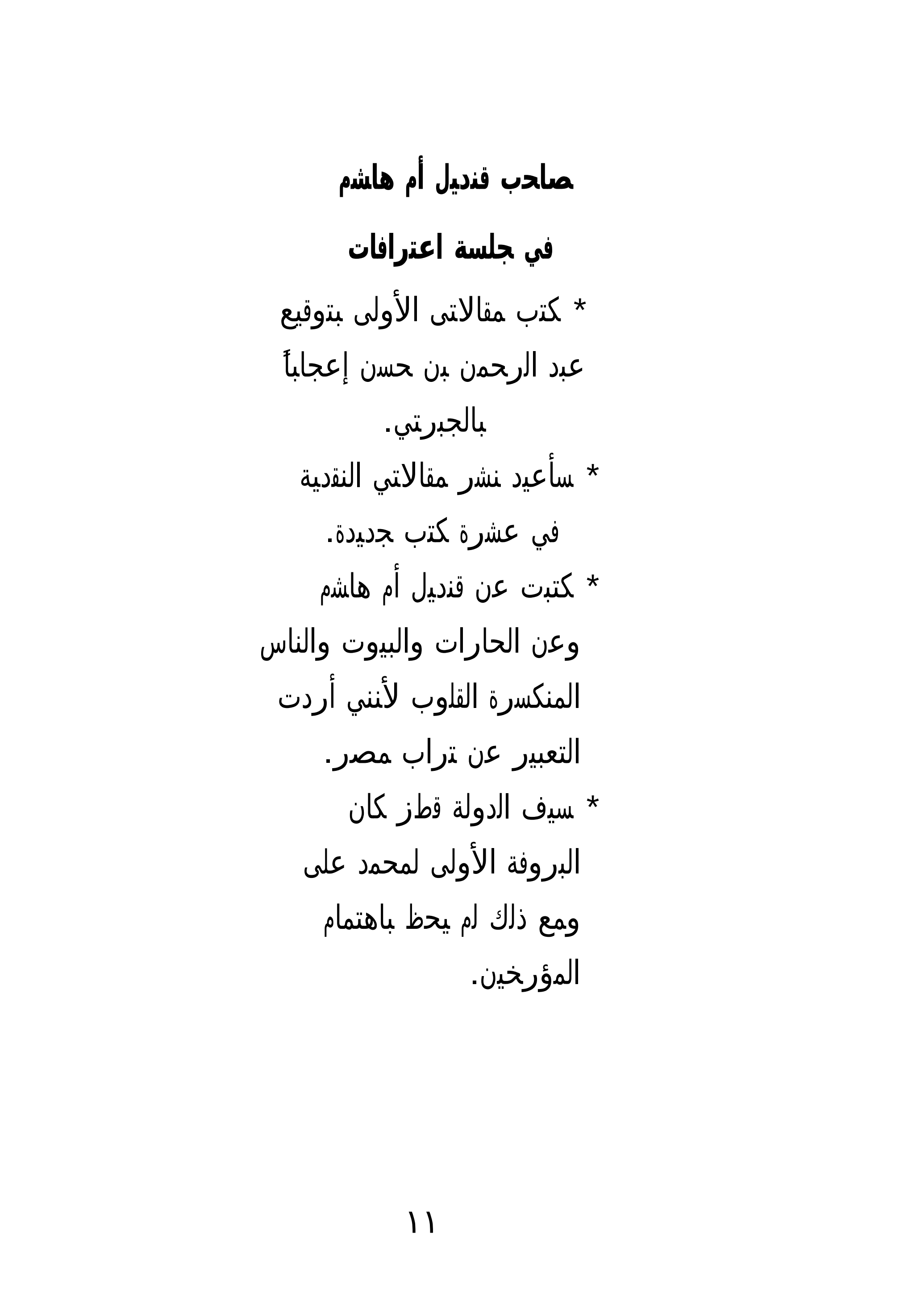
فمتى نعرف نحن؟

ومتى أعرف أنا؟

إن زمان الرحيل والتغيير يدق الأبواب.

يوسف القعيد

القاهرة – الضهرية – بحيرة ١٩٨٣



صاحب قنديل أم هاشم

في جلسة اعترافات

* كتب مقالاتى الأولى بتوقيع
عبد الرحمن بن حسن إعجاباً
بالجبرتي.
* سأعيد نشر مقالاتي النقدية
في عشرة كتب جديدة.
* كتبت عن قنديل أم هاشم
وعن الحارات والبيوت والناس
المنكسرة القلوب لأنني أردت
التعبير عن تراب مصر.
* سيف الدولة قطز كان
البروفة الأولى لمحمد على
ومع ذلك لم يحظ باهتمام
المؤرخين.

وعندما يقول يحيى حقي إنه عشق تراب مصر، وشعر بالحنين إليها على البعد وهو ينتقل بين دهاليز سفارات مصر في الخارج كدبلوماسي، وإن هذا العشق كان دفعه إلى الكتابة فهو صادق – وتشهد بعض قصصه التى تفوح منها رائحـة تراب مصر وأهلها من القرى والبيـوت والحـواري بهـذا العشق – تشهد به أعمالها القصصية مثل (قنديل أم هاشم) و (دماء وطين) و (صح النوم) و (البوسطجي) وتشـهد عليـه أكثر تلك الذكريات والمشاعر التي ضمتها في دفء (خليهـا على ا) لقد كان يحيى حقي عندما أدار أول مصلحة للفنون بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، أول باعث للتراث المصري الشعبي في أوبريت (ليل يا عين) ، وكان هذا امتداداً لمزاجة ورؤيته الخاصة وعشقه الذي لا ينتهي للناس فـي البيـوت والحواري والقرى والأحياء الشعبية أكثر من هذا أن شـباب الرجل الأديب لم يتوقف، فهو لم يقف عند حد إفساحه المجال أمام عشرات ممن لمعت أسماؤهم في الحياة الأدبية والثقافية عندما كان يرأس تحرير مجلة (المجلة) بل يجدد اليوم شبابه وينشر عشرة كتب جديدة تتضمن مقالاته النقدية في الحيـاة والأدب وطوال الخمس عشرة سنة الأخيرة.

كان موعدي الثامنة صباحاً ولهذا وقف على باب شقته في لون الصباح الرمادي في انتظاري، يحيـى حقـي فـي السادسة والسبعين من عمره الآن، ومع هذا كان يقـف فـي نشاط وحيوية وتألق تصل لحد الندرة، رحب بي بصوت عال ودخلت معه، أول ما يطالعك عدد كبير من العصـى التـي يستخدمها في سيره اليومي. عصى من ألوان وأشكال مختلفة تحمل رائحة عصر مضى.

رائد المغامرة الفنية في جيله:

يحيى حقي هو المغامرة الفنية قادها باقتدار نادر مـن الكلمة الأولى التي كتبها وحتى الآن، هو مغامر في رحلـة طويلة في أعماق الكلمة.

ويحيى حقي قد توقف منذ خمسة عشر عاما مضت. لم يكتب حرفاً واحداً، ومن يومها وهو قارئ فقط، يعـيش فـي عالم من الكلمات والحرف المكتوب والكتب، في يده مسبحة بيضاء وعلى مكتبة مسرحية (مأساة الحلاج) لصـلاح عبـد الصبور يقرؤها هذه الأيام.

يحيى حقي (فأر كتب قديمة) وحتى الآن فإن جولتـه التي يحرص على القيام بها هي التجوال في أماكن بيع الكتب

القديمة، ما من مرة يذهب فيها إلى عاصمة مـن عواصـم العالم حتى يبحث عن الكتب القديمة يقول لي: هناك بعـض الكتب التي خلقت لكي تباع في محلات الكتب القديمة حتى لو عرضت هذه الكتب بصورة جديدة.

- **السؤال الأول: أمام يحي حقي: ماذا تفعل الآن؟**

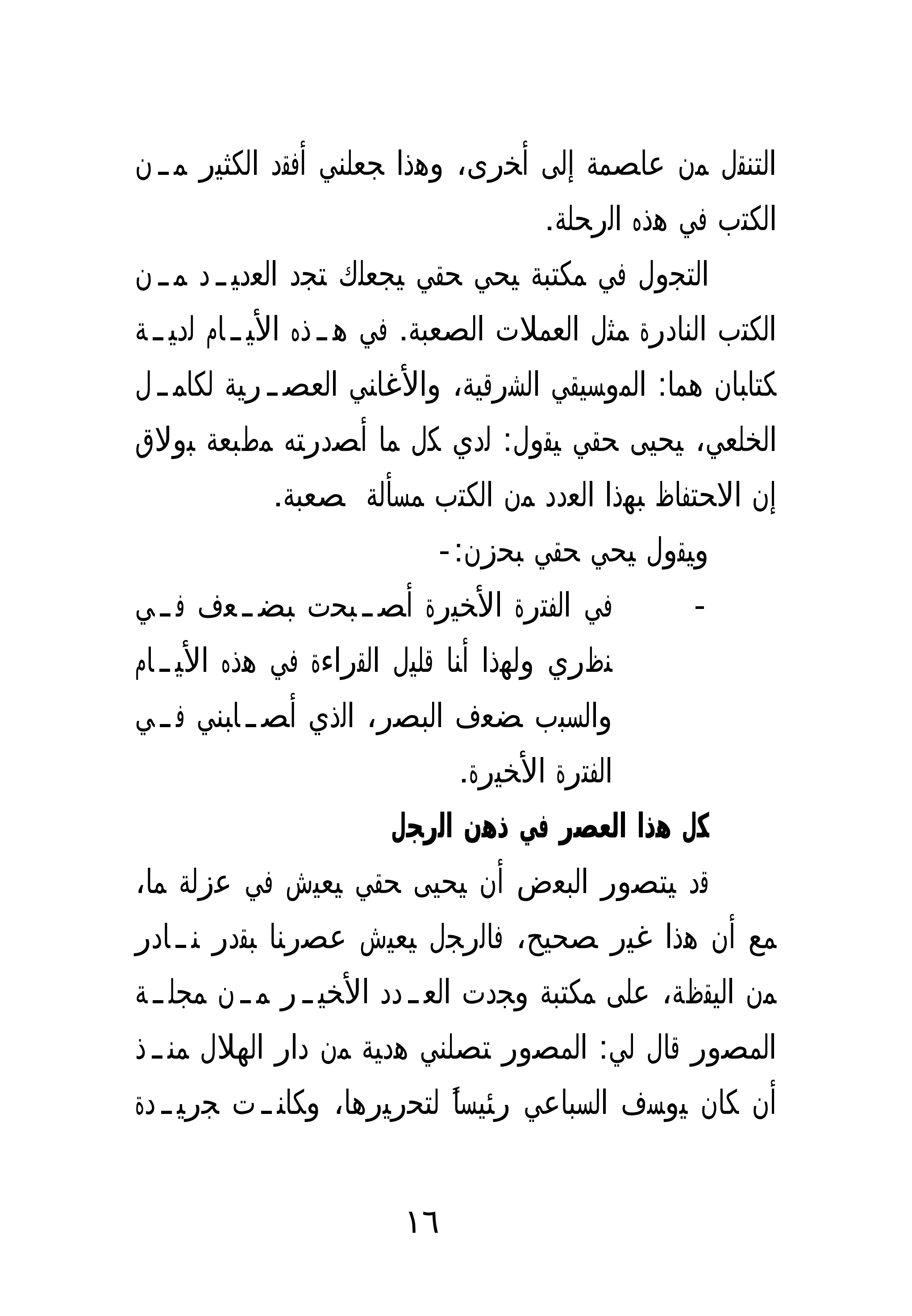
ويقول الرجل ببساطة:

أنا معك بين الكتب وهذه هي معيشتي، تعود إلى ذهني الآن صورة الجاحظ الرجل الذي قدر لـه أن يمـوت بـين الكتب، أحب الحديث طويلاً عن علاقتي بالكتب وفـي هـذه الرواية لا بد وأن أستطرد مـراراً وهـذا الاسـتطراد مـن علامات الشيخوخة وأحب سؤال حينئذ يكون: ماذا كنا نقول؟ أنا لا أعيش بين الكتب فقط ولكن بين الناس أيضا. وبـنفس القدر أعيش الحياة نفسها منذ أيام شاهدت فتاة صعيدية يطفر الدمع من عينيها، كانت تقول: والمتلقى يا حبيبي بين أيـادي ا ، ولم أتأثر في حياتي قدر تأثري بمنظر هذه الفتاة، أيقنت أنها متعلقة بحب شاب لا تستطيع أن تقابله في هذه الدنيا ومع ذلك فهي تثق أنها ستقابله بين يدي ا حيث لا يكون هنـاك فراق أبداً، العامة تقول: اللقا نصيب.

في حياتي الكتب أنواع وأنواع.

يعيش يحي حقي بين الكتب ويقول عن الكتـب فـي حياته: هناك كتب كانت تجـرى ورائـي، وكتـب أجـري وراءها، الكتب التي جريت وراءها هي الكتب التـي كانـت مقررة علينا في المدارس ومن أمتع هذه الكتب (كليلة ودمنة) لابن المقفع و(أدب الدنيا والدين) للمازني كنت أقرأ هذا فـي المدارس الابتدائية ولا يعلم سوى ا ماذا يقرأ الآن طـلاب المدارس الابتدائية؟ لماذا نجرى وراء الكتب الأجنبية؟ مع أنه بين يدينا هذا التراث من الكتب الجيدة، لا يمكن أن يقـال إن أسلوب هذه الكتب معقـد ومقعـر، إن ابـن المقفـع أكثـر معاصرة، في الثانوي كنا نقرأ شكسبير وديكنز وسكوت، كنا نقرأ النص بأكمله ودون أن يلحق به أي اختصار ولا أعرف من جديد ماذا يقرأ شباب هذه الأيام، ولكني في شبابي جريت وراء نوعين من الكتب، الأول هو الروايات البوليسية والثاني الروايات الرومانسية العاطفية.

هذا يجرني إلى الحديث عن مكتبتي، أنت تعرف أنني عملت فترة طويلة في السلك الدبلوماسي، الدبلوماسي كثيـر



التنقل من عاصمة إلى أخرى، وهذا جعلني أفقد الكثير مـن الكتب في هذه الرحلة.

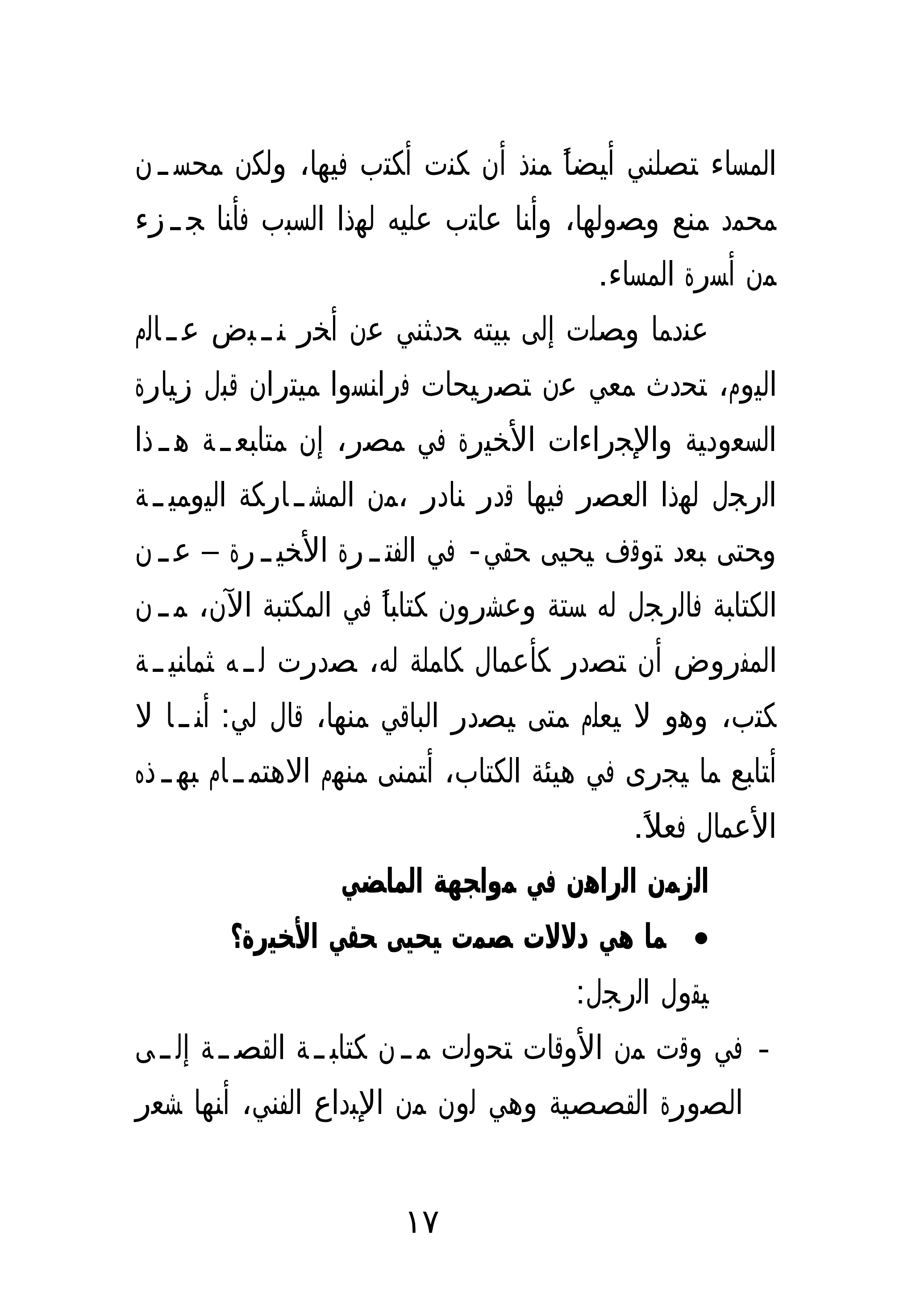
التجول في مكتبة يحي حقي يجعلك تجد العديـد مـن الكتب النادرة مثل العملات الصعبة. في هـذه الأيـام لديـة كتابان هما: الموسيقي الشرقية، والأغاني العصـرية لكامـل الخلعي، يحيى حقي يقول: لدي كل ما أصدرته مطبعة بولاق إن الاحتفاظ بهذا العدد من الكتب مسألة صعبة.

ويقول يحي حقي بحزن:-

- في الفترة الأخيرة أصـبحت بضـعف فـي نظري ولهذا أنا قليل القراءة في هذه الأيـام والسبب ضعف البصر، الذي أصـابني فـي الفترة الأخيرة.

كل هذا العصر في ذهن الرجل

قد يتصور البعض أن يحيى حقي يعيش في عزلة ما، مع أن هذا غير صحيح، فالرجل يعيش عصرنا بقدر نـادر من اليقظة، على مكتبة وجدت العـدد الأخيـر مـن مجلـة المصور قال لي: المصور تصلني هدية من دار الهلال منـذ أن كان يوسف السباعي رئيساً لتحريرها، وكانـت جريـدة



المساء تصلني أيضاً منذ أن كنت أكتب فيها، ولكن محسـن محمد منع وصولها، وأنا عاتب عليه لهذا السبب فأنا جـزء من أسرة المساء.

عندما وصلت إلى بيته حدثني عن أخر نـبض عـالم اليوم، تحدث معي عن تصريحات فرانسوا ميتران قبل زيارة السعودية والإجراءات الأخيرة في مصر، إن متابعـة هـذا الرجل لهذا العصر فيها قدر نادر ،من المشـاركة اليوميـة وحتى بعد توقف يحيى حقي- في الفتـرة الأخيـرة – عـن الكتابة فالرجل له ستة وعشرون كتاباً في المكتبة الآن، مـن المفروض أن تصدر كأعمال كاملة له، صدرت لـه ثمانيـة كتب، وهو لا يعلم متى يصدر الباقي منها، قال لي: أنـا لا أتابع ما يجرى في هيئة الكتاب، أتمنى منهم الاهتمـام بهـذه الأعمال فعلاً.

الزمن الراهن في مواجهة الماضي

- **ما هي دلالات صمت يحيى حقي الأخيرة؟**

يقول الرجل:

- في وقت من الأوقات تحولت مـن كتابـة القصـة إلـى الصورة القصصية وهي لون من الإبداع الفني، أنها شعر

منثور وفي تصوري إن المقالة قالب أدبي يلبي مطلباً من مطالب القراء. وأنا ضد أن يحبس الكاتب نفسه في شكل أدبي، لقد قلت في هذه المقالات الكثير، مثلا طالبت منـذ سنوات طوال بنقل رفات عبد ا النديم من استانبول إلى مصر ولم يتحرك أحد لدراسة هذا الاقتراح إلا مـؤخراً، وطالبت بنقل رفات سليمان الحلبي الموجود داخل زجاجة في متحف الإنسان في باريس ولكن العديـد مـن هـذه الاقتراحات طارت في الهواء.

إن المقال فن عظيم لأبعد حد وأنا أفضل أن يقال عني كاتباً، قبل أن يقال أنني قصاص، والمقال في تصوري أبعـد من مجرد الكتابة الصحفية، إنه موقف إنساني متكامل، فمثلا إن كتبت عن مشكلة آنية في الحياة اليومية ففي المقال أقـدم عناصر هذه القضية الإنسانية وأتتبعها حتى آخرها.

اللغة العربية يجب علينا أن نفكر فيها بالصورة وليس بالكلمة ، والكاتب عليه أن يحمل كاميرا في يده وليس قلمـاً. أرفض عرض الكلمات بجوار بعضها فكرنا بهذه الصـورة فالمطلوب هو العثور على بداية الكلام فقـط، أمـا البـاقي فسيعطيك نفسه دون مشقة، ستسلمك الكلمات نفسها، أطلـب

من الكاتب أن يفكر في صمت وأن يكتب فـي صـمت وأن ينسى الجرس والصوت للكلمة العربية ولكن الكاتـب يحـب إيقاع الكلمة الصوتي وفي هذه الحالة عليه أن يعيد قراءة ما كتبه بعد الانتهاء من كتابته وفي هذه الحالة سيجد أن هنـاك إيقاعاً جميلاً: الكلمة لديها قدرة فريـدة علـى الإيحـاء، إن وجدت الكلمة الصحيحة تعطيك الكلمة التي بعـدها، عنـدما أكتب، فإن البروجي الداخلي يعزف، لهذا يستيقظ في الداخل كأنه ألفاظ ومفردات اللغة العربية تحضر إليك تسلمك نفسها، منها ما يهرب منك، ومنها ما يقدم لك إمكانياته.

حوار ليس من طرف واحد

- ماذا تقرأ هذه الأيام؟

- لا أحب الحديث عن نفسي سأتكلم عن الشباب مـن كتاب القصة وبالأخص عن عبد ا الطوخي فـي روايتـه «النهر» قام الطوخي برحلة من أمام فندق شبرد في القاهرة وحتى الأقصر في صعيد مصر، وقدرة الفـن العظيمـة، أن يجعلنا نجد في العادي والمألوف ما هو غير مألوف عـادي، عبد ا الطوخي قدم حياة النهر الكاملة، هناك صبري موسى الذي خرج من دائرة حياة المدينة وحيـاة الريـف بشـكلهما

العادي ورحل إلى الجنوب من مصر إلى حياة قبيلتي العبابدة والبشارية. وقدم تجربته الشافية من النوع الفريد بصورة فنية تصل إلى حد الندرة، إنهما لا يقدمان العادي والمألوف، ولكن غير العادي والمألوف.

* لم كتبت الـ ٢٦ كتاباً التي هي كل عمرك؟

- كان همي ومسعاي وغرامي طوال سنوات عمـرى أن أعبر عن تراب مصر وطينها، ولم أعبر إلا عن مصـر بعد أن كتبت كل هذه الصفحات عن قنديل أم هاشم، وعـن صعيد مصر وعن قرى الوجه البحـري، وعـن الحـارات والبيوت، عن الناس منكسري القلوب. وازدادت مصـريتي عما كانت عليه من قبل، همي وغرامـي ومسـعاي وحلـم عمري كان إعادة خلق هذه اللحظات اللانهائية مـن عمـر مصر كلها.

*** ما هو الكتاب الـذي وضـع يـدك علـى الـروح المصرية؟**

- يقولون في الأمثال الشعبية (اللقا نصيب) أهم كتاب في عمري كله قابلته بصدفة غريبة في سنة ١٩٢٩ سـافرت إلى جدة في السعودية. وهناك في دولاب قديم التقيت بـأهم

كتاب هو (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) لعبد الرحمن الجبرتي، وجدت الأجزاء الأربعة الرئيسية لهذا الكتاب ولـم أكن قد قرأته من قبل لكن ليس الفراغ ولا ظروف الحياة في جدة، هما السبب في قراءته إنه شيء ما فـي هـذا الكتـاب شدني إليه، قرأته أكثر من مرة وتأثرت به وكان هذا الكتاب أكبر حصيلة حصلت عليها في حياتي، ولهذا جريت أنقب في الكتاب عرفت مثلاً من أي بلدة هو ورسمت له صورة فـي ذهني رسمته على هيئة المهدي الثائر السـوداني وأعجبـت بدوري بوالده الشيخ حسن الجبرتي.

هل تتصور أنني سأذيع سر لم أقله من قبل؟ مقـالاتي الأولى نشرتها موقعة باسم: عبد الرحمن بن حسن وهذا لكي أعطيك فكرة عن مدى تأثري به وإعجابي بفنه وفي كل وقت أتساءل بحزن ومرارة: لماذا لا يدرس هـذا الكتـاب فـي مدارسنا؟ لماذا لا يقرون هذا الكتاب على طـلاب المرحلـة الثانوية؟ لماذا؟

- **ما هي الأعمال الأدبية التي استوقفتك في الفتـرة الأخيرة؟**

- هناك أعمال رائعة قرأتها في الفترة الأخيرة ومع هـذا لا أجد لها صدى ما. في الواقع رواية «الحدبة الصـغيرة» من تأليف حسن محمود كتاب عـن الشـباب لإسـماعيل مظهر وإن كان في طبعه خاصة وصغيرة جداً. ومع هذا لا أحد يقرأ هذه الروائع في أيامنا هذه.

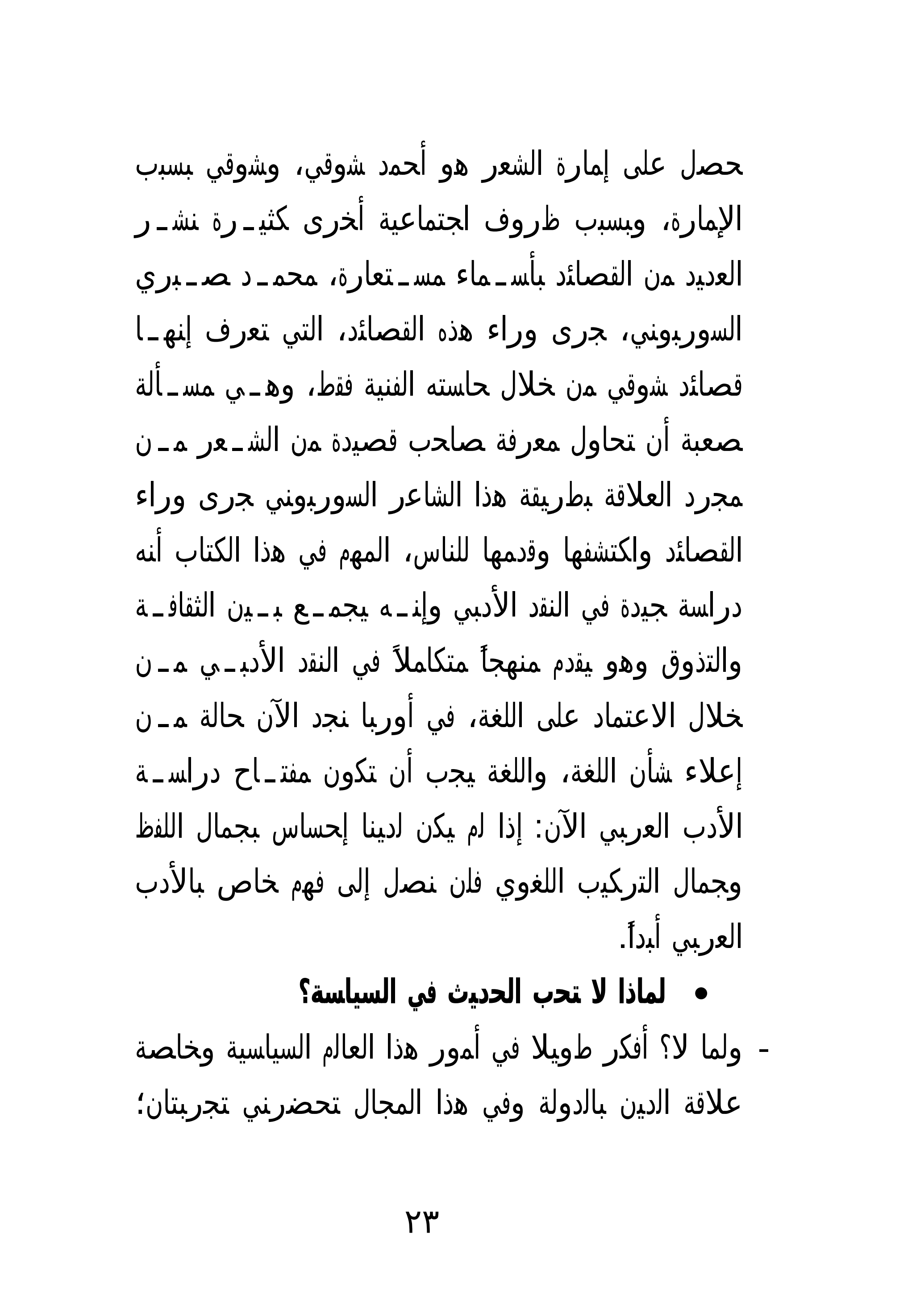
أخطر كتب هذا العصر

فجأة يتوقف يحيى حقي عن الحديث يقول إنـه نسـى وكيف ينسى الحديث من كتاب هام صـدر مـؤخراً أو فـي الحقيقة صدرت منه طبعة جديدة مؤخراً.

يتكلم يحيى حقي، ويصلني صوته مثل الغناء، صـوت رائق رغم اضطراب هذا العصر، وحديثه ينقلنا إلى عصـر آخر:

يقول:

- في العصر البعيد، كان هناك شاعر يريد أن يصبح زعيماً وطنياً هو مصطفى كامل شاعر قبل أي اعتبار آخر وكان هناك رجل دين يريد أن يكون مستشاراً للدولة، هو الإمام الشيخ محمد عبده، وكان هناك مندوب يريـد أن يصـبح رئيسا للوزراء هو اللورد كرومر، وكان هنـاك شـاعر



حصل على إمارة الشعر هو أحمد شوقي، وشوقي بسبب الإمارة، وبسبب ظروف اجتماعية أخرى كثيـرة نشـر العديد من القصائد بأسـماء مسـتعارة، محمـد صـبري السوربوني، جرى وراء هذه القصائد، التي تعرف إنهـا قصائد شوقي من خلال حاسته الفنية فقط، وهـي مسـألة صعبة أن تحاول معرفة صاحب قصيدة من الشـعر مـن مجرد العلاقة بطريقة هذا الشاعر السوربوني جرى وراء القصائد واكتشفها وقدمها للناس، المهم في هذا الكتاب أنه دراسة جيدة في النقد الأدبي وإنـه يجمـع بـين الثقافـة والتذوق وهو يقدم منهجاً متكاملاً في النقد الأدبـي مـن خلال الاعتماد على اللغة، في أوربا نجد الآن حالة مـن إعلاء شأن اللغة، واللغة يجب أن تكون مفتـاح دراسـة الأدب العربي الآن: إذا لم يكن لدينا إحساس بجمال اللفظ وجمال التركيب اللغوي فلن نصل إلى فهم خاص بالأدب العربي أبداً.

- **لماذا لا تحب الحديث في السياسة؟**

- ولما لا؟ أفكر طويلا في أمور هذا العالم السياسية وخاصة علاقة الدين بالدولة وفي هذا المجال تحضرني تجربتان:

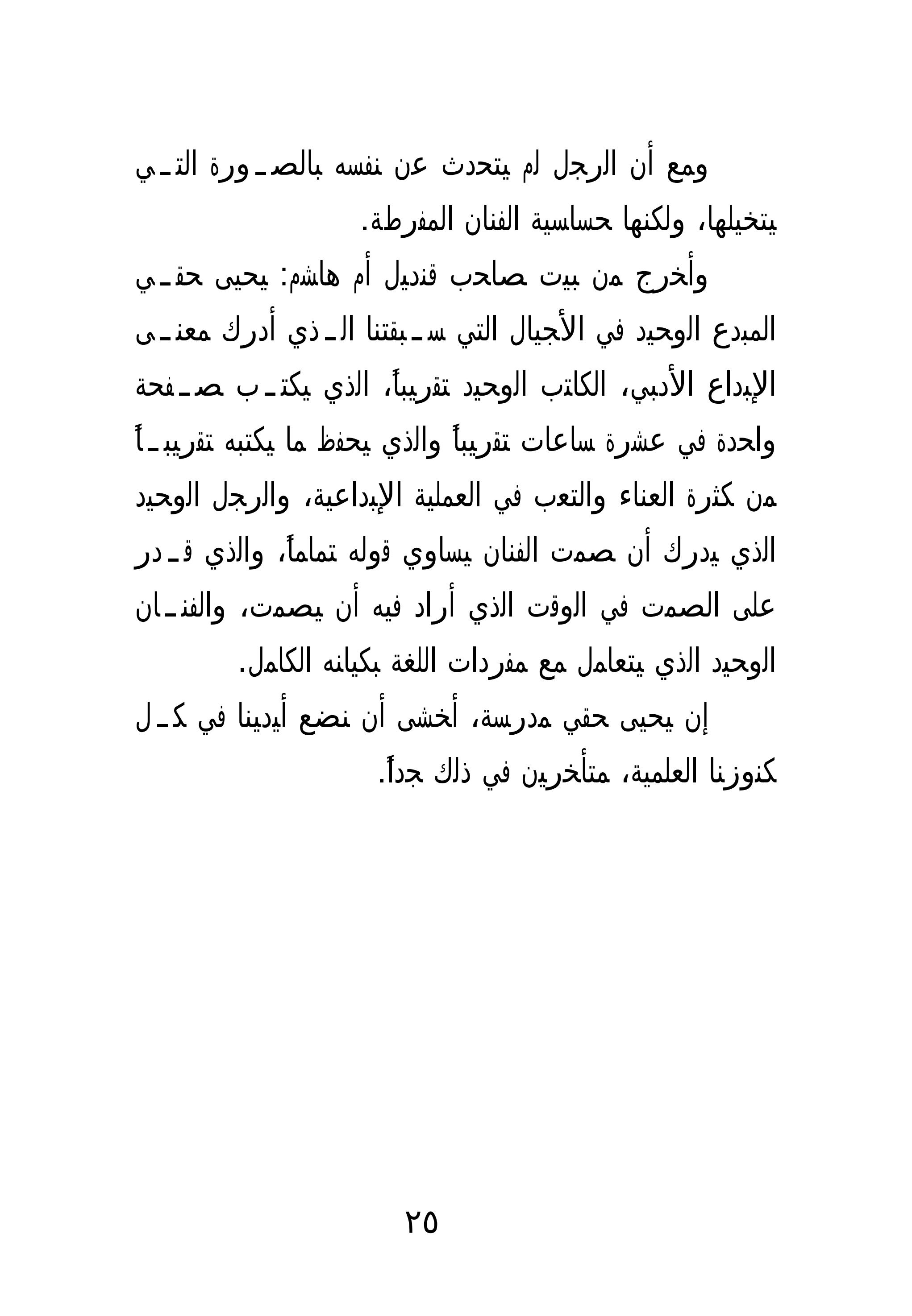
الأولى في تركيا وهي تجربة مصطفى كمـال، والثانيـة التجربة الإيرانية مصطفى كمال نادي بفصل الدين عـن الدولة. الدين واقع والدولة وهم متخيل، الدولة مجرد فكرة عامة في الذهن.

- أما تجربة الخومينى في إيران. رمـت الدولـة بجميـع مؤسساتها وهيئاتها في أحضان الدين وكلتـا التجـربتين تمثلان حالة من المغالاة.

وإن كنت أرى أن المسألة أبعد من هـذا. إن القضـية التي ضغطت على أعصاب المجتمع الإسلامي كيف تماشـي العصر وما فيه من تطور؟ وأنا أقول إنـه وإن كـان هـذا التطور مطلوبا وحتميا، فلا بد وأن يأتي من داخل الشـريعة نفسها وليس من خارجها.

عند هذا الحد توقف الرجل عن الحـديث قـال لـي بوضوح محبب:

- يوسف توقف عند هذا الحد، أنا أكره الحديث عن نفسـي تماماً، ولقد تحدثت في هذا اليوم كثيرا عن نفسي وبـدون حد ولا بد من التوقف عند هذا الحد.



ومع أن الرجل لم يتحدث عن نفسه بالصورة التي يتخيلها، ولكنها حساسية الفنان المفرطة.

وأخرج من بيت صاحب قنديل أم هاشم: يحيى حقي المبدع الوحيد في الأجيال التي سبقتنا الذي أدرك معنى الإبداع الأدبي، الكاتب الوحيد تقريباً، الذي يكتب صفحة واحدة في عشرة ساعات تقريباً والذي يحفظ ما يكتبه تقريباً من كثرة العناء والتعب في العملية الإبداعية، والرجل الوحيد الذي يدرك أن صمت الفنان يساوي قوله تماماً، والذي قدر على الصمت في الوقت الذي أراد فيه أن يصمت، والفنان الوحيد الذي يتعامل مع مفردات اللغة بكيانه الكامل.

إن يحيى حقي مدرسة، أخشى أن نضع أيدينا في كل كنوزنا العلمية، متأخرين في ذلك جداً.

نجيب محفوظ: المطلوب الآن تضميد جراح حياتنا الثقافية

ها هو الرجل

يهل علينا فكأنه أبطال رواياته جميعاً. فكأنه مخلوقات مدينته التي أحبها لحد العشق كلها.

الرجل وأبطاله ومدينته

الرجل هو نجيب محفوظ

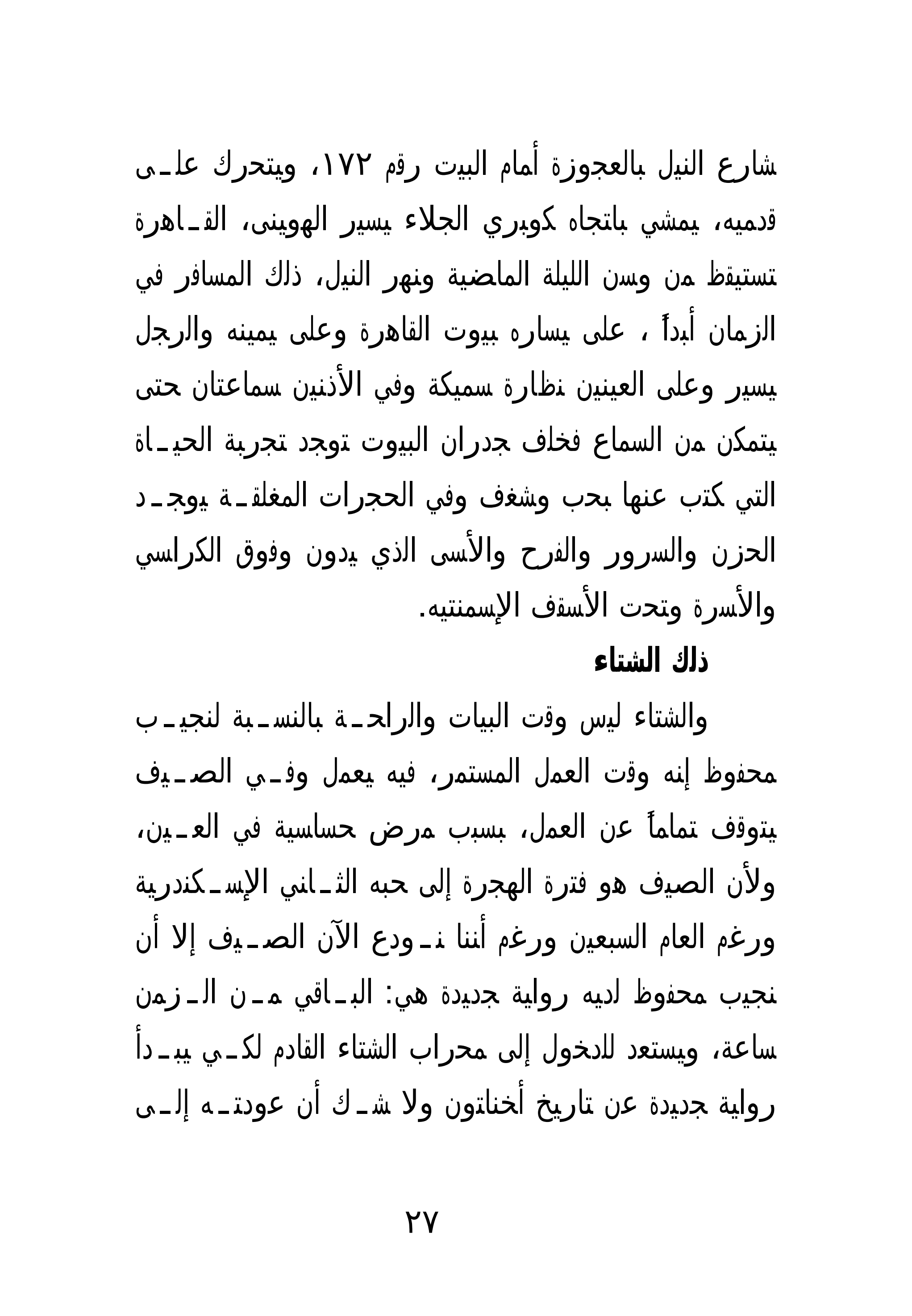
والأبطال عدد لا حصر له من مخلوقاته الجميلة الذين يتحركون عبر عالمه الروائي.

القاهرة: هي تلك المدينة العجوز المغلفة بالضباب،

ومقدمات المطر قاهرة الخريف من كل عام.

المهمة الأولى:

في يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ديسمبر القـادم يكمل نجيب محفوظ عامه السبعين، يحمل الرجل على كتفيه هذا العدد من السنوات وعدداً آخر ضـخماً مـن الروايـات القصص القصيرة والأفلام المأخوذة عن هـذه الروايـات، والكتب الصادرة عنه والرسائل الجامعية التي تحاول دراسة أعماله ورغم هذا العدد من السنوات ففي الســابعة صـباحاً، بالدقيقة والثانية، ينزل نجيب محفوظ من منزله يتوقف فـي



شارع النيل بالعجوزة أمام البيت رقم ١٧٢، ويتحرك علـى قدميه، يمشي باتجاه كوبري الجلاء يسير الهوينى، القـاهرة تستيقظ من وسن الليلة الماضية ونهر النيل، ذلك المسافر في الزمان أبداً ، على يساره بيوت القاهرة وعلى يمينه والرجل يسير وعلى العينين نظارة سميكة وفي الأذنين سماعتان حتى يتمكن من السماع فخلف جدران البيوت توجد تجربة الحيـاة التي كتب عنها بحب وشغف وفي الحجرات المغلقـة يوجـد الحزن والسرور والفرح والأسى الذي يدون وفوق الكراسي والأسرة وتحت الأسقف الإسمنتيه.

ذلك الشتاء

والشتاء ليس وقت البيات والراحـة بالنسـبة لنجيـب محفوظ إنه وقت العمل المستمر، فيه يعمل وفـي الصـيف يتوقف تماماً عن العمل، بسبب مرض حساسية في العـين، ولأن الصيف هو فترة الهجرة إلى حبه الثـاني الإسـكندرية ورغم العام السبعين ورغم أننا نـودع الآن الصـيف إلا أن نجيب محفوظ لديه رواية جديدة هي: البـاقي مـن الـزمن ساعة، ويستعد للدخول إلى محراب الشتاء القادم لكـي يبـدأ رواية جديدة عن تاريخ أخناتون ولا شـك أن عودتـه إلـى

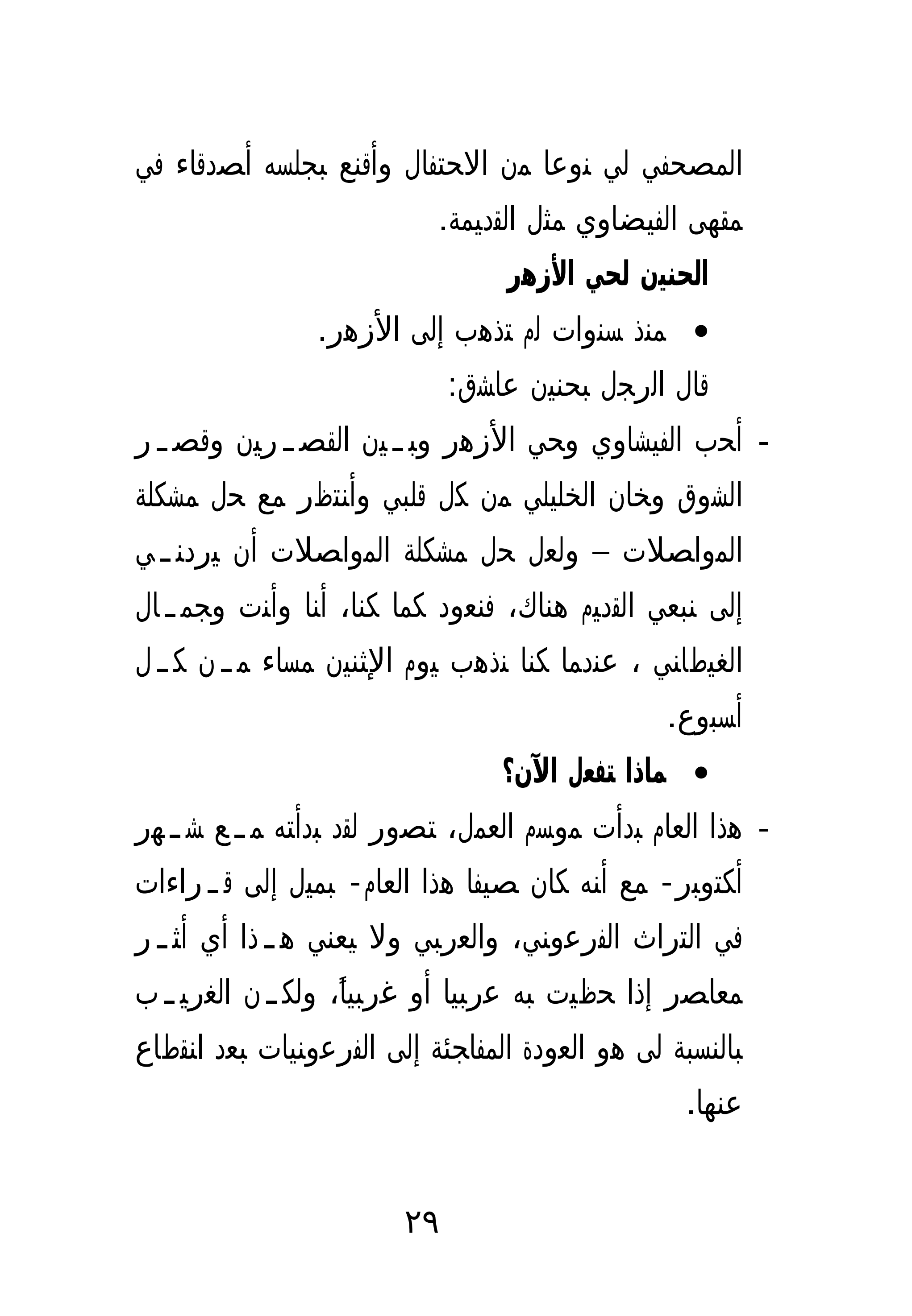
التاريخ القديم – وكانت له رواية عن رادوبيس، وله كتـاب هو الأول من نوعه – فقد جلس على مدى ساعات طوال مع جمال الغيطاني، حيث سجل مذكراته التـي تصـدر قريبـاً بعنوان: «نجيب محفوظ يتذكر».

كان العام السبعون هو موضوع السؤال الأول الـذي فرض نفسه فرضاً علينا معاً، في ديسمبر سنة ١٩٦١ بلـغ نجيب محفوظ سن الخمسين من العمر، وفي ديسـمبر سـنة ١٩٧١ بلغ ستين عاما احتفلت به مصر كلها وصـدر عـدد خاص من مجلة الكاتب في الاحتفال الأول، وصـدر عـدد خاص من مجلة الهلال في الاحتفال الثاني، وأقام له الأدبـاء الشبان حفلاً صغيراً في مقهي ريش، وقـف يومهـا ليغنـي معهم : «بلادي بلادي، لك حبي وفؤادي».

كان السؤال الأول:

- **هل تتوقع أن يحتفلوا ببلوغك سن السبعين؟**

- قال الرجل متهرباً من الإجابة واضحة صريحة:
- أنت تعرفني، وتعرف أنني أكره الاحتفالات بطبيعتي وقد أجبرني الضغط على تحملها في الخمسين والستين وأعتقد أن الضغط سيجبرني في السبعين، إنـي أعتبـر حـديثك


المصحفي لي نوعا من الاحتفال وأقنع بجلسه أصدقاء في مقهى الفيضاوي مثل القديمة.

الحنين لحي الأزهر

- منذ سنوات لم تذهب إلى الأزهر.

قال الرجل بحنين عاشق:

- أحب الفيشاوي وحي الأزهر وبـين القصـرين وقصـر الشوق وخان الخليلي من كل قلبي وأنتظر مع حل مشكلة المواصلات – ولعل حل مشكلة المواصلات أن يردنـي إلى نبعي القديم هناك، فنعود كما كنا، أنا وأنت وجمـال الغيطاني ، عندما كنا نذهب يوم الإثنين مساء مـن كـل أسبوع.

- **ماذا تفعل الآن؟**

- هذا العام بدأت موسم العمل، تصور لقد بدأته مـع شـهر أكتوبر- مع أنه كان صيفا هذا العام- بميل إلى قـراءات في التراث الفرعوني، والعربي ولا يعني هـذا أي أثـر معاصر إذا حظيت به عربيا أو غربياً، ولكـن الغريـب بالنسبة لى هو العودة المفاجئة إلى الفرعونيات بعد انقطاع عنها.

- **هل لذلك علاقة بروايتك التي كتبـت فيهـا عـن اخناتون؟**

- بدون شك فأغلب الظن أنها كتبت لتكون رواية فرعونية.

الساعة الباقية

- عرفت انك انتهيت من روايـة جديـدة عنوانهـا: الباقي من الـزمن سـاعة، هـلا حـدثتني عـن موضوعها؟

- كل ما استطيع أن أقوله عن قصتي (الباقي مـن الـزمن ساعة)، إنها عن الحياة في مصر ما بين عامي ٧٦، ٧٧، أو ١٩٧٨، وإنها لن تكون ثلاثية أخرى ولكن مجرد قصة من حوالي ١٥٠ إلى ٢٠٠ صفحة ولك الحق أن تـدهش بطبيعة الحال وكلها ستكون تجربة أسلوبية، وقـد كتبـت بعدها قصة سميتها (رحلة ابن فطومة).

- **آخر أعمالك المنشورة، فيها عودة إلى ألف ليلـة وليلة، هل أجدب الواقع المعاصر لك الآن؟**

- حقاً أننى أعتمد على ألف ليلة وليلة وأستلهم منها التـراث وقد سبق أن استلهمت التراث الفرعوني في مطلع حياتي،

فاستلهام التراث لبس جديداً على وربما كررت ذلك مستقبلاً إن كانت في العمر بقية.

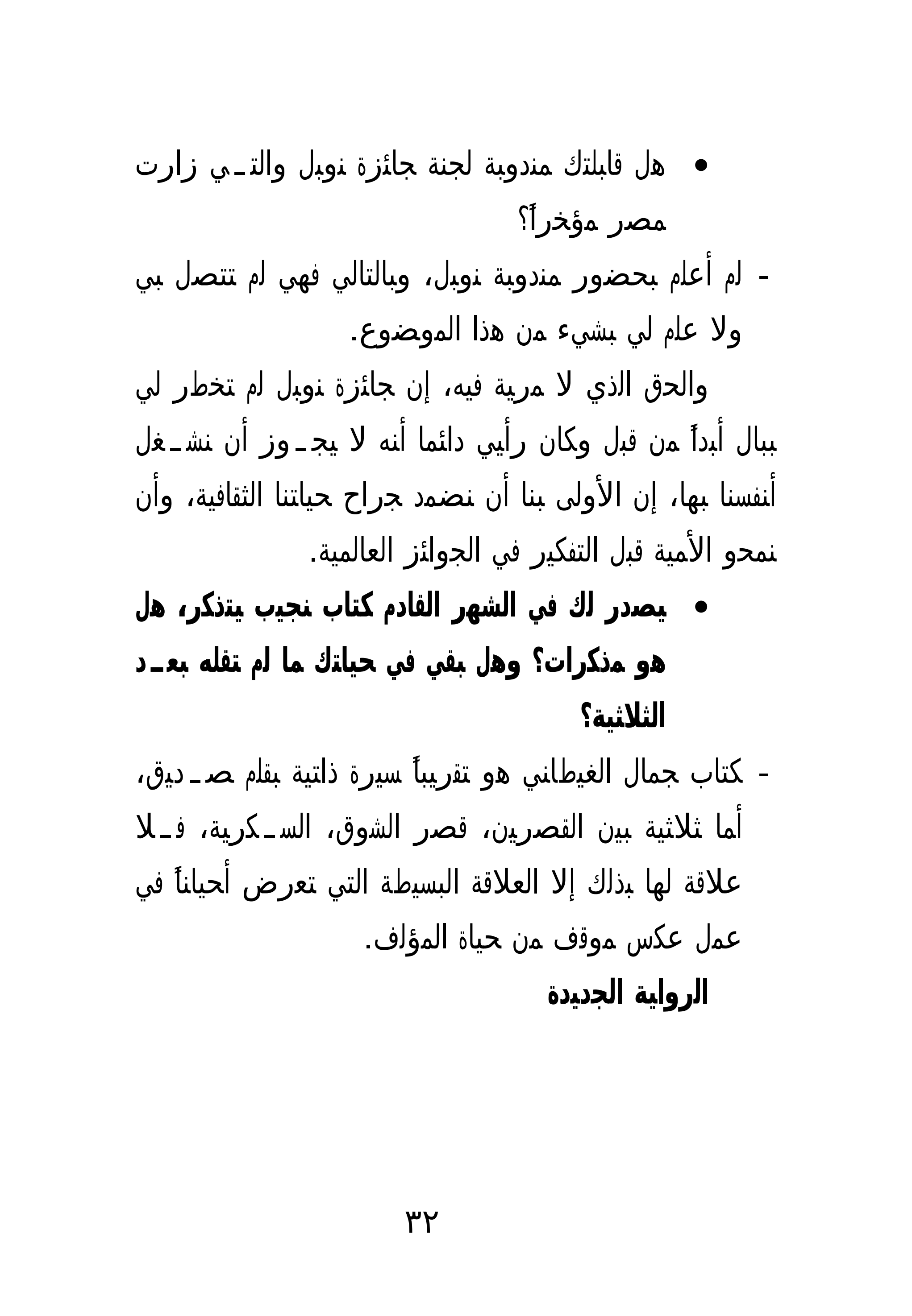
ما فوق النيل

- **يشكو ناشرك من صدور طبعة شعبية من روايتك (ثرثرة فوق النيل) وهل وافقت على تقديم معالجة مسرحية لها في إسرائيل؟**

- أنا أعرف أن الطبعة الشعبية توقف الكتاب فلا تصدر له طبعات جديدة، فشكوى الناشر في محلها، خصوصاً وأن كتبي مقاطعة في دول الوطن العربي كلها وقد زورت عن آخرها في بيروت فأصبحت لا تباع سوى في مصر، وقد حدث فعلاً أن عرض على الأستاذ ساسون سوميخ أن أوافق على مسرحة «ثرثرة فوق النيل» للمسرح العبري فوافقت على ذلك.

من المعروف أن «ثرثرة فوق النيل» رواية تهاجم بعنف السنوات السابقة على هزيمة الخامس من يونيو ١٩٦٧ وتظهر سلبيات هذه المرحلة.

أنت ونوبل



- هل قابلتك مندوبة لجنة جائزة نوبل والتـي زارت مصر مؤخراً؟

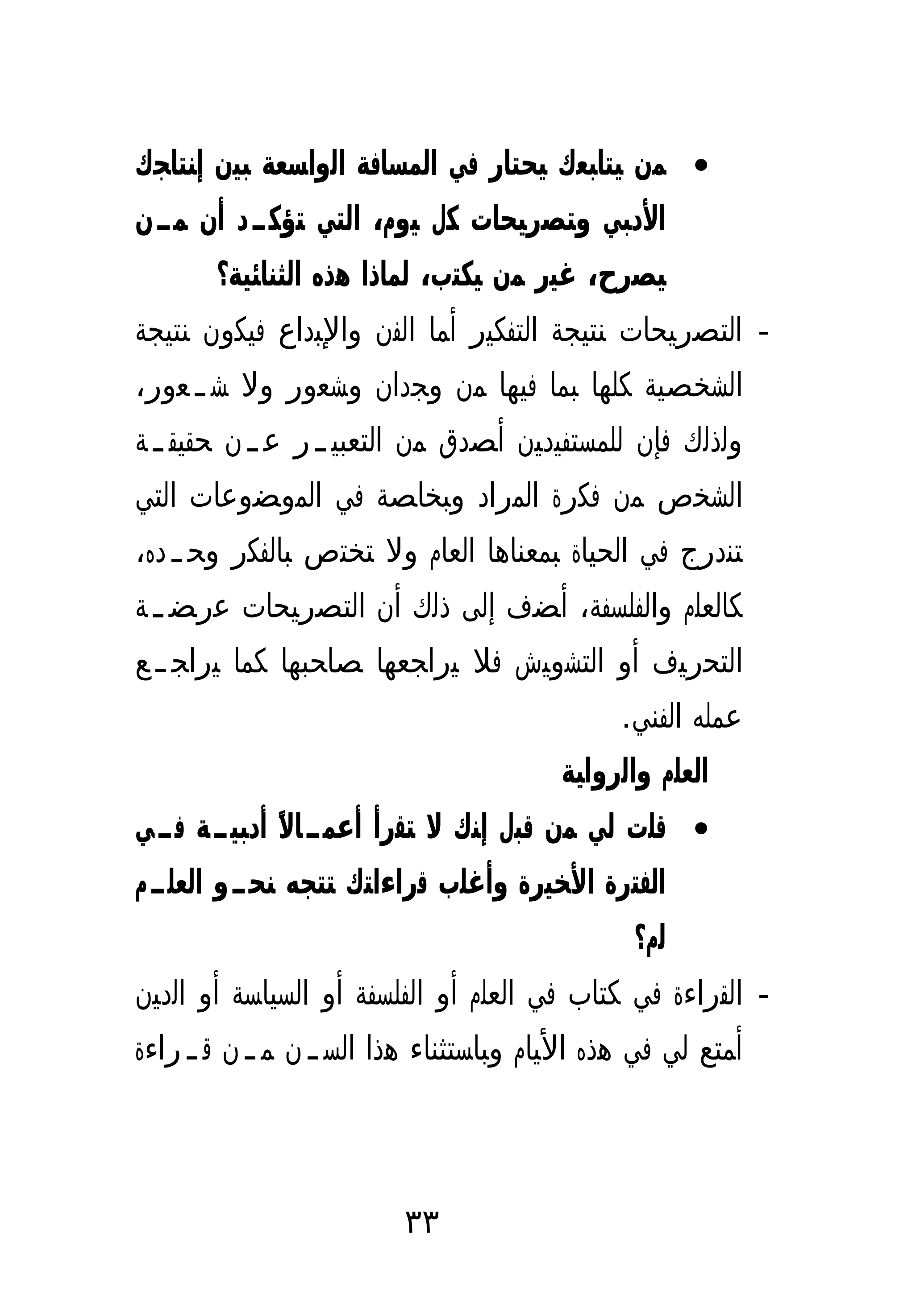
- لم أعلم بحضور مندوبة نوبل، وبالتالي فهي لم تتصل بي ولا علم لي بشيء من هذا الموضوع.

والحق الذي لا مرية فيه، إن جائزة نوبل لم تخطر لي ببال أبداً من قبل وكان رأيي دائما أنه لا يجـوز أن نشـغل أنفسنا بها، إن الأولى بنا أن نضمد جراح حياتنا الثقافية، وأن نمحو الأمية قبل التفكير في الجوائز العالمية.

- **يصدر لك في الشهر القادم كتاب نجيب يتذكر، هل هو مذكرات؟ وهل بقي في حياتك ما لم تقله بعـد الثلاثية؟**

- كتاب جمال الغيطاني هو تقريباً سيرة ذاتية بقلم صـديق، أما ثلاثية بين القصرين، قصر الشوق، السـكرية، فـلا علاقة لها بذلك إلا العلاقة البسيطة التي تعرض أحياناً في عمل عكس موقف من حياة المؤلف.

الرواية الجديدة



- **من يتابعك يحتار في المسافة الواسعة بين إنتاجك الأدبي وتصريحات كل يوم، التي تؤكـد أن مـن يصرح، غير من يكتب، لماذا هذه الثنائية؟**

- التصريحات نتيجة التفكير أما الفن والإبداع فيكون نتيجة الشخصية كلها بما فيها من وجدان وشعور ولا شـعور، ولذلك فإن للمستفيدين أصدق من التعبيـر عـن حقيقـة الشخص من فكرة المراد وبخاصة في الموضوعات التي تندرج في الحياة بمعناها العام ولا تختص بالفكر وحـده، كالعلم والفلسفة، أضف إلى ذلك أن التصريحات عرضـة التحريف أو التشويش فلا يراجعها صاحبها كما يراجـع عمله الفني.

العلم والرواية

- **قلت لي من قبل إنك لا تقرأ أعمـالاً أدبيـة فـي الفترة الأخيرة وأغلب قراءاتك تتجه نحـو العلـم لم؟**

- القراءة في كتاب في العلم أو الفلسفة أو السياسة أو الدين أمتع لي في هذه الأيام وباستثناء هذا السـن مـن قـراءة

رواية باستثناء الروايات التي في مستوى العالم الفلسفة والسياسة والدين.

- **هل لا يزال حلمك القديم بوجود نظام علمي، يقدم الحل لمشكلتي الخبز والحرية، أي يقدم أفضل ما في النظامين الغربي والشرقي؟**

- نعم لا يزال هذا الحلم يداعبني، أشعر أحيانا أننا نتجه إليه في مصر لولا حاجز الأفكار التقليدية وقد عدت إلى معالجة هذا الحلم القديم في قصتي الجديدة (رحلة ابن فطومة).

- **الحرافيش الرواية والأصدقاء**

- هل ما زلت تذهب إلى (الحرافيش) الأصدقاء؟

- نعم ولكن أدع معي للحرافيش بالصحة والعافية فقد أصبحنا حرافيش بأدق المعاني، والحمد الذي لا يحمد على مكروه سواه.

- **في نتاجك الأخير تتراجع القاهرة والإسكندرية لم؟**

- نعم الإسكندرية تتراجع والقاهرة تتراجع، وهذا طبيعي وهو يحدث كلما تقدمت السن ورجعنا إلى الذات والتاريخ كي تتم الدورة كما بدأت.

أنت ومن حولك

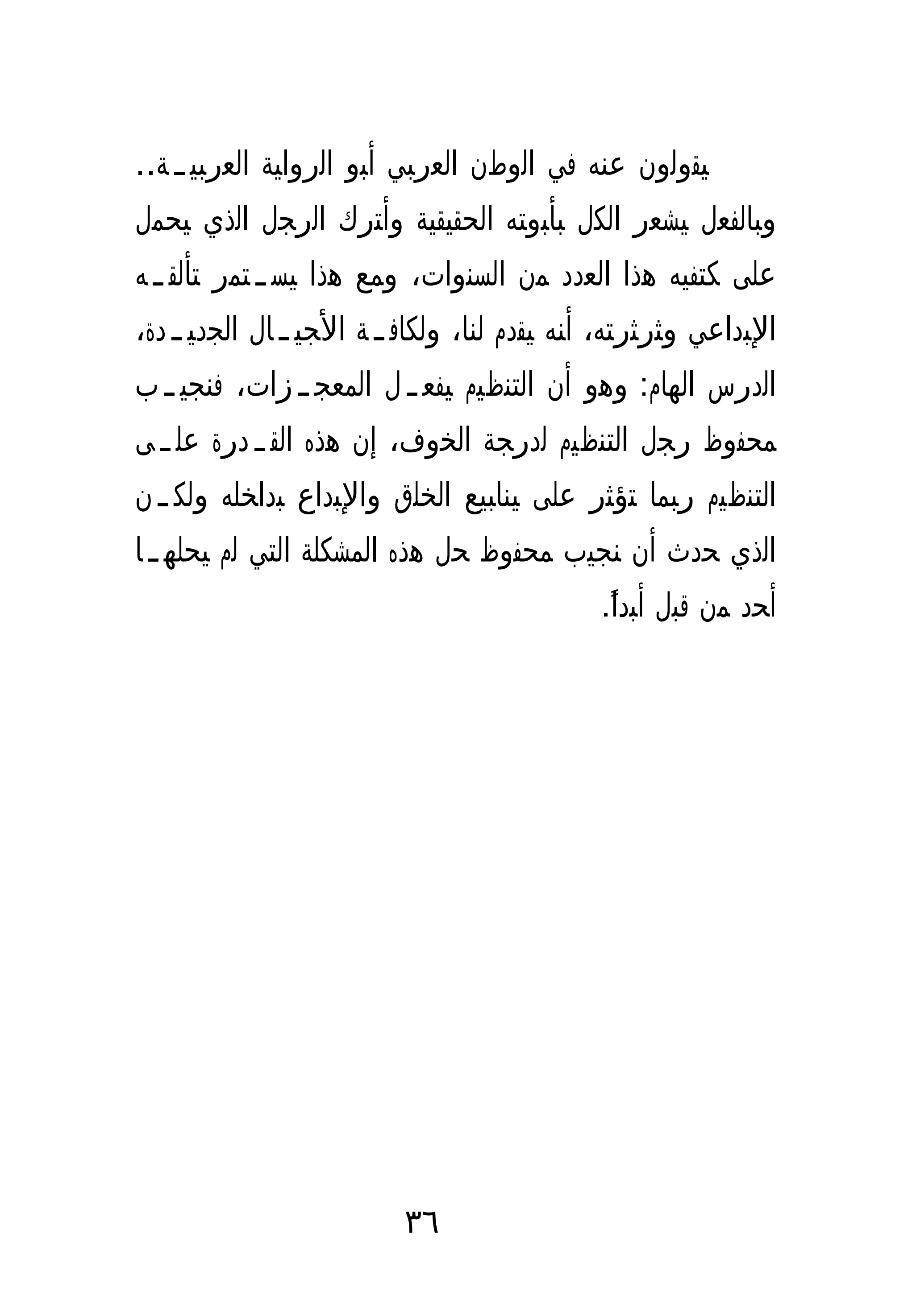
*تبقى قضية أخيرة من الصعب إثارتها، ولكنى أثرتها، وهي : أن الروائي الكبير الذي يمتد ظله لأبعد منه يظلم في العادة أبناء جيله، وفي تصوري ويقيني الثابت إن ظل نجيب محفوظ الذي أمتد ليشمل عصره كله قد ظلم ليس أبناء جيله فقط ولكن الجيل الذي كتب الرواية من بعده قلت له بتأثر.

وقال الرجل بتأثر:

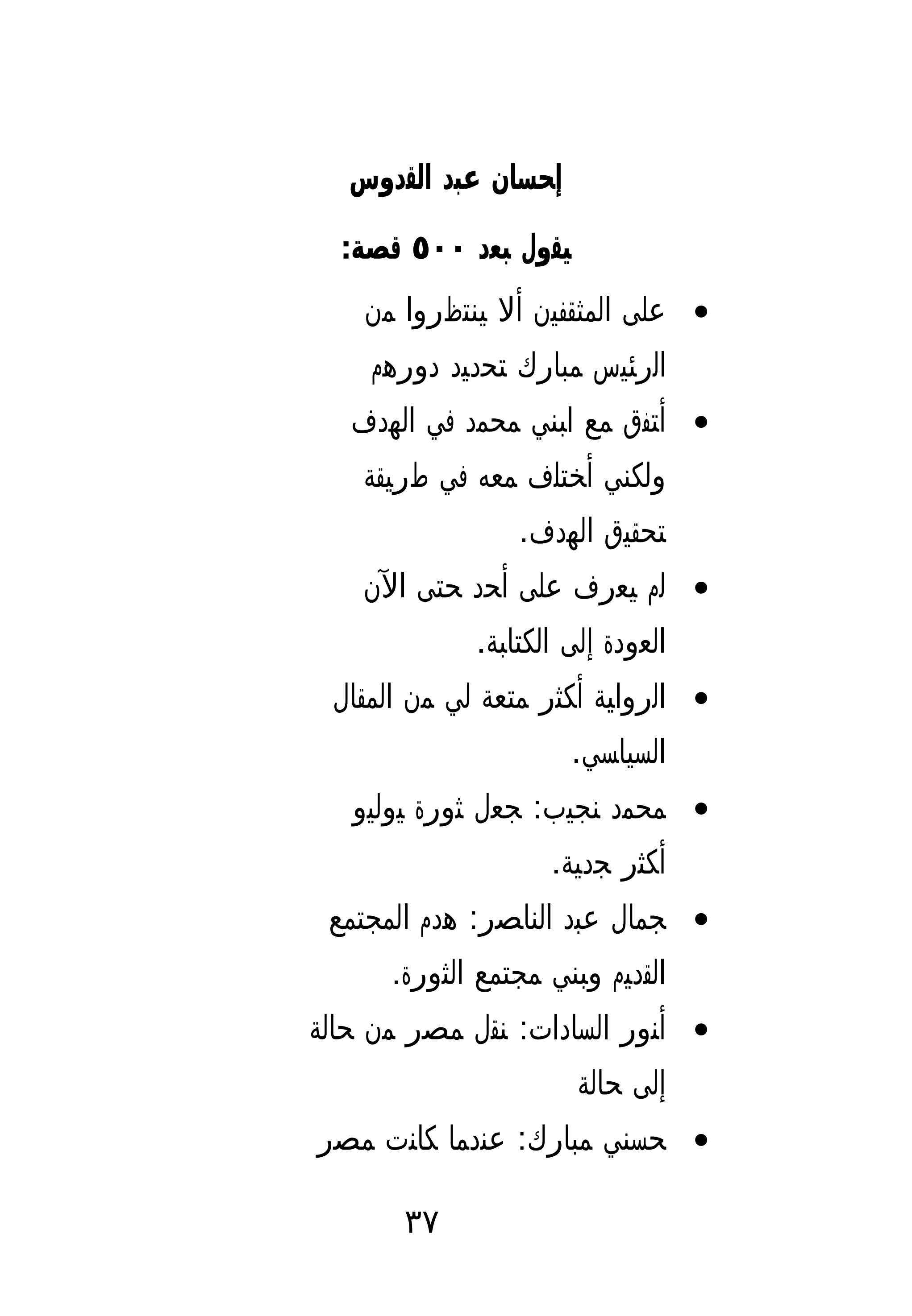
إن أغضب رذيلة إلى نفسي هي الظلم ولا أذكر أنني ظلمت أحداً في حياتي لعلك تشير غلى النقد وتركيزه على في أيام ازدهاره أبناء جيلي.

ولكن السؤال الطبيعي هو: هل يقع اللوم على أنا في ذلك؟

أعترف معك أن كتاب جيلي لم ينالوا حقهم المشروع من النقد وقد قمنا جميعاً بعمل واحد هو تأصيل الرواية في أدبنا العربي، وتطويع اللغة العربية لها وكل فرد منهم يستحق أن تكتب عنه مؤلفات وبحوث، الحق أنهم ظلموا.. ولكنني لست الظالم، ولا أدري سبباً للظلم، وكان أجدر بك أن تناقش ذلك من النقاد الآخرين في مصر..



يقولون عنه في الوطن العربي أبو الرواية العربيـة.. وبالفعل يشعر الكل بأبوته الحقيقية وأترك الرجل الذي يحمل على كتفيه هذا العدد من السنوات، ومع هذا يسـتمر تألقـه الإبداعي وثرثرته، أنه يقدم لنا، ولكافـة الأجيـال الجديـدة، الدرس الهام: وهو أن التنظيم يفعـل المعجـزات، فنجيـب محفوظ رجل التنظيم لدرجة الخوف، إن هذه القـدرة علـى التنظيم ربما تؤثر على ينابيع الخلق والإبداع بداخله ولكـن الذي حدث أن نجيب محفوظ حل هذه المشكلة التي لم يحلهـا أحد من قبل أبداً.



إحسان عبد القدوس

يقول بعد ٥٠٠ قصة:

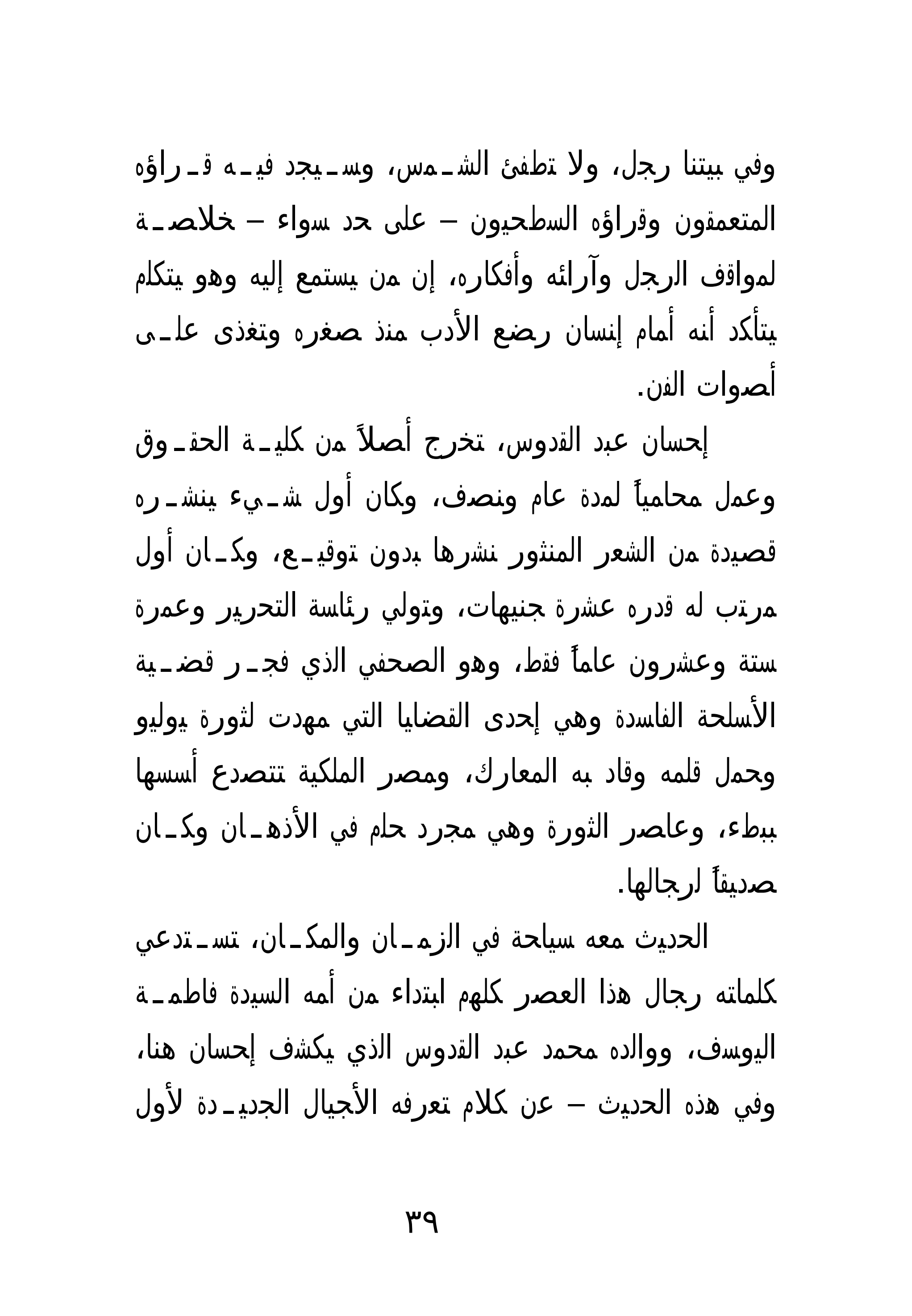
- على المثقفين ألا ينتظروا من الرئيس مبارك تحديد دورهم
- أتفق مع ابني محمد في الهدف ولكني أختلف معه في طريقة تحقيق الهدف.
- لم يعرف على أحد حتى الآن العودة إلى الكتابة.
- الرواية أكثر متعة لي من المقال السياسي.
- محمد نجيب: جعل ثورة يوليو أكثر جدية.
- جمال عبد الناصر: هدم المجتمع القديم وبني مجتمع الثورة.
- أنور السادات: نقل مصر من حالة إلى حالة
- حسني مبارك: عندما كانت مصر

في حاجة إلى شخصية تستطيع
تحقيق الأمن والأمان وبناء
المستقبل اختاره ا لها.

ما زالت في انتظار الناقد الذي ينصفني، من يصـدق أن إحسان عبد القدوس – أكثر الروائيين شهرة في الثلاثـين سنة الأخيرة – يقول هذا الكلام؟ ربما كان الصدق مع النفس والصدق مع الآخرين هو دافعه لتلك الكلمات.

لقد آن لنا أن نتحدث بصفاء ووضـوح عـن أكثـر الروائيين العرب إثارة للجدل والنقاش، فقد وصل توزيع كتبه إلى أرقام فلكية ومع هذا لم ينصفه النقاد حتى الآن، مع أنـه قدم إنتاجه الأدبي في سنوات تميزت بالتفوق والبحـث عـن حساسية أدبية جديدة، وإحسان عبد القدوس فضلاً عن الدور الأدبي، هو جزء متـوهج مـن تـاريخ مصـر السياسـي والاجتماعي في نصف القرن الأخير.

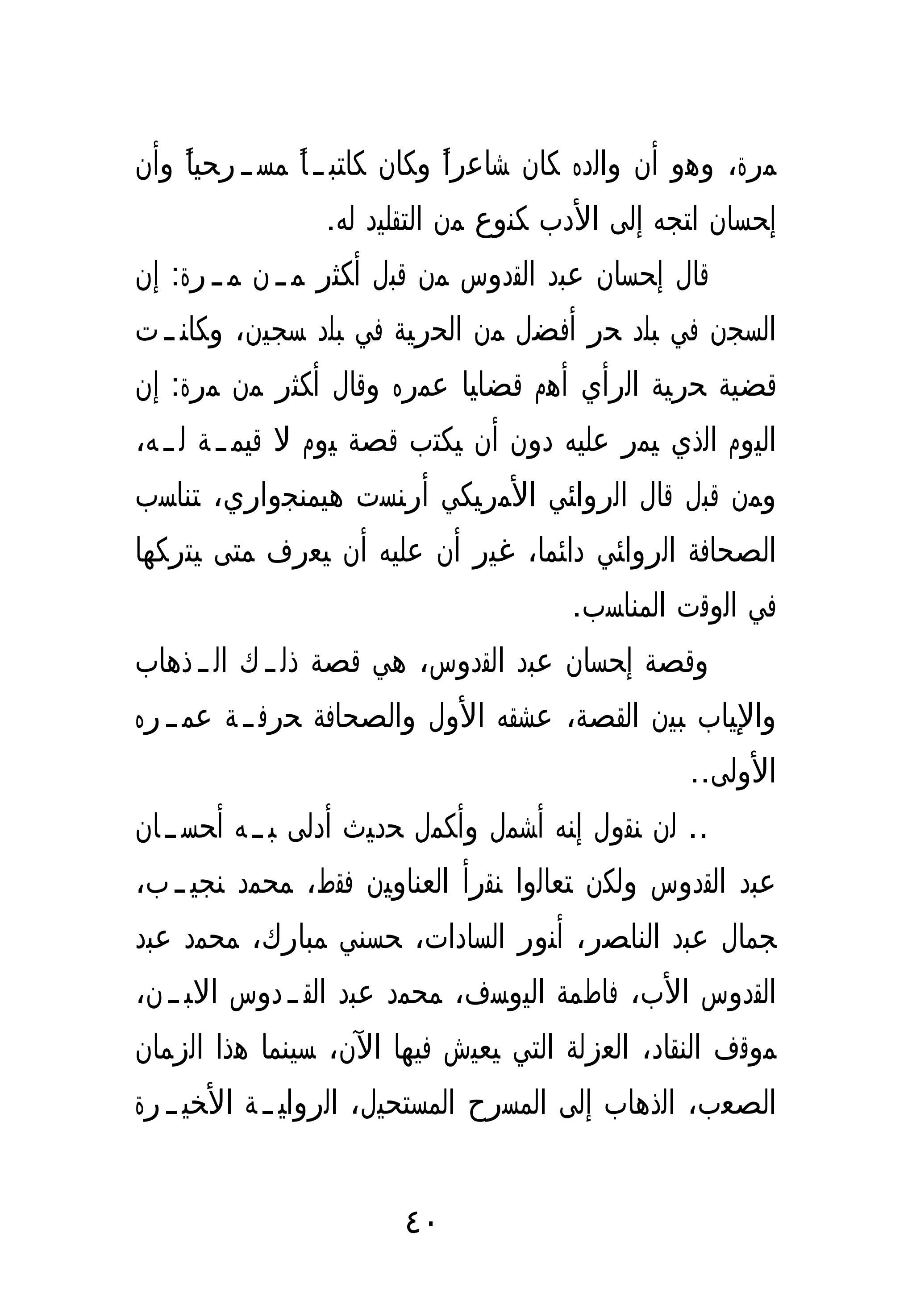
ولأنه كان يحتمي بالصمت في الفترة الأخيرة وكـان يريد أنه يهرب من المقال السياسـي، إلـى جنـة القصـة والرواية، فالحديث مع إحسان عبد القدوس يحاول أن يعرض بأسلوب مباشر وبسيط، كيف يفكر صاحب الوسادة الخاليـة،



وفي بيتنا رجل، ولا تطفئ الشـمس، وسـيجد فيـه قـراؤه المتعمقون وقراؤه السطحيون – على حد سواء – خلاصـة لمواقف الرجل وآرائه وأفكاره، إن من يستمع إليه وهو يتكلم يتأكد أنه أمام إنسان رضع الأدب منذ صغره وتغذى علـى أصوات الفن.

إحسان عبد القدوس، تخرج أصلاً من كليـة الحقـوق وعمل محامياً لمدة عام ونصف، وكان أول شـيء ينشـره قصيدة من الشعر المنثور نشرها بدون توقيـع، وكـان أول مرتب له قدره عشرة جنيهات، وتولي رئاسة التحرير وعمرة ستة وعشرون عاماً فقط، وهو الصحفي الذي فجـر قضـية الأسلحة الفاسدة وهي إحدى القضايا التي مهدت لثورة يوليو وحمل قلمه وقاد به المعارك، ومصر الملكية تتصدع أسسها ببطء، وعاصر الثورة وهي مجرد حلم في الأذهـان وكـان صديقاً لرجالها.

الحديث معه سياحة في الزمـان والمكـان، تسـتدعي كلماته رجال هذا العصر كلهم ابتداء من أمه السيدة فاطمـة اليوسف، ووالده محمد عبد القدوس الذي يكشف إحسان هنا، وفي هذه الحديث – عن كلام تعرفه الأجيال الجديـدة لأول


مرة، وهو أن والده كان شاعراً وكان كاتبـاً مسـرحياً وأن إحسان اتجه إلى الأدب كنوع من التقليد له.

قال إحسان عبد القدوس من قبل أكثر مـن مـرة: إن السجن في بلد حر أفضل من الحرية في بلد سجين، وكانـت قضية حرية الرأي أهم قضايا عمره وقال أكثر من مرة: إن اليوم الذي يمر عليه دون أن يكتب قصة يوم لا قيمـة لـه، ومن قبل قال الروائي الأمريكي أرنست هيمنجواري، تناسب الصحافة الروائي دائما، غير أن عليه أن يعرف متى يتركها في الوقت المناسب.

وقصة إحسان عبد القدوس، هي قصة ذلـك الـذهاب والإياب بين القصة، عشقه الأول والصحافة حرفـة عمـره الأولى..

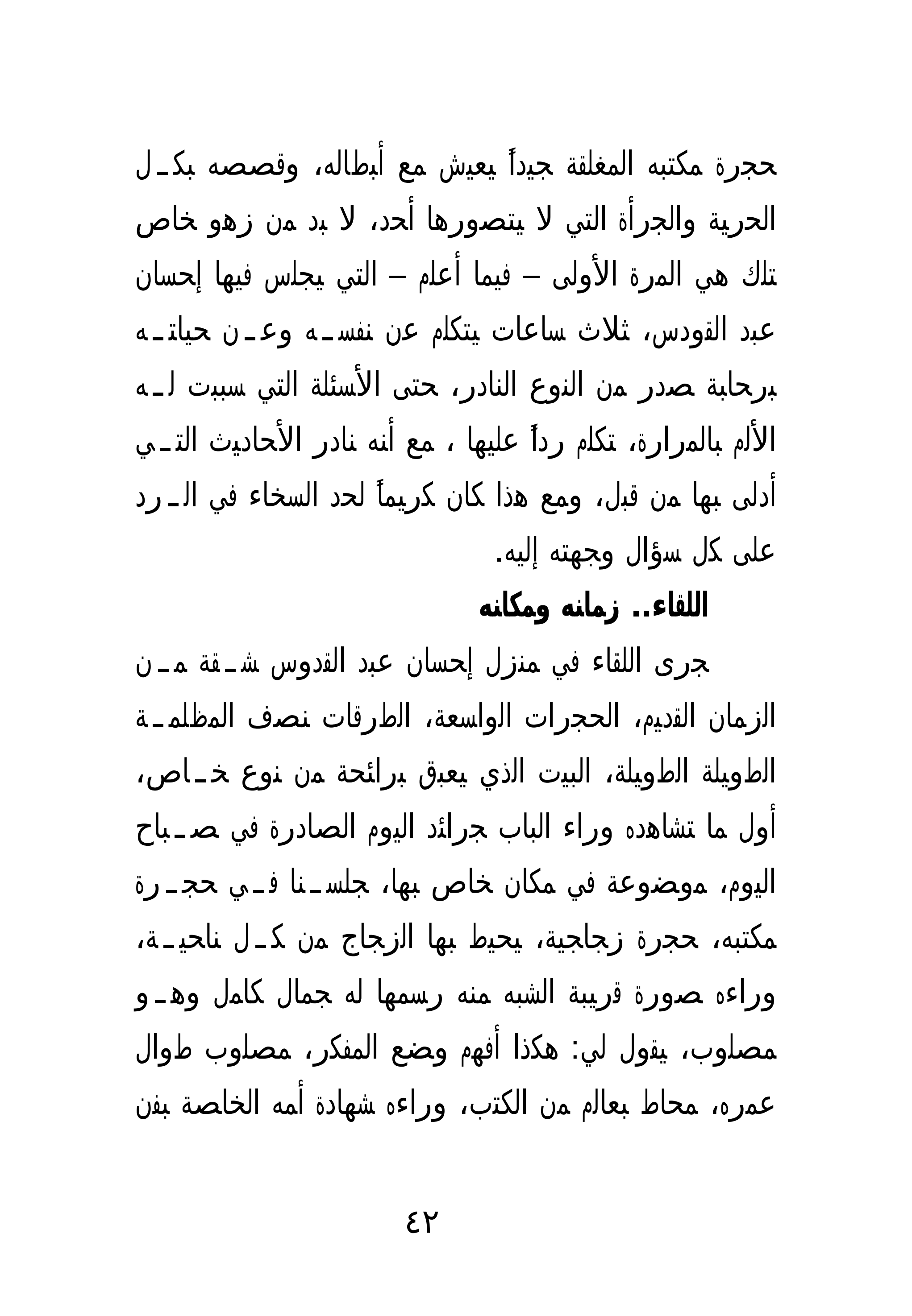
.. لن نقول إنه أشمل وأكمل حديث أدلى بـه أحسـان عبد القدوس ولكن تعالوا نقرأ العناوين فقط، محمد نجيـب، جمال عبد الناصر، أنور السادات، حسني مبارك، محمد عبد القدوس الأب، فاطمة اليوسف، محمد عبد القـدوس الابـن، موقف النقاد، العزلة التي يعيش فيها الآن، سينما هذا الزمان الصعب، الذهاب إلى المسرح المستحيل، الروايـة الأخيـرة

وظروف كتابتها، المعارك الطويلة على مدى العمر، الطفولة البعيدة، أين المرأة في القصص الأخيرة؟ الحنـين للارتبـاط المنظم بالحياة الأدبية والصحفية، هل سيعود للكتابة السياسية في مصر؟

وهذه العناوين مجرد فقرات من أطول حديث له.

- لا بد من البدء باعتراف صغير وخاص، إنها المرة الأولى التي أجلس فيها مع إحسان عبد القدوس أراه وأسمعه وهو يتكلم، ألقى أمامه، بكل ما لدي من تساؤلات ويرد عليها برحابة صدر نادرة، بدأ أبناء جيلي في التعامل مع الحـرف المكتوب وهو كاتب مشهور ومعروف، وقابلنا كل الأسـاتذة الذين سبقونا وهو وحده الذي لم يلتق به العديد مـن أبنـاء جيلي.

ومن يصدق أن الكاتب الذي تمتلئ قصصه بكل هـذه الحرارة الراعشة والذي يقدم في أدبه هذا المجتمع المترامي الأطراف فرض على نفسه من البداية حالة فريدة من العزلة. قديماً قالوا: إن العزلة الكاملة هي الطعام الحقيقي لأي فنـان صادق، ومن النادر أن تشاهد إحسان عبد القدوس في مكـان أدبي، ومن النادر أن تشاهده يخاطب الجماهير، مع أنه فـي



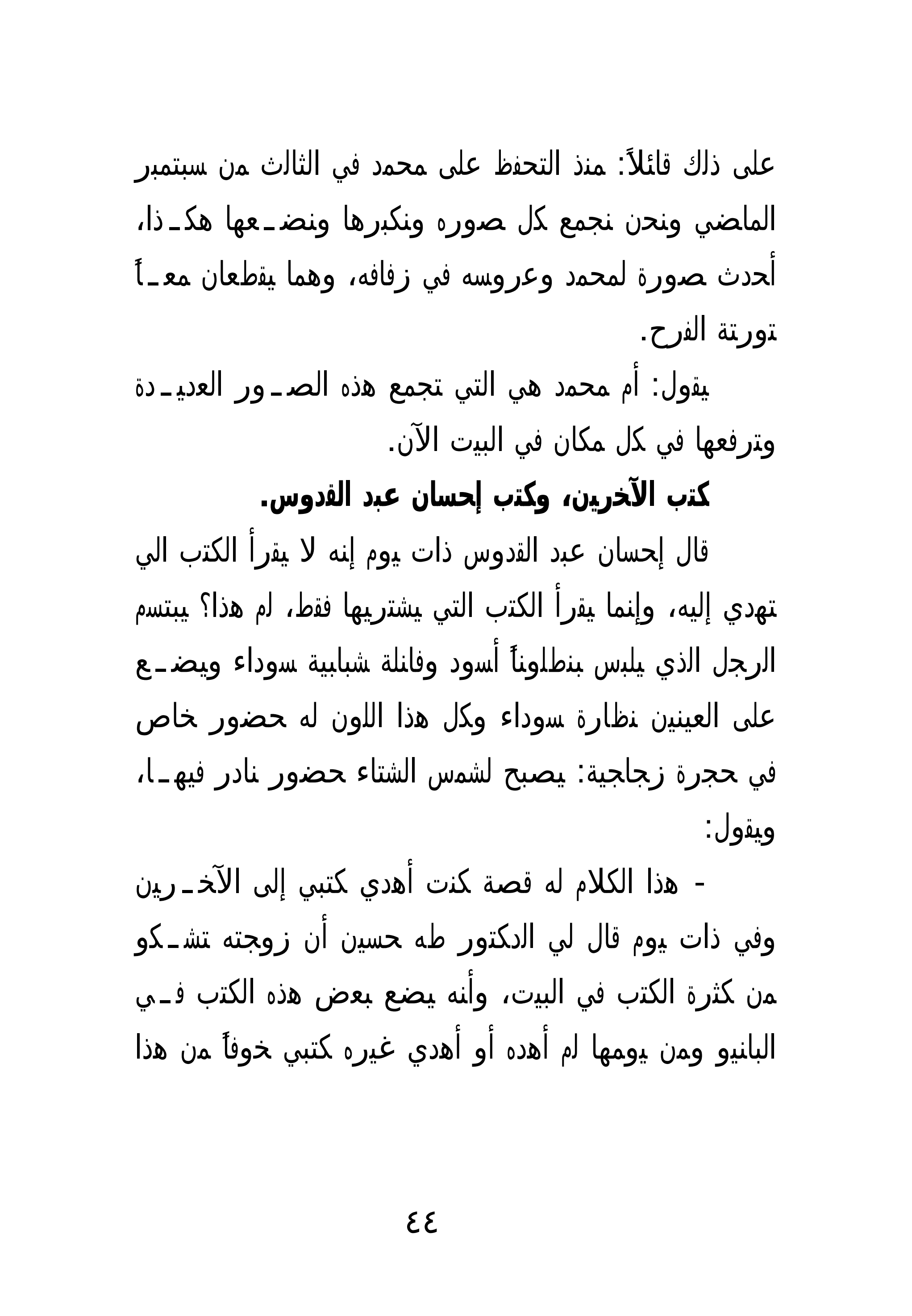
حجرة مكتبه المغلقة جيداً يعيش مع أبطاله، وقصصه بكـل الحرية والجرأة التي لا يتصورها أحد، لا بد من زهو خاص تلك هي المرة الأولى – فيما أعلم – التي يجلس فيها إحسان عبد القودس، ثلاث ساعات يتكلم عن نفسـه وعـن حياتـه برحابة صدر من النوع النادر، حتى الأسئلة التي سببت لـه الألم بالمرارة، تكلم رداً عليها ، مع أنه نادر الأحاديث التـي أدلى بها من قبل، ومع هذا كان كريماً لحد السخاء في الـرد على كل سؤال وجهته إليه.

اللقاء.. زمانه ومكانه

جرى اللقاء في منزل إحسان عبد القدوس شـقة مـن الزمان القديم، الحجرات الواسعة، الطرقات نصف المظلمـة الطويلة الطويلة، البيت الذي يعبق برائحة من نوع خـاص، أول ما تشاهده وراء الباب جرائد اليوم الصادرة في صـباح اليوم، موضوعة في مكان خاص بها، جلسـنا فـي حجـرة مكتبه، حجرة زجاجية، يحيط بها الزجاج من كـل ناحيـة، وراءه صورة قريبة الشبه منه رسمها له جمال كامل وهـو مصلوب، يقول لي: هكذا أفهم وضع المفكر، مصلوب طوال عمره، محاط بعالم من الكتب، وراءه شهادة أمه الخاصة بفن

التمثيل صادرة مـن المملكـة المصـرية، وزارة الأشـغال العمومية، تشجيع التمثيل، والشهادة الخاصة للسـيدة فاطمـة اليوسف صادرة في سنة ١٩٢٥ وخلفه صورة والدة محمـد عبد القدوس وصورة أخرى لمحمد عبد القـدوس وفاطمـة اليوسف ومكتوب تحتها تاريخ الزواج: يونيو سـنة ١٩١٧، يقول إحسان:

- ولدت بعد التقاط هذه الصورة بعامين تمامـاً، فـي مواجهته تماماً مجموعة مجلدات روز اليوسف وصباح الخير – وتحتها أعماله الكاملة ٣٤ كتاباً هي كل نتاجه الأدبي فيها ٥٠٠ قصة ما بين قصيرة وطويلة قدمها على مدى سـنوات عطائه الأدبي وعلى مكتبه العدد الأخير من مجلـة الهـلال ومجلة صباح الخير، وكتاب توثيقي عن معاهدة كامب ديفيد فيه النصوص الأساسية لها، وعدد من نشر التقـدم، النشـرة التي يصدرها حزب التجمع الوحدوي التقدمي الوطني، فوق أعماله الكاملة؛ توجد اللافتة الوحيدة في المكتب وهـي آيـة كريمة من القرآن الكريم (إن ينصركم ا فلا غالب لكم) في مواجهته صور العائلة؛ وأبناءه كريم وشريف، في الحجـرة أكثر من صورة لابنه محمد، المتحفظ عليه الآن يعلـق هـو



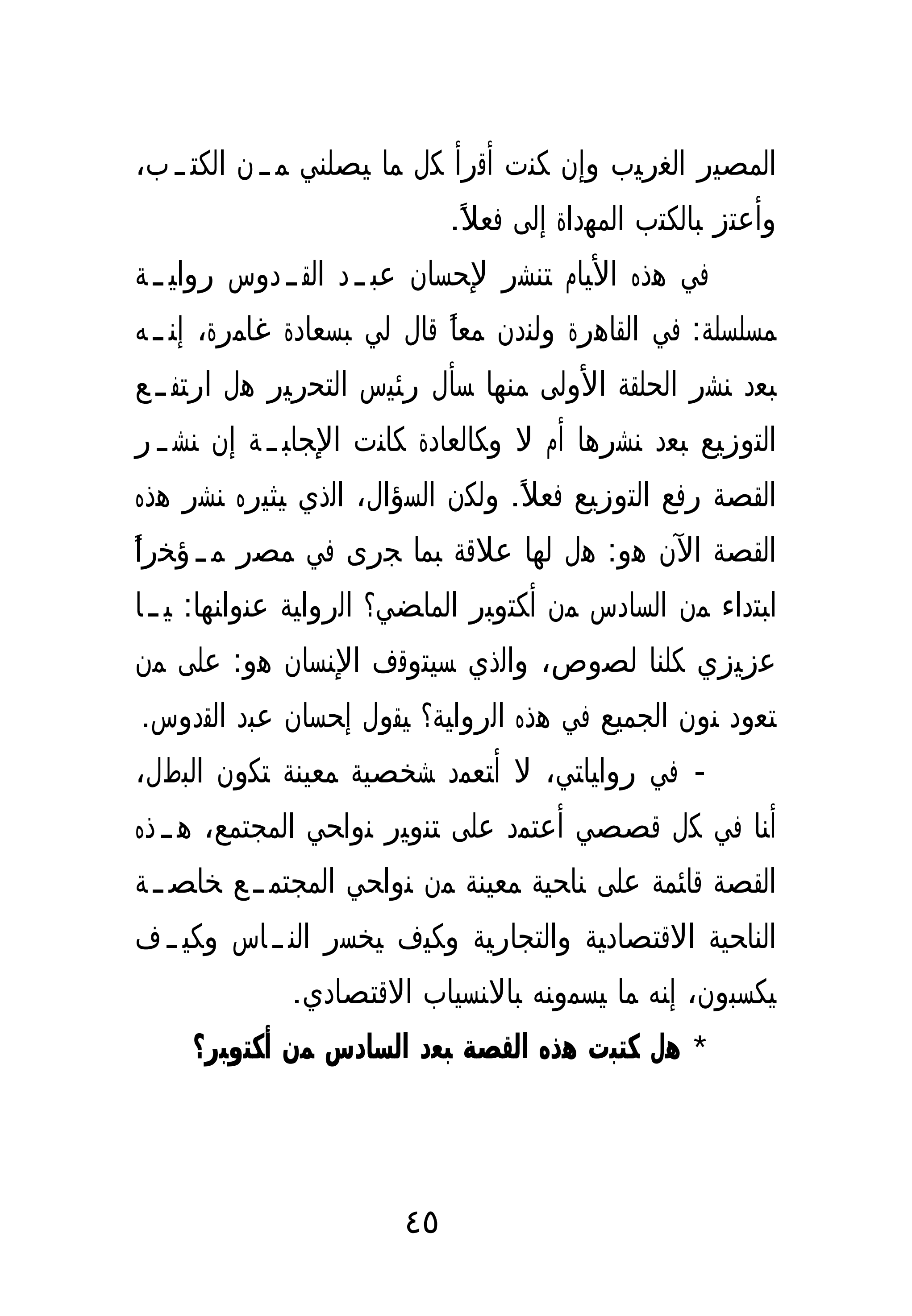
على ذلك قائلاً: منذ التحفظ على محمد في الثالث من سبتمبر الماضي ونحن نجمع كل صوره ونكبرها ونضـعها هكـذا، أحدث صورة لمحمد وعروسه في زفافه، وهما يقطعان معـاً تورتة الفرح.

يقول: أم محمد هي التي تجمع هذه الصـور العديـدة وترفعها في كل مكان في البيت الآن.

كتب الآخرين، وكتب إحسان عبد القدوس.

قال إحسان عبد القدوس ذات يوم إنه لا يقرأ الكتب الي تهدي إليه، وإنما يقرأ الكتب التي يشتريها فقط، لم هذا؟ يبتسم الرجل الذي يلبس بنطلوناً أسود وفانلة شبابية سوداء ويضـع على العينين نظارة سوداء وكل هذا اللون له حضور خاص في حجرة زجاجية: يصبح لشمس الشتاء حضور نادر فيهـا، ويقول:

- هذا الكلام له قصة كنت أهدي كتبي إلى الآخـرين وفي ذات يوم قال لي الدكتور طه حسين أن زوجته تشـكو من كثرة الكتب في البيت، وأنه يضع بعض هذه الكتب فـي البانيو ومن يومها لم أهده أو أهدي غيره كتبي خوفاً من هذا

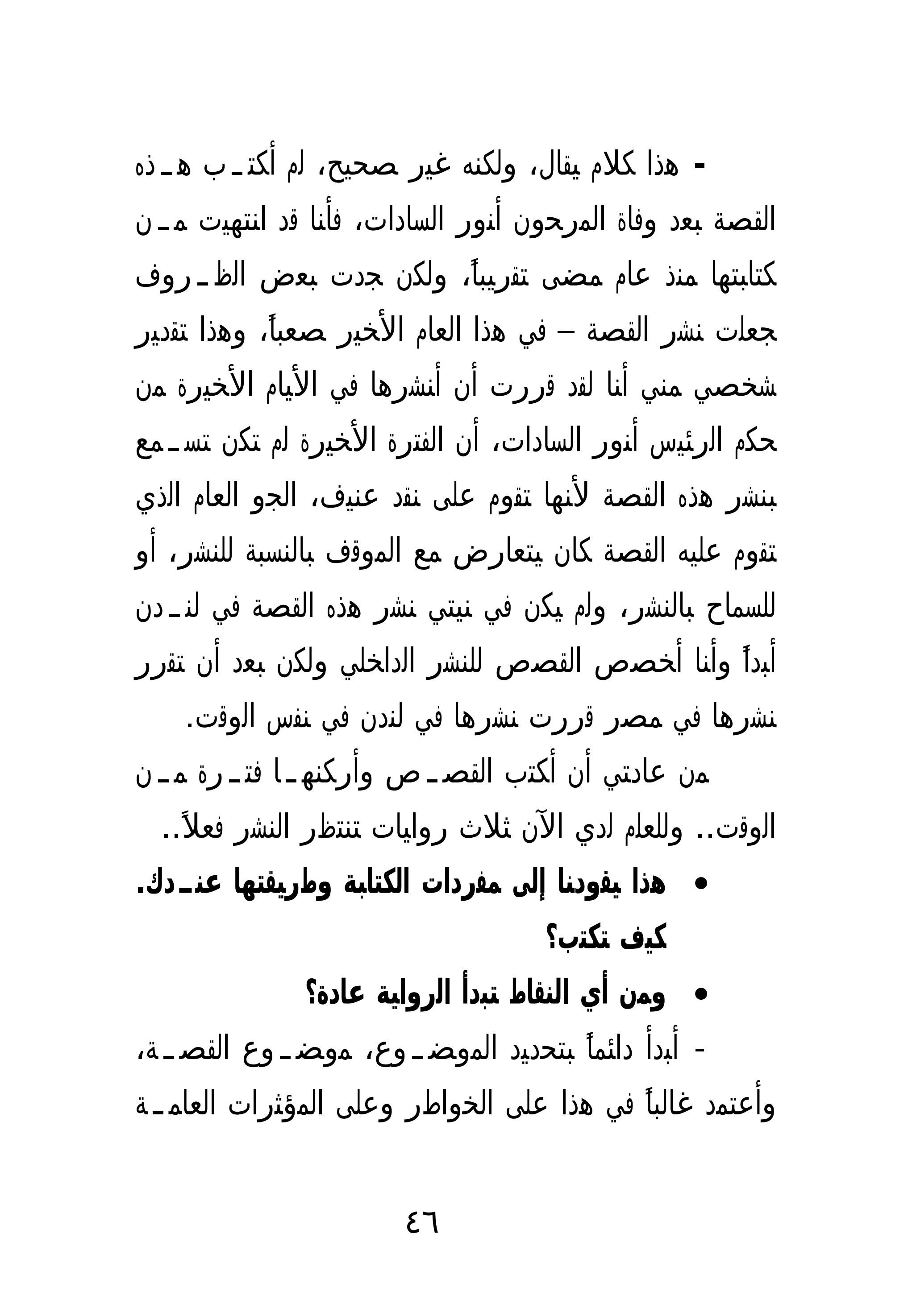


المصير الغريب وإن كنت أقرأ كل ما يصلني مـن الكتـب، وأعتز بالكتب المهداة إلى فعلاً.

في هذه الأيام تنشر لإحسان عبـد القـدوس روايـة مسلسلة: في القاهرة ولندن معاً قال لي بسعادة غامرة، إنـه بعد نشر الحلقة الأولى منها سأل رئيس التحرير هل ارتفـع التوزيع بعد نشرها أم لا وكالعادة كانت الإجابـة إن نشـر القصة رفع التوزيع فعلاً. ولكن السؤال، الذي يثيره نشر هذه القصة الآن هو: هل لها علاقة بما جرى في مصر مـؤخراً ابتداء من السادس من أكتوبر الماضي؟ الرواية عنوانها: يـا عزيزي كلنا لصوص، والذي سيتوقف الإنسان هو: على من تعود نون الجميع في هذه الرواية؟ يقول إحسان عبد القدوس.

- في رواياتي، لا أتعمد شخصية معينة تكون البطل، أنا في كل قصصي أعتمد على تنوير نواحي المجتمع، هـذه القصة قائمة على ناحية معينة من نواحي المجتمـع خاصـة الناحية الاقتصادية والتجارية وكيف يخسر النـاس وكيـف يكسبون، إنه ما يسمونه بالانسياب الاقتصادي.

*** هل كتبت هذه القصة بعد السادس من أكتوبر؟**



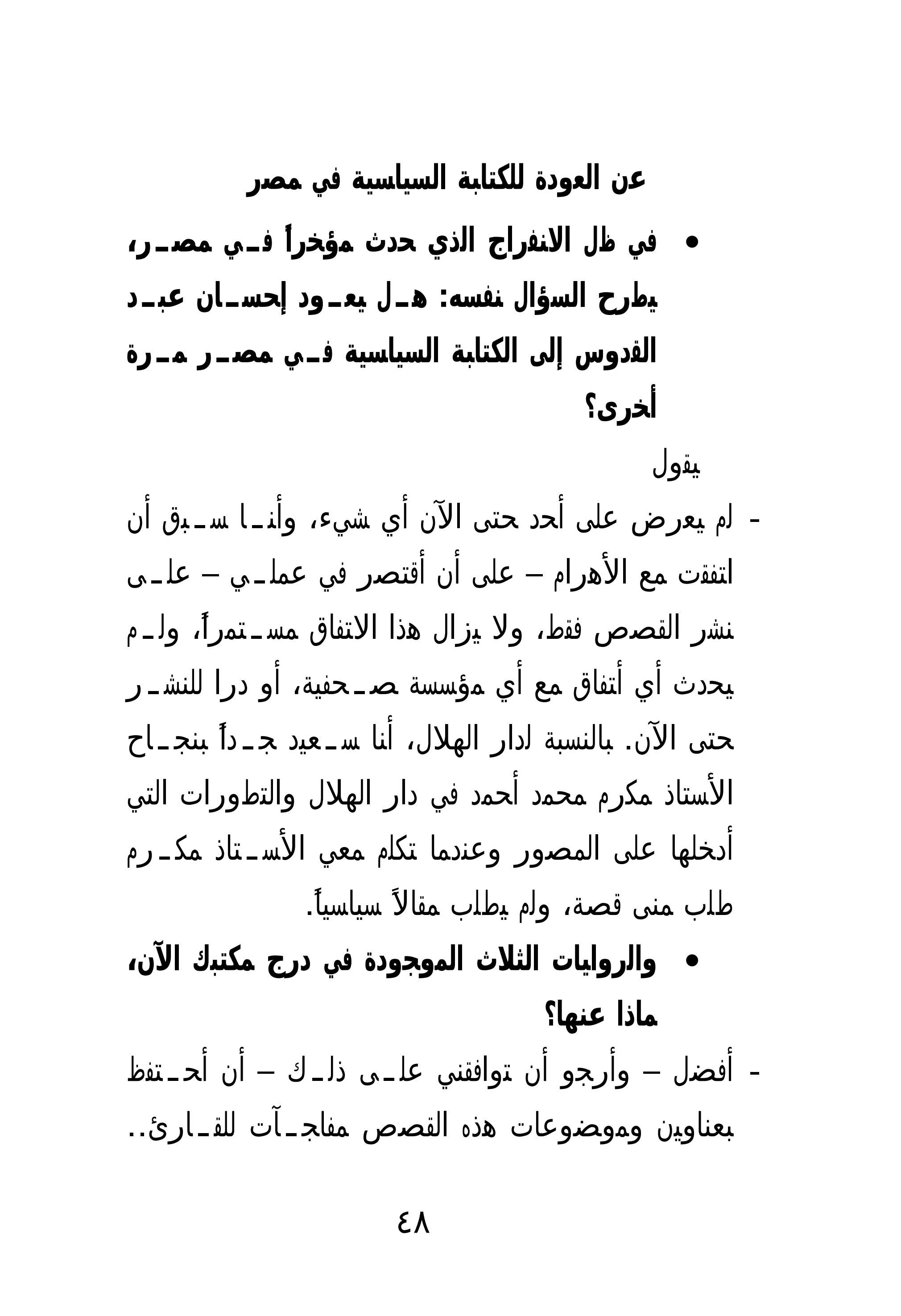
- هذا كلام يقال، ولكنه غير صحيح، لم أكتـب هـذه القصة بعد وفاة المرحوم أنور السادات، فأنا قد انتهيت مـن كتابتها منذ عام مضى تقريباً، ولكن جدت بعض الظـروف جعلت نشر القصة – في هذا العام الأخير صعباً، وهذا تقدير شخصي مني أنا لقد قررت أن أنشرها في الأيام الأخيرة من حكم الرئيس أنور السادات، أن الفترة الأخيرة لم تكن تسـمع بنشر هذه القصة لأنها تقوم على نقد عنيف، الجو العام الذي تقوم عليه القصة كان يتعارض مع الموقف بالنسبة للنشر، أو للسماح بالنشر، ولم يكن في نيتي نشر هذه القصة في لنـدن أبداً وأنا أخصص القصص للنشر الداخلي ولكن بعد أن تقرر نشرها في مصر قررت نشرها في لندن في نفس الوقت.

من عادتي أن أكتب القصـص وأركنهـا فتـرة مـن الوقت.. وللعلم لدي الآن ثلاث روايات تنتظر النشر فعلاً..

- **هذا يقودنا إلى مفردات الكتابة وطريقتها عنـدك. كيف تكتب؟**
- **ومن أي النقاط تبدأ الرواية عادة؟**

- أبدأ دائماً بتحديد الموضـوع، موضـوع القصـة، وأعتمد غالباً في هذا على الخواطر وعلى المؤثرات العامـة

التي تؤثر على خواطر أي إنسان، وبعد أن أقرر الموضوع أبدأ في تحديد الأحداث والشخصيات، التي تعبر عن رأيـي في هذا الموضوع، وهذا قد يستغرق مني عدة شهور وأحياناً سنة كاملة وأنا تائه بخيالي في موضوع القصة إلى أن أستقر على صورة كاملة، فأبدأ الكتابة بعد أن أكون قد حددت النقاط التي ترسم القصة، كتابة القصة ليست سهلة بالنسـبة لـي، ولكنها أكثر إمتاعاً لي – وأنا أكتب – مـن كتابـة المقـال السياسي، عندما أكتب القصة أشعر أني منفعل كلياً، ولكن في المقال السياسي أعتمد فقط على التفكير العقلي، القصة تشمل إحساس الكاتب أيضاً، والتعبير عن إحساس وهو يكتب دائماً، أحياناً أقول إن كاتب القصـة كالممثـل ، فالممثـل يمثـل الشخصيات على المسرح والكاتب يمثل هذه الشخصيات على الورق بقلمه.



عن العودة للكتابة السياسية في مصر

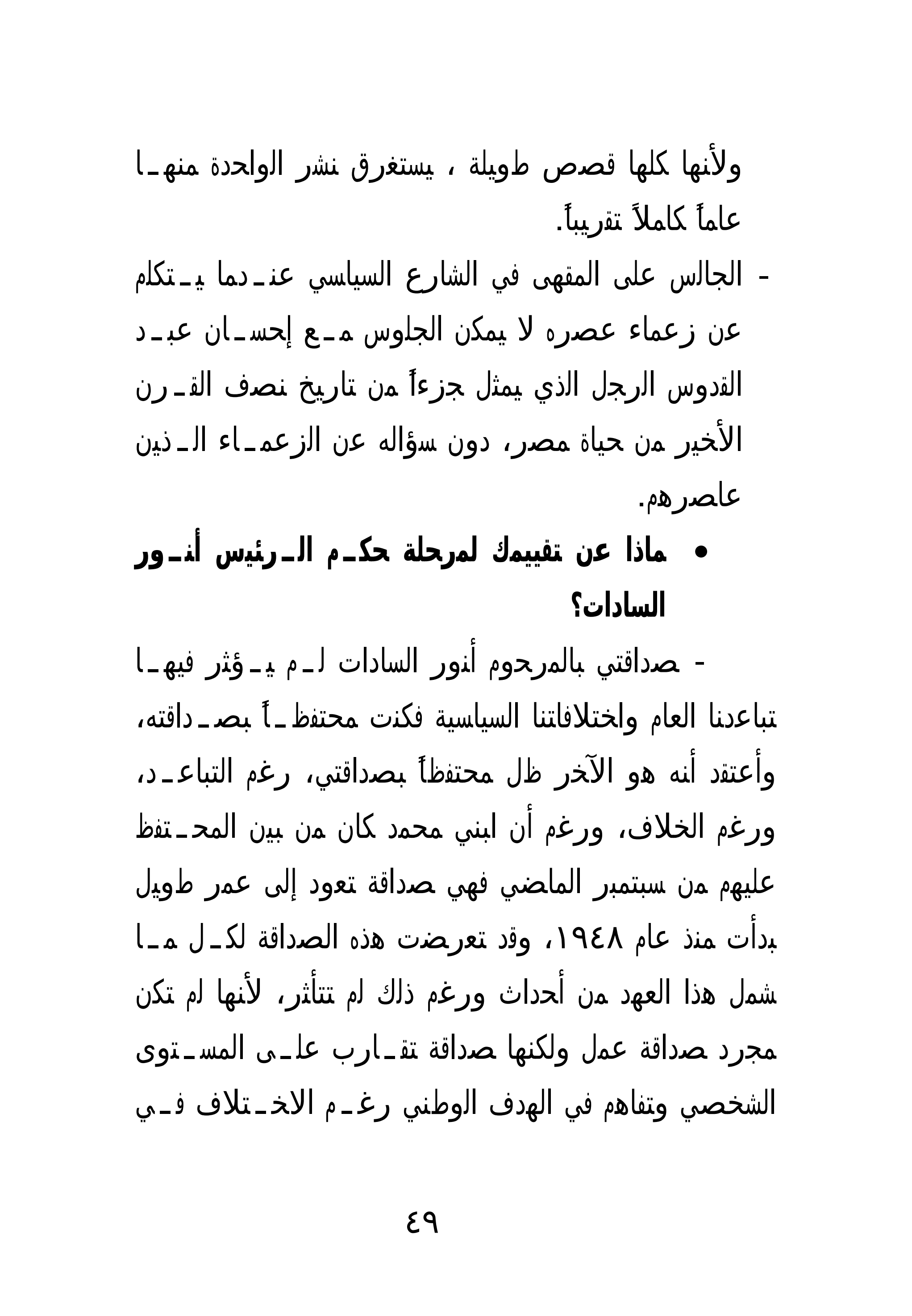
- **في ظل الانفراج الذي حدث مؤخراً فـي مصـر، يطرح السؤال نفسه: هـل يعـود إحسـان عبـد القدوس إلى الكتابة السياسية فـي مصـر مـرة أخرى؟**

يقول

- لم يعرض على أحد حتى الآن أي شيء، وأنـا سـبق أن اتفقت مع الأهرام – على أن أقتصر في عملـي – علـى نشر القصص فقط، ولا يزال هذا الاتفاق مسـتمراً، ولـم يحدث أي أتفاق مع أي مؤسسة صـحفية، أو درا للنشـر حتى الآن. بالنسبة لدار الهلال، أنا سـعيد جـداً بنجـاح الأستاذ مكرم محمد أحمد في دار الهلال والتطورات التي أدخلها على المصور وعندما تكلم معي الأسـتاذ مكـرم طلب منى قصة، ولم يطلب مقالاً سياسياً.

- **والروايات الثلاث الموجودة في درج مكتبك الآن، ماذا عنها؟**

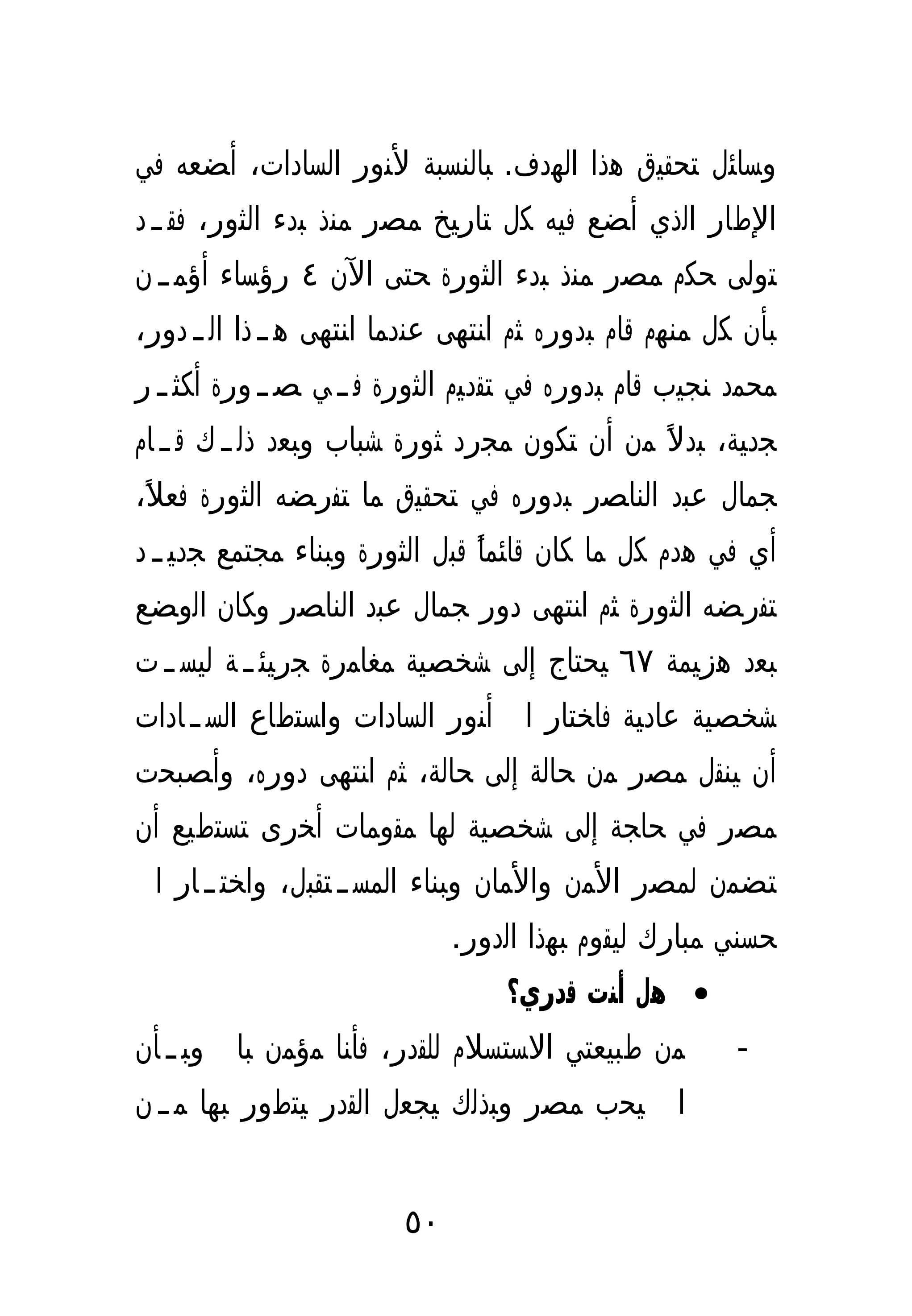
- أفضل – وأرجو أن توافقني علـى ذلـك – أن أحـتفظ بعناوين وموضوعات هذه القصص مفاجـآت للقـارئ..


ولأنها كلها قصص طويلة ، يستغرق نشر الواحدة منهـا عاماً كاملاً تقريباً.

- الجالس على المقهى في الشارع السياسي عنـدما يـتكلم عن زعماء عصره لا يمكن الجلوس مـع إحسـان عبـد القدوس الرجل الذي يمثل جزءاً من تاريخ نصف القـرن الأخير من حياة مصر، دون سؤاله عن الزعمـاء الـذين عاصرهم.

- **ماذا عن تقييمك لمرحلة حكـم الـرئيس أنـور السادات؟**

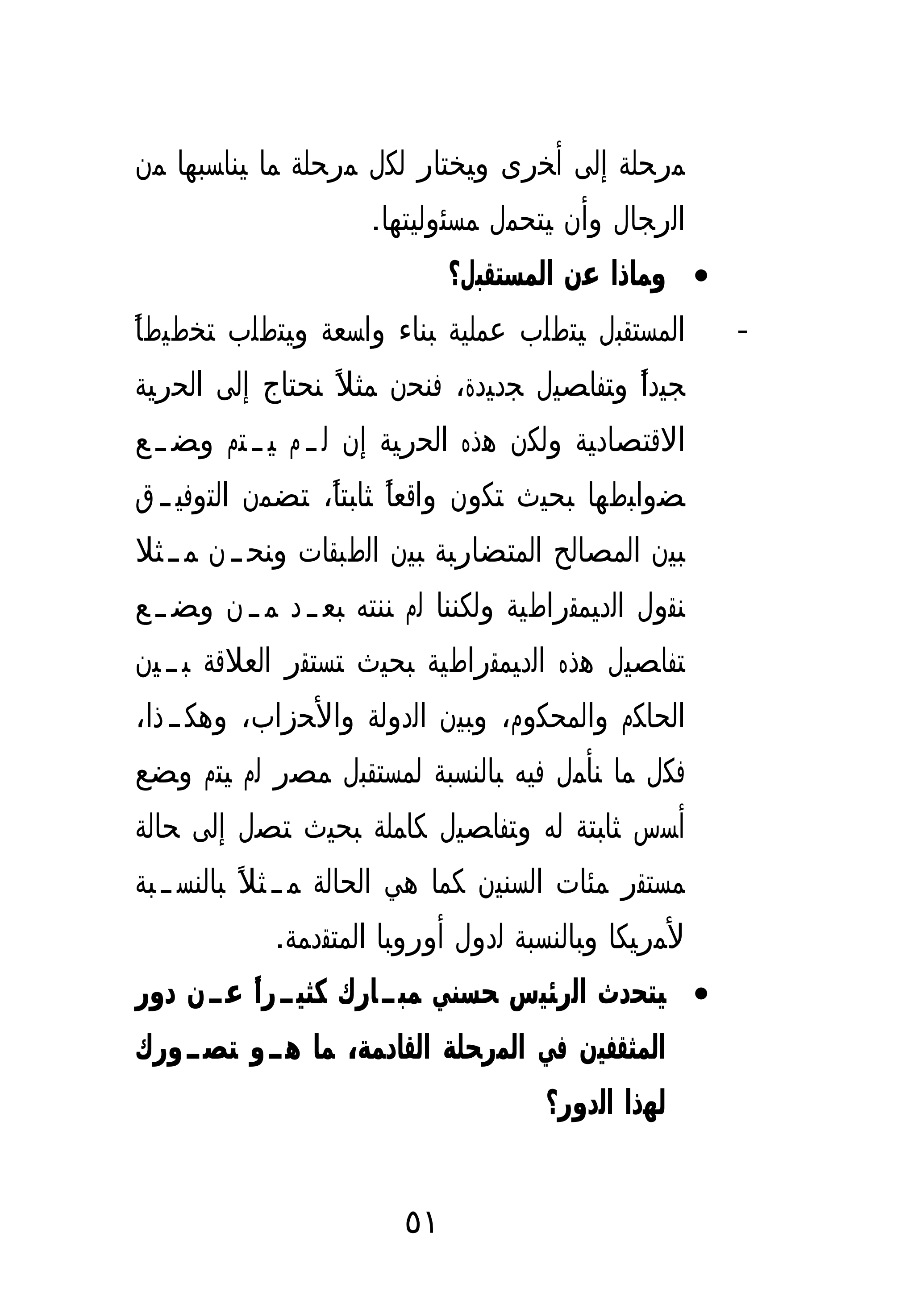
- صداقتي بالمرحوم أنور السادات لـم يـؤثر فيهـا تباعدنا العام واختلافاتنا السياسية فكنت محتفظـاً بصـداقته، وأعتقد أنه هو الآخر ظل محتفظاً بصداقتي، رغم التباعـد، ورغم الخلاف، ورغم أن ابني محمد كان من بين المحـتفظ عليهم من سبتمبر الماضي فهي صداقة تعود إلى عمر طويل بدأت منذ عام ١٩٤٨، وقد تعرضت هذه الصداقة لكـل مـا شمل هذا العهد من أحداث ورغم ذلك لم تتأثر، لأنها لم تكن مجرد صداقة عمل ولكنها صداقة تقـارب علـى المسـتوى الشخصي وتفاهم في الهدف الوطني رغـم الاخـتلاف فـي



وسائل تحقيق هذا الهدف. بالنسبة لأنور السادات، أضعه في الإطار الذي أضع فيه كل تاريخ مصر منذ بدء الثور، فقـد تولى حكم مصر منذ بدء الثورة حتى الآن ٤ رؤساء أؤمـن بأن كل منهم قام بدوره ثم انتهى عندما انتهى هـذا الـدور، محمد نجيب قام بدوره في تقديم الثورة فـي صـورة أكثـر جدية، بدلاً من أن تكون مجرد ثورة شباب وبعد ذلـك قـام جمال عبد الناصر بدوره في تحقيق ما تفرضه الثورة فعلاً، أي في هدم كل ما كان قائماً قبل الثورة وبناء مجتمع جديـد تفرضه الثورة ثم انتهى دور جمال عبد الناصر وكان الوضع بعد هزيمة ٦٧ يحتاج إلى شخصية مغامرة جريئـة ليسـت شخصية عادية فاختار ا   أنور السادات واستطاع السـادات أن ينقل مصر من حالة إلى حالة، ثم انتهى دوره، وأصبحت مصر في حاجة إلى شخصية لها مقومات أخرى تستطيع أن تضمن لمصر الأمن والأمان وبناء المسـتقبل، واختـار ا   حسني مبارك ليقوم بهذا الدور.

- **هل أنت قدري؟**

- من طبيعتي الاستسلام للقدر، فأنا مؤمن با   وبـأن ا   يحب مصر وبذلك يجعل القدر يتطور بها مـن

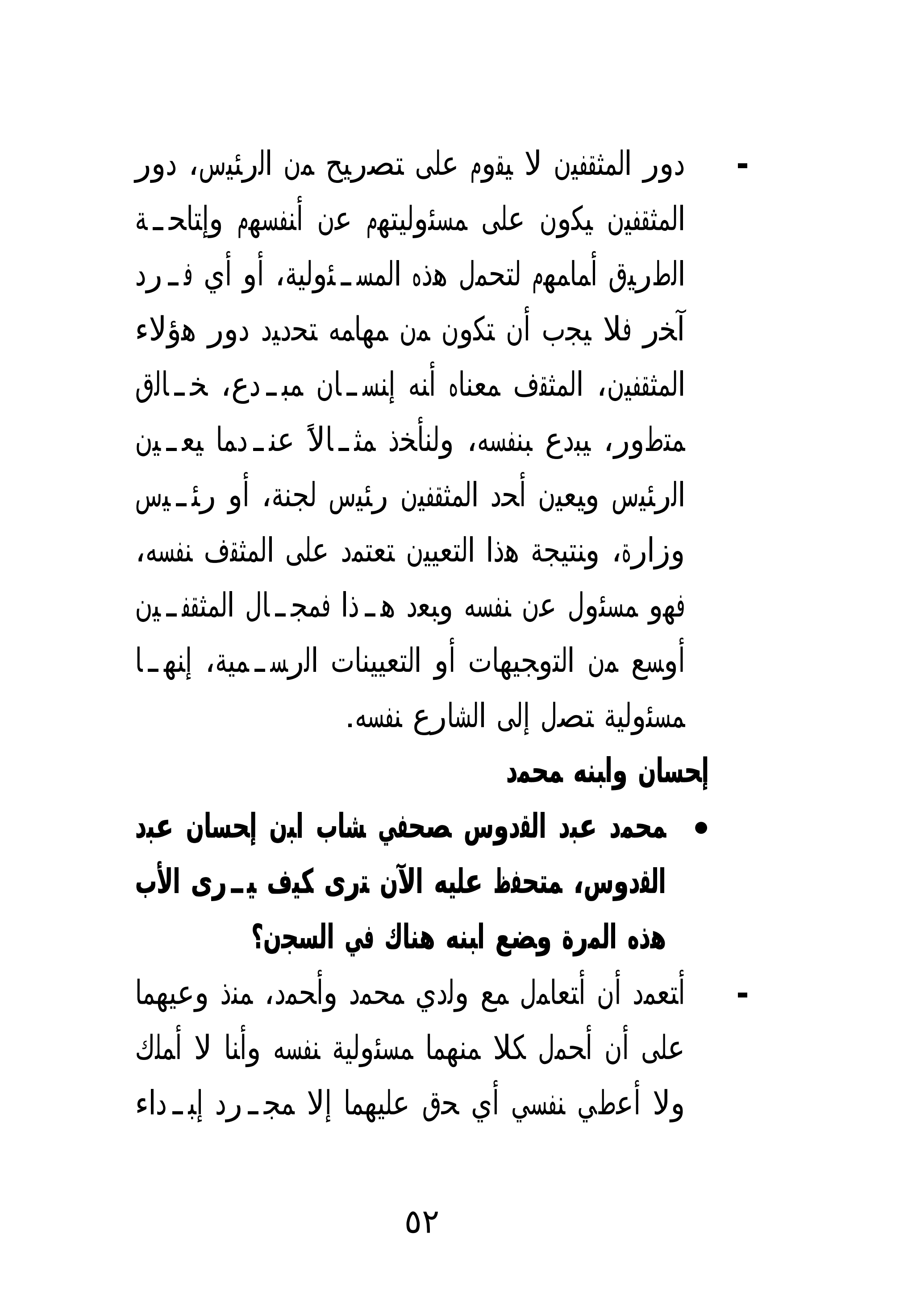


مرحلة إلى أخرى ويختار لكل مرحلة ما يناسبها من الرجال وأن يتحمل مسئوليتها.

- **وماذا عن المستقبل؟**

- المستقبل يتطلب عملية بناء واسعة ويتطلب تخطيطاً جيداً وتفاصيل جديدة، فنحن مثلاً نحتاج إلى الحرية الاقتصادية ولكن هذه الحرية إن لـم يـتم وضـع ضوابطها بحيث تكون واقعاً ثابتاً، تضمن التوفيـق بين المصالح المتضاربة بين الطبقات ونحـن مـثلا نقول الديمقراطية ولكننا لم ننته بعـد مـن وضـع تفاصيل هذه الديمقراطية بحيث تستقر العلاقة بـين الحاكم والمحكوم، وبين الدولة والأحزاب، وهكـذا، فكل ما نأمل فيه بالنسبة لمستقبل مصر لم يتم وضع أسس ثابتة له وتفاصيل كاملة بحيث تصل إلى حالة مستقر مئات السنين كما هي الحالة مـثلاً بالنسـبة لأمريكا وبالنسبة لدول أوروبا المتقدمة.

- **يتحدث الرئيس حسني مبـارك كثيـراً عـن دور المثقفين في المرحلة القادمة، ما هـو تصـورك لهذا الدور؟**

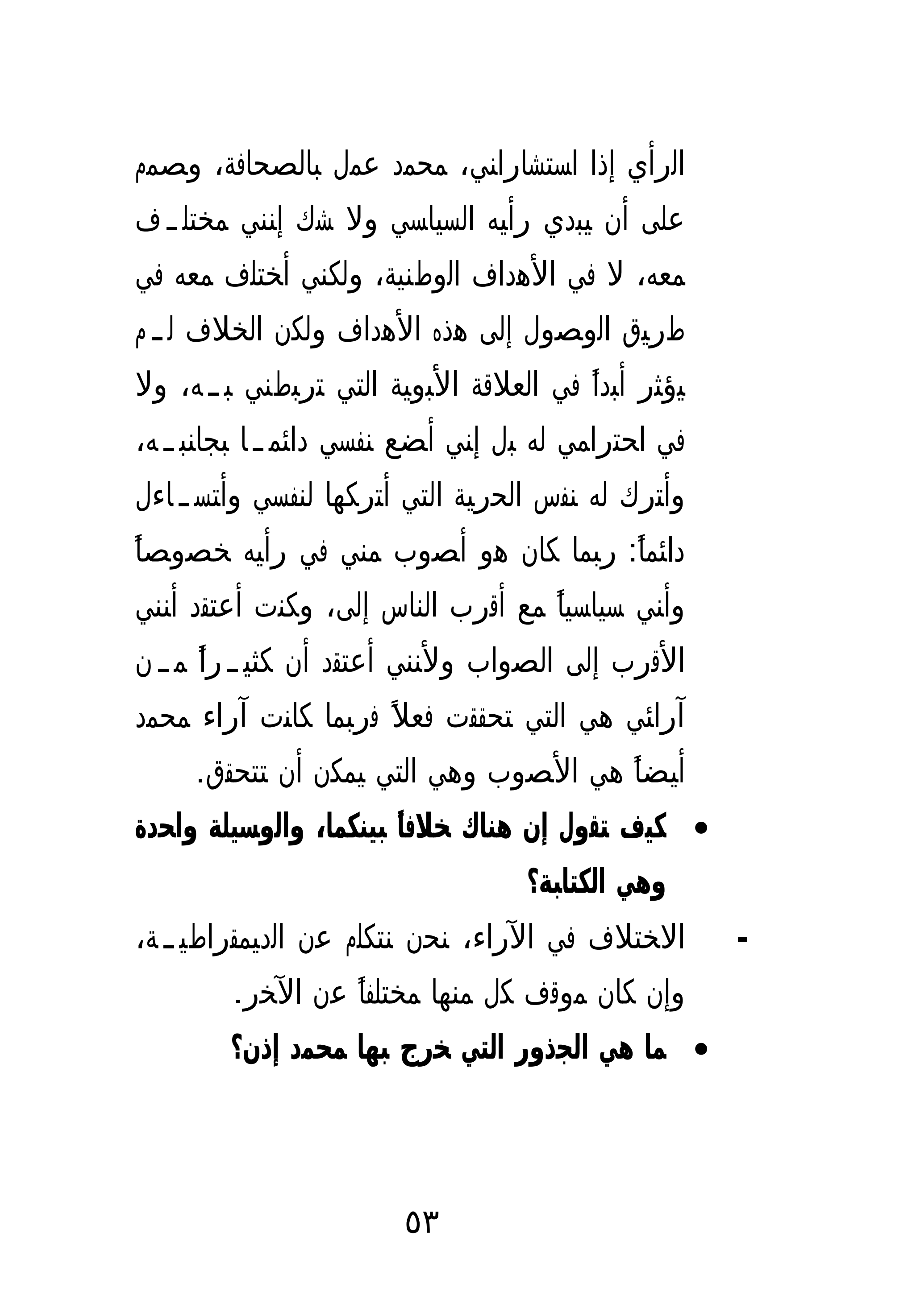


- دور المثقفين لا يقوم على تصريح من الرئيس، دور المثقفين يكون على مسئوليتهم عن أنفسهم وإتاحـة الطريق أمامهم لتحمل هذه المسـئولية، أو أي فـرد آخر فلا يجب أن تكون من مهامه تحديد دور هؤلاء المثقفين، المثقف معناه أنه إنسـان مبـدع، خـالق متطور، يبدع بنفسه، ولنأخذ مثـالاً عنـدما يعـين الرئيس ويعين أحد المثقفين رئيس لجنة، أو رئـيس وزارة، ونتيجة هذا التعيين تعتمد على المثقف نفسه، فهو مسئول عن نفسه وبعد هـذا فمجـال المثقفـين أوسع من التوجيهات أو التعيينات الرسـمية، إنهـا مسئولية تصل إلى الشارع نفسه.

إحسان وابنه محمد

- **محمد عبد القدوس صحفي شاب ابن إحسان عبد القدوس، متحفظ عليه الآن ترى كيف يـرى الأب هذه المرة وضع ابنه هناك في السجن؟**

- أتعمد أن أتعامل مع ولدي محمد وأحمد، منذ وعيهما على أن أحمل كلا منهما مسئولية نفسه وأنا لا أملك ولا أعطي نفسي أي حق عليهما إلا مجـرد إبـداء



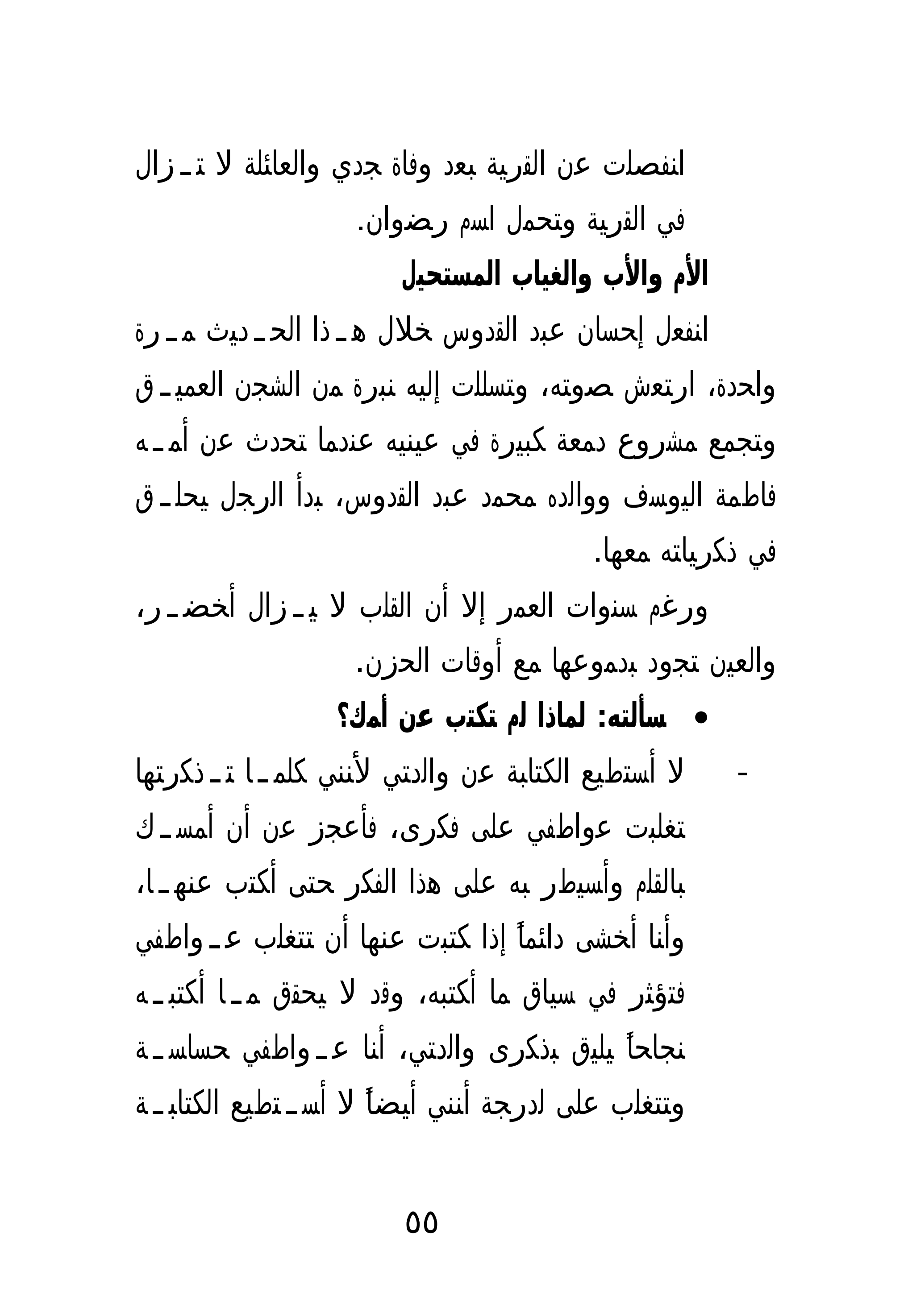
الرأي إذا استشاراني، محمد عمل بالصحافة، وصمم على أن يبدي رأيه السياسي ولا شك إنني مختلـف معه، لا في الأهداف الوطنية، ولكني أختلف معه في طريق الوصول إلى هذه الأهداف ولكن الخلاف لـم يؤثر أبداً في العلاقة الأبوية التي تربطني بـه، ولا في احترامي له بل إني أضع نفسي دائمـا بجانبـه، وأترك له نفس الحرية التي أتركها لنفسي وأتسـاءل دائماً: ربما كان هو أصوب مني في رأيه خصوصاً وأني سياسياً مع أقرب الناس إلى، وكنت أعتقد أنني الأقرب إلى الصواب ولأنني أعتقد أن كثيـراً مـن آرائي هي التي تحققت فعلاً فربما كانت آراء محمد أيضاً هي الأصوب وهي التي يمكن أن تتحقق.

- **كيف تقول إن هناك خلافاً بينكما، والوسيلة واحدة وهي الكتابة؟**

- الاختلاف في الآراء، نحن نتكلم عن الديمقراطيـة، وإن كان موقف كل منها مختلفاً عن الآخر.

- **ما هي الجذور التي خرج بها محمد إذن؟**

- - قد لا يعلم الناس أنني من عائلـة متدينـة كلهـا، محمد ليس غريباً في اتجاهه عـن العائلـة، جـدي الشيخ أحمد رضوان كان من خريجي الأزهر، ومن رجال القضاء الشرعي وكـان شخصـية متحفظـة بحكم تدينه، واشترك في الحياة السياسية وإن كـان معجباً بالفن في حدود هذا التدين وكان يحضر عنده كل المطربين، عبده الحامولي ورجال عصره مـن أهل الفن وقد أطلق على ابنه اسم عمنا عبد القدوس رضوان وعبد القدوس اسم عازف ناي كان جـدي معجباً به ومع الأيام ضاع اسم رضوان وأصبح أبي يحمل اسم عبد القدوس وهو الوحيد الذي يحمل هذا الاسم في العائلة، وباقي العائلة لا يزال يحمل اسـم رضوان وقد لا يعلم الكثيرون أننا من القرية أصلاً، فنحن من قرية شبرا اليمن التابعة لقرية كفر مأمونة من محافظة الغربية وكنا نملك هناك خمسـة أفدنـة وكنت أتردد على هذه القرية حتـى سـن العاشـرة وكنت أقضي فترة كل سنة فـي هـذه القريـة ثـم



انفصلت عن القرية بعد وفاة جدي والعائلة لا تزال في القرية وتحمل اسم رضوان.

الأم والأب والغياب المستحيل

انفعل إحسان عبد القدوس خلال هذا الحديث مرة واحدة، ارتعش صوته، وتسللت إليه نبرة من الشجن العميق وتجمع مشروع دمعة كبيرة في عينيه عندما تحدث عن أمه فاطمة اليوسف ووالده محمد عبد القدوس، بدأ الرجل يحلق في ذكرياته معها.

ورغم سنوات العمر إلا أن القلب لا يزال أخضر، والعين تجود بدموعها مع أوقات الحزن.

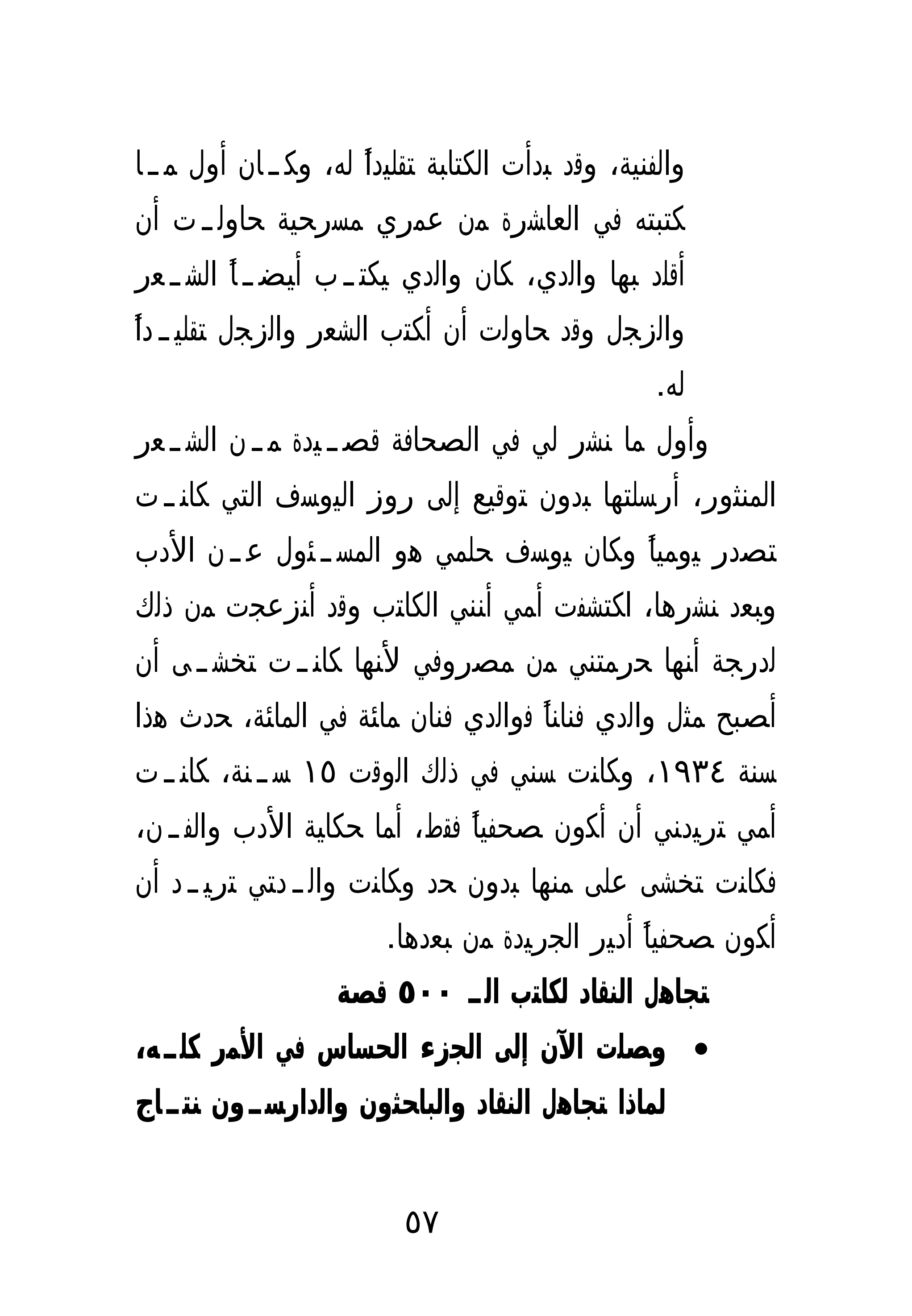
- **سألته: لماذا لم تكتب عن أمك؟**

- لا أستطيع الكتابة عن والدتي لأنني كلما تذكرتها تغلبت عواطفي على فكرى، فأعجز عن أن أمسك بالقلم وأسيطر به على هذا الفكر حتى أكتب عنها، وأنا أخشى دائماً إذا كتبت عنها أن تتغلب عواطفي فتؤثر في سياق ما أكتبه، وقد لا يحقق ما أكتبه نجاحاً يليق بذكرى والدتي، أنا عواطفي حساسة وتتغلب على لدرجة أنني أيضاً لا أستطيع الكتابة

عن والدي الأستاذ محمد عبد القدوس الذي أعتبره قمة من قمم الفن سواء في التمثيل أو في الكتابة المسرحية.

- **هل كان والدك كاتباً؟.**

- نعم والدي كتب ٣ مسرحيات كانت في أيامه تعتبر تطوراً في المسرح العربي ومثلت على مسرح الأزبكية، مثلت إحداها عزيزة أمير، أذكر منها: «ناهد شاه» وهي مسرحية استعراضية ومسرحية «معروف الإسكافي» ومسرحية أطلق عليها والدي «إحسان بيك». وقد تعمد أن تعرض في المسرح في يوم عيد ميلادي، وأذكر أنه في يوم عرضها أن أخذني وركبنا معا الترام فأخذ يشير إلى الإعلانات المسرحية وكلها تحمل اسم «إحسان بيك»، كان هذا اليوم من أجمل أيام عمري وهذه المسرحية تحولت إلى فيلم سينمائي هو الثاني في تاريخ السينما المصرية وكان اسمه بنت النيل، وكنت أذهب مع والدي عندما كان يذهب إلى السيدة عزيزة أمير لكي يكتب السيناريو، وأنا أدين لوالدي بهواياتي الأدبية

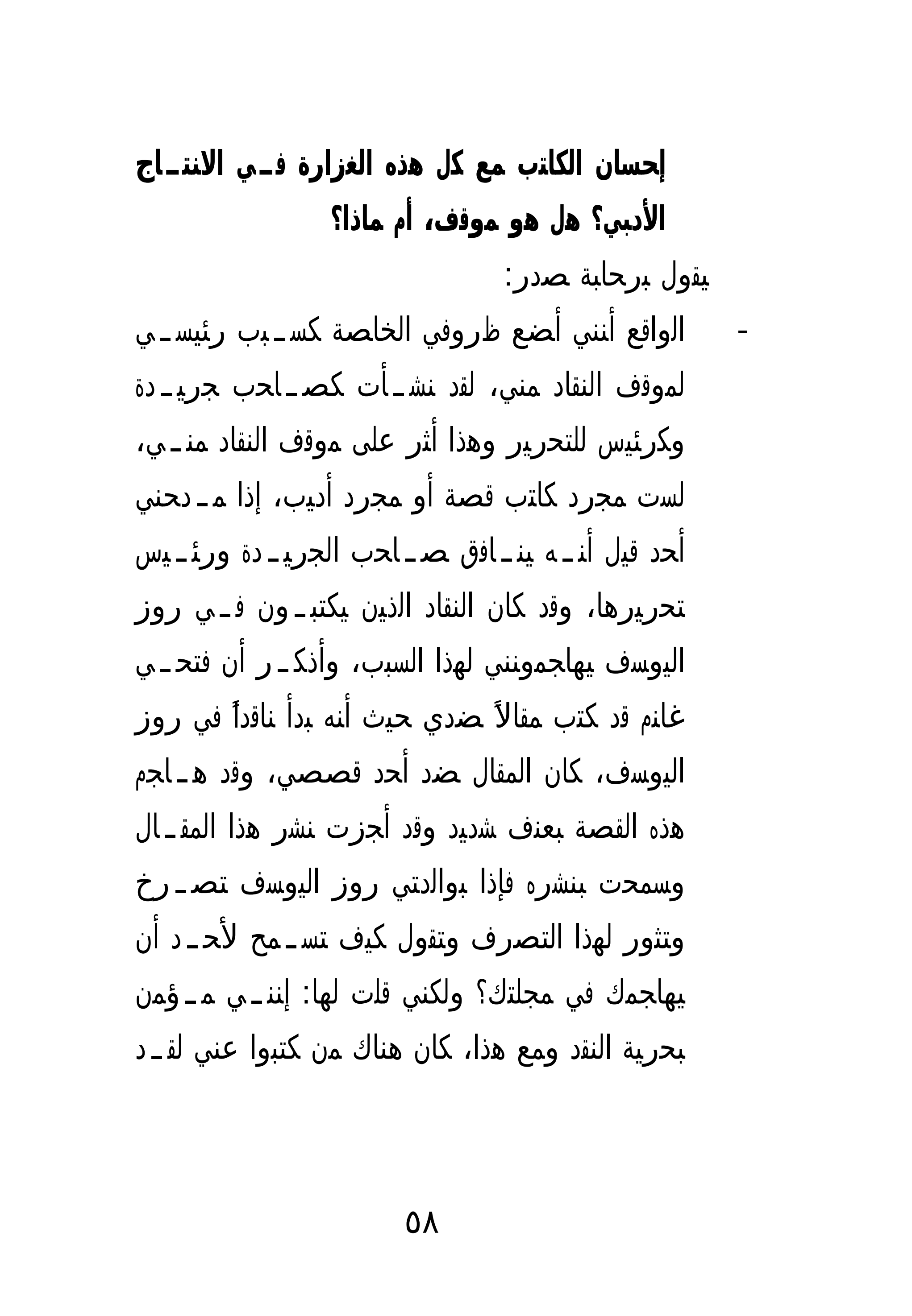


والفنية، وقد بدأت الكتابة تقليداً له، وكـان أول مـا كتبته في العاشرة من عمري مسرحية حاولـت أن أقلد بها والدي، كان والدي يكتـب أيضـاً الشـعر والزجل وقد حاولت أن أكتب الشعر والزجل تقليـداً له.

وأول ما نشر لي في الصحافة قصـيدة مـن الشـعر المنثور، أرسلتها بدون توقيع إلى روز اليوسف التي كانـت تصدر يومياً وكان يوسف حلمي هو المسـئول عـن الأدب وبعد نشرها، اكتشفت أمي أنني الكاتب وقد أنزعجت من ذلك لدرجة أنها حرمتني من مصروفي لأنها كانـت تخشـى أن أصبح مثل والدي فناناً فوالدي فنان مائة في المائة، حدث هذا سنة ١٩٣٤، وكانت سني في ذلك الوقت ١٥ سـنة، كانـت أمي تريدني أن أكون صحفياً فقط، أما حكاية الأدب والفـن، فكانت تخشى على منها بدون حد وكانت والـدتي تريـد أن أكون صحفياً أدير الجريدة من بعدها.

تجاهل النقاد لكاتب الـ ٥٠٠ قصة

- **وصلت الآن إلى الجزء الحساس في الأمر كلـه، لماذا تجاهل النقاد والباحثون والدارسـون نتـاج**



إحسان الكاتب مع كل هذه الغزارة في الانتاج الأدبي؟ هل هو موقف، أم ماذا؟

يقول برحابة صدر:

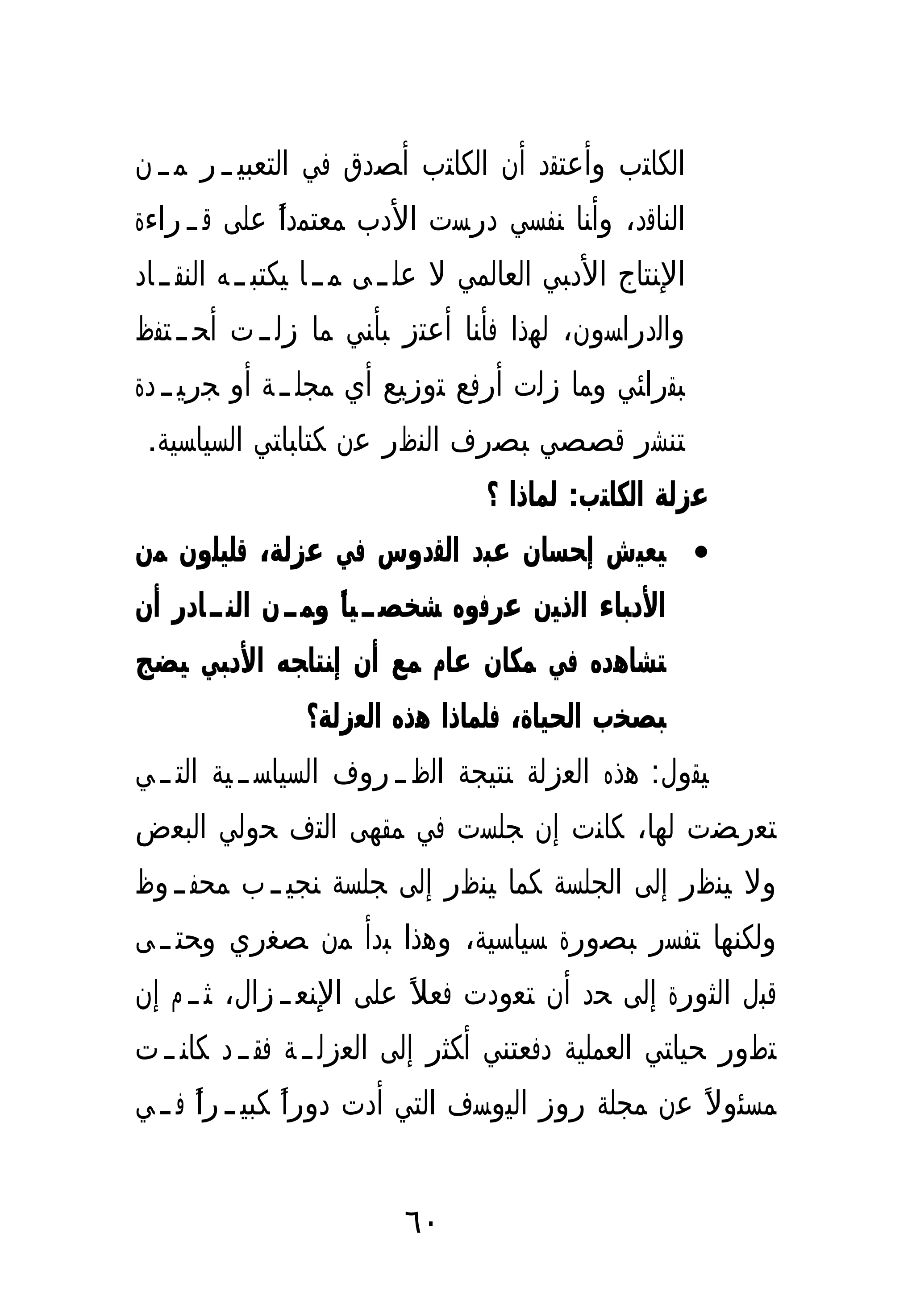
- الواقع أنني أضع ظروفي الخاصة كسبب رئيسي لموقف النقاد مني، لقد نشأت كصاحب جريدة وكرئيس للتحرير وهذا أثر على موقف النقاد مني، لست مجرد كاتب قصة أو مجرد أديب، إذا مدحني أحد قيل أنه ينافق صاحب الجريدة ورئيس تحريرها، وقد كان النقاد الذين يكتبون في روز اليوسف يهاجمونني لهذا السبب، وأذكر أن فتحي غانم قد كتب مقالاً ضدي حيث أنه بدأ ناقداً في روز اليوسف، كان المقال ضد أحد قصصي، وقد هاجم هذه القصة بعنف شديد وقد أجزت نشر هذا المقال وسمحت بنشره فإذا بوالدتي روز اليوسف تصرخ وتثور لهذا التصرف وتقول كيف تسمح لأحد أن يهاجمك في مجلتك؟ ولكني قلت لها: إنني مؤمن بحرية النقد ومع هذا، كان هناك من كتبوا عني لقد

كتب توفيق الحكيم، والدكتور لويس عوض، ويحيى حقي، كتبوا عنى بصورة جيدة.

في بعض الأحيان الأخرى، كان النقاد يهاجمونني، أو يتجاهلون إنتاجي بسبب بعض الظروف السياسية، مثلاً اتهامي أنني كاتب جنس لم يكن قائماً على دراسة لإنتاجي الأدبي، ولكنه ينطلق من موقف سياسي ضدي فأنا لا أتعمد كتابة الجنس أبداً ، ومشاهد الجنس في قصصي ليست متعمدة، وهي أقل إثارة من مشاهد الجنس في كثير من القصص التي يكتبها كتاب آخرون، وعندما نوقشت روايتي (أنف وثلاث عيون) في مجلس الأمة المصري، كان الدفع لذلك سياسياً أيضا وليس أدبياً. وأنا أعتقد أن طبيعتي هي التي تدفعني إلى التحرر الكامل عندما أكتب، وهذه الطبيعة جعلت لي لوناً غريباً عن اللون العادي من الكتاب ولهذا سيتطلب إنتاجي الأدبي وقتاً طويلاً حتى يجد من يقدم دراسة نقدية.

- **هل جماهيريتك هي التي جعلت النقاد يعادونك؟**

- هذا يعود أساساً إلى قيمة الكاتب وجديته، أنا الآن أعتمد على رأي القارئ أكثر مما أعتمد على رأي



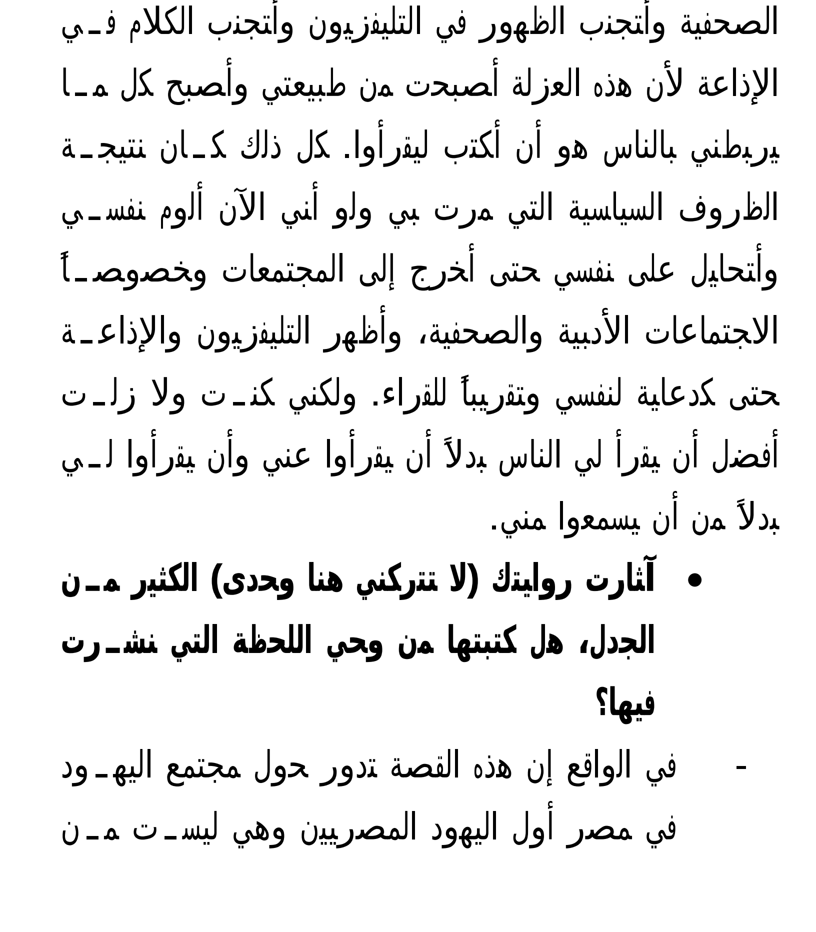
الكاتب وأعتقد أن الكاتب أصدق في التعبير من الناقد، وأنا نفسي درست الأدب معتمداً على قراءة الإنتاج الأدبي العالمي لا على ما يكتبه النقاد والدراسون، لهذا فأنا أعتز بأني ما زلت أحتفظ بقرائي وما زلت أرفع توزيع أي مجلة أو جريدة تنشر قصصي بصرف النظر عن كتاباتي السياسية.

عزلة الكاتب: لماذا ؟

- **يعيش إحسان عبد القدوس في عزلة، قليلون من الأدباء الذين عرفوه شخصياً ومن النادر أن تشاهده في مكان عام مع أن إنتاجه الأدبي يضج بصخب الحياة، فلماذا هذه العزلة؟**

يقول: هذه العزلة نتيجة الظروف السياسية التي تعرضت لها، كانت إن جلست في مقهى التف حولي البعض ولا ينظر إلى الجلسة كما ينظر إلى جلسة نجيب محفوظ ولكنها تفسر بصورة سياسية، وهذا بدأ من صغري وحتى قبل الثورة إلى حد أن تعودت فعلاً على الإنعزال، ثم إن تطور حياتي العملية دفعتني أكثر إلى العزلة فقد كانت مسئولاً عن مجلة روز اليوسف التي أدت دوراً كبيراً في

إعداد الثورة وكان كل الملتفين حولي حتى الأصدقاء تربطني بهم صداقة عمل أو صداقة ثورة لا مجرد صداقة شخصية ولذلك عندما فقدت عملي في روز اليوسف تبعثر كل شيء



حولي، وقد لا تعلم، ولعلك تعلم، أني أتجنب دائماً الأحاديث الصحفية وأتجنب الظهور في التليفزيون وأتجنب الكلام في الإذاعة لأن هذه العزلة أصبحت من طبيعتي وأصبح كل ما يربطني بالناس هو أن أكتب ليقرأوا. كل ذلك كان نتيجة الظروف السياسية التي مرت بي ولو أني الآن ألوم نفسي وأتحايل على نفسي حتى أخرج إلى المجتمعات وخصوصاً الاجتماعات الأدبية والصحفية، وأظهر التليفزيون والإذاعة حتى كدعاية لنفسي وتقريباً للقراء. ولكني كنت ولا زلت أفضل أن يقرأ لي الناس بدلاً أن يقرأوا عني وأن يقرأوا لي بدلاً من أن يسمعوا مني.

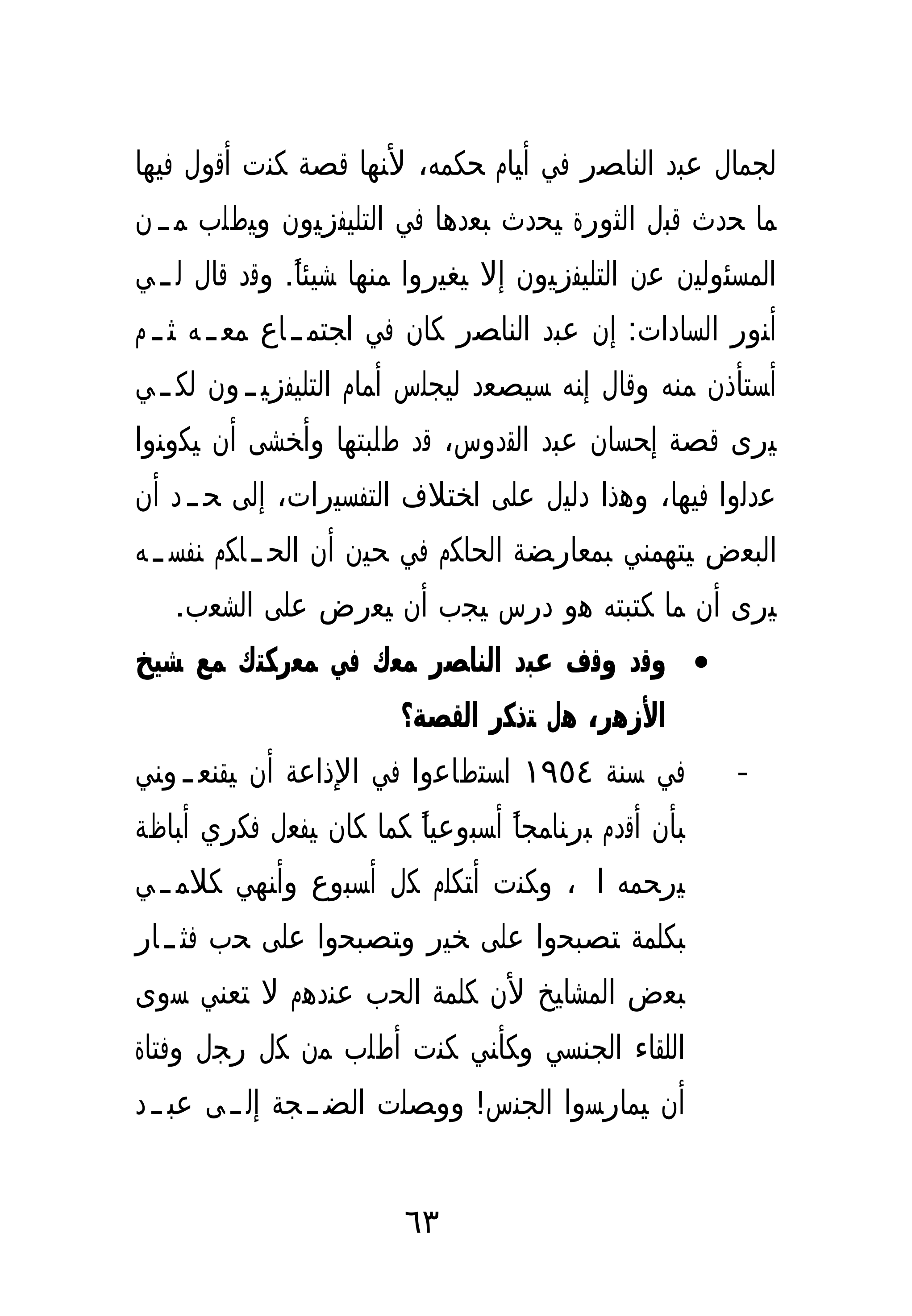
- **آثارت روايتك (لا تتركني هنا وحدى) الكثير من الجدل، هل كتبتها من وحي اللحظة التي نشرت فيها؟**

- في الواقع إن هذه القصة تدور حول مجتمع اليهود في مصر أول اليهود المصريين وهي ليست من

قصص اليهود في مصر ولكن هذه القصة أثـارت اهتماماً خاصاً لأنها نشرت فـي وقـت المبـادرة، والغريب أنهم في العالم العربي رفضوها في حيـث أن في إسرائيل نفسها قامت ثورة ضد هذه القصـة بسبب الصورة التي قدمتها لليهود في مصر، حتـى أنني نشرت في الأهرام رسالة جاءتني من إسرائيل تهاجم القصة ورددت عليها.

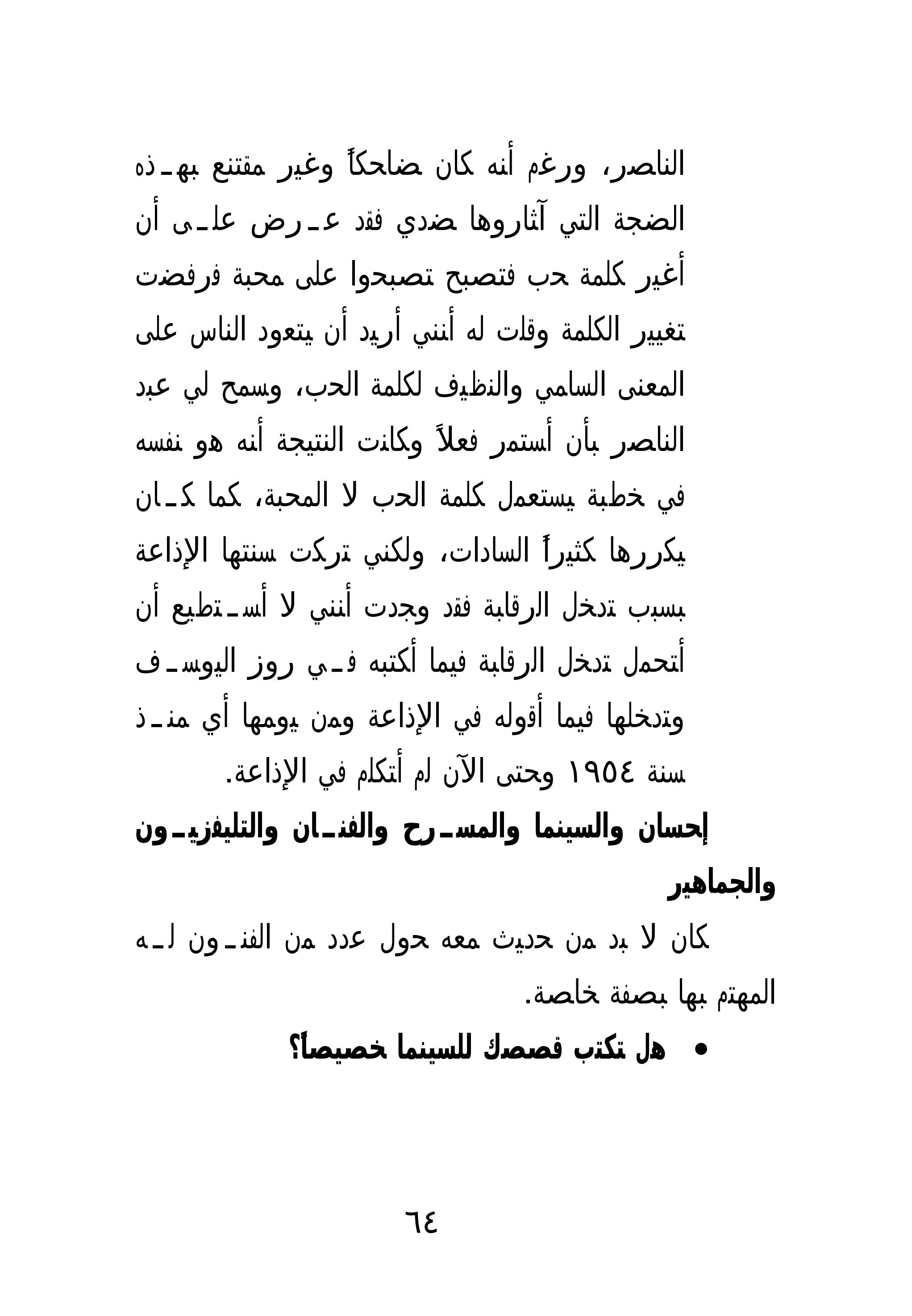
- كان الاستياء العربي من الرسالة والرد عليها أكثـر من القصة.
- القصة تدور قبل المعاهدة ولقد فسروها هكذا خطـأ، إن القصة تدور قبل سنة ٤٨، وأنا شخصياً أحب أن أقول لك إنني فخور بهذه القصة وأتمنى لو عرضت في التليفزيون أو السينما ولكن الظروف السياسية أو تفسير الظروف السياسية يحول دون عرضها فـي السينما والتليفزيون.

بهذه المناسبة أحكي لك حكاية ذكرتنى بها عن التأثير السياسي على كل ما أكتبه من قصص، أنا ضحية دائماً لهذا التأثير وأذكر أنني كتبت قصة فسرت على أنها اتهام خطيـر


لجمال عبد الناصر في أيام حكمه، لأنها قصة كنت أقول فيها ما حدث قبل الثورة يحدث بعدها في التليفزيون ويطلب مـن المسئولين عن التليفزيون إلا يغيروا منها شيئاً. وقد قال لـي أنور السادات: إن عبد الناصر كان في اجتمـاع معـه ثـم استأذن منه وقال إنه سيصعد ليجلس أمام التليفزيـون لكـي يرى قصة إحسان عبد القدوس، قد طلبتها وأخشى أن يكونوا عدلوا فيها، وهذا دليل على اختلاف التفسيرات، إلى حـد أن البعض يتهمني بمعارضة الحاكم في حين أن الحـاكم نفسـه يرى أن ما كتبته هو درس يجب أن يعرض على الشعب.

- **وقد وقف عبد الناصر معك في معركتك مع شيخ الأزهر، هل تذكر القصة؟**

- في سنة ١٩٥٤ استطاعوا في الإذاعة أن يقنعـوني بأن أقدم برنامجاً أسبوعياً كما كان يفعل فكري أباظة يرحمه ا ، وكنت أتكلم كل أسبوع وأنهي كلامـي بكلمة تصبحوا على خير وتصبحوا على حب فثـار بعض المشايخ لأن كلمة الحب عندهم لا تعني سوى اللقاء الجنسي وكأنني كنت أطلب من كل رجل وفتاة أن يمارسوا الجنس! ووصلت الضـجة إلـى عبـد

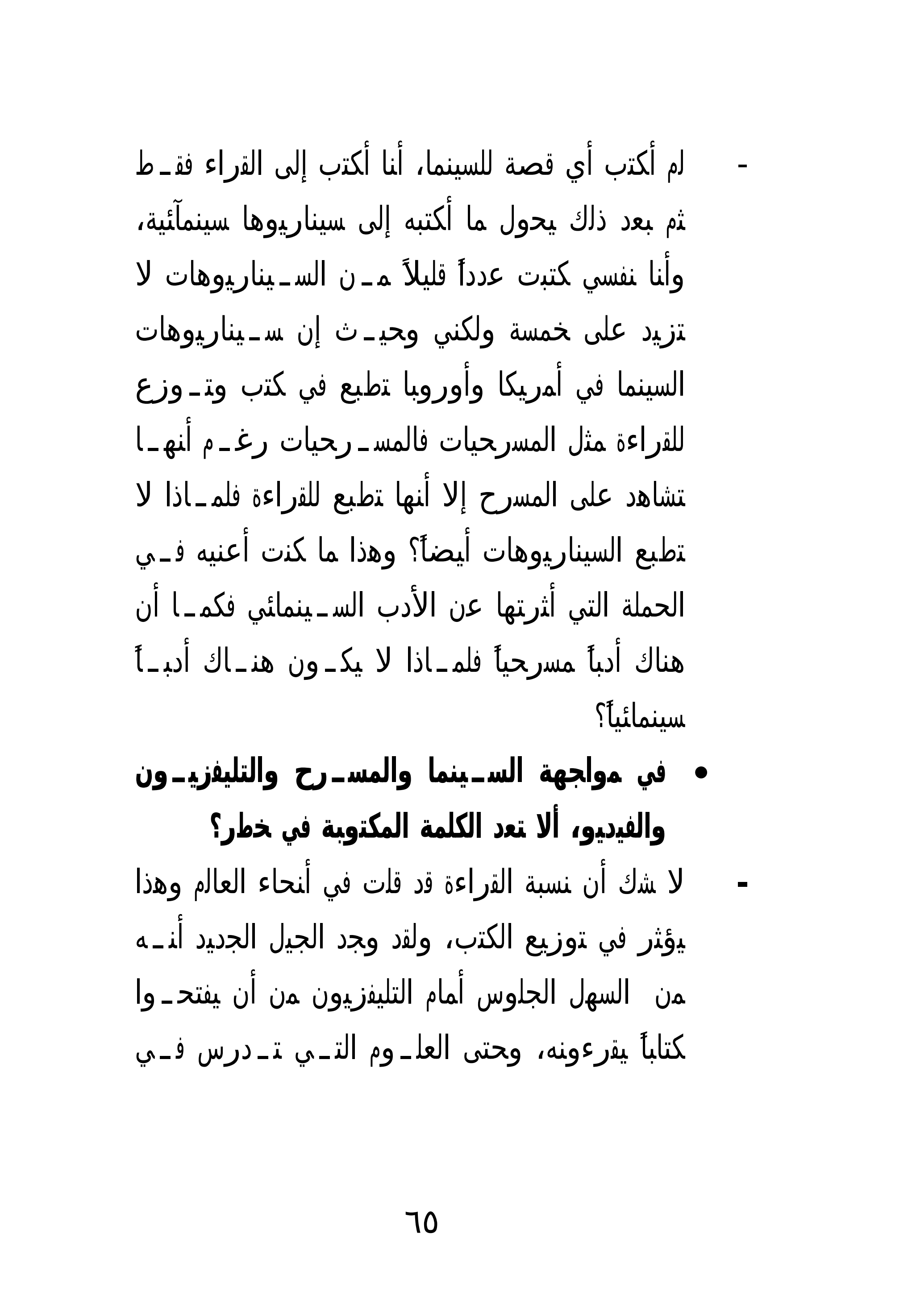


الناصر، ورغم أنه كان ضاحكاً وغير مقتنع بهـذه الضجة التي آثاروها ضدي فقد عـرض علـى أن أغير كلمة حب فتصبح تصبحوا على محبة فرفضت تغيير الكلمة وقلت له أنني أريد أن يتعود الناس على المعنى السامي والنظيف لكلمة الحب، وسمح لي عبد الناصر بأن أستمر فعلاً وكانت النتيجة أنه هو نفسه في خطبة يستعمل كلمة الحب لا المحبة، كما كـان يكررها كثيراً السادات، ولكنني تركت سنتها الإذاعة بسبب تدخل الرقابة فقد وجدت أنني لا أسـتطيع أن أتحمل تدخل الرقابة فيما أكتبه فـي روز اليوسـف وتدخلها فيما أقوله في الإذاعة ومن يومها أي منـذ سنة ١٩٥٤ وحتى الآن لم أتكلم في الإذاعة.

إحسان والسينما والمسـرح والفنـان والتليفزيـون والجماهير

كان لا بد من حديث معه حول عدد من الفنـون لـه المهتم بها بصفة خاصة.

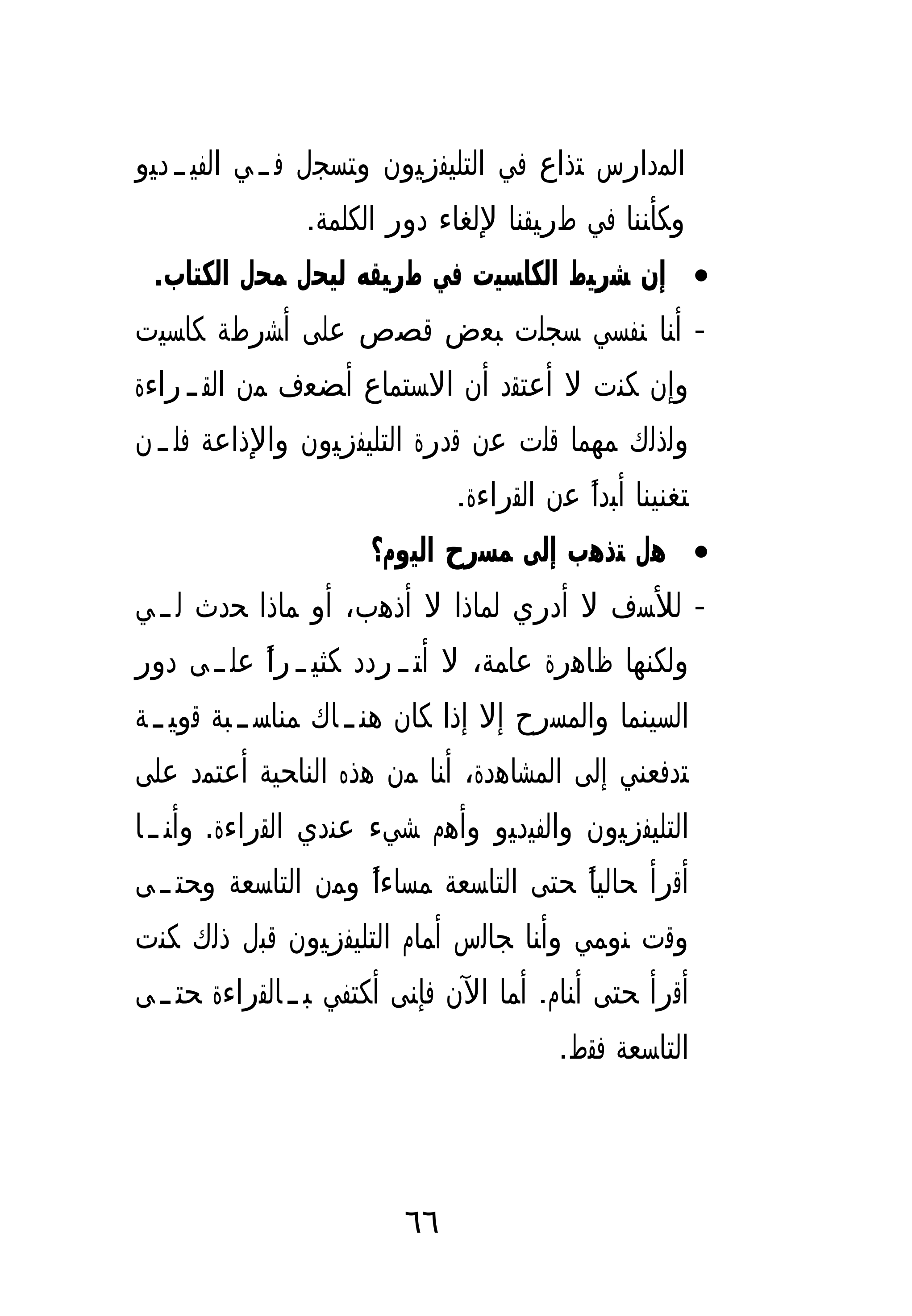
- **هل تكتب قصصك للسينما خصيصاً؟**



- لم أكتب أي قصة للسينما، أنا أكتب إلى القراء فقـط ثم بعد ذلك يحول ما أكتبه إلى سيناريوها سينمآئية، وأنا نفسي كتبت عدداً قليلاً مـن السـيناريوهات لا تزيد على خمسة ولكني وحيـث إن سـيناريوهات السينما في أمريكا وأوروبا تطبع في كتب وتـوزع للقراءة مثل المسرحيات فالمسـرحيات رغـم أنهـا تشاهد على المسرح إلا أنها تطبع للقراءة فلمـاذا لا تطبع السيناريوهات أيضاً؟ وهذا ما كنت أعنيه فـي الحملة التي أثرتها عن الأدب السـينمائي فكمـا أن هناك أدباً مسرحياً فلمـاذا لا يكـون هنـاك أدبـاً سينمائياً؟

- **في مواجهة السـينما والمسـرح والتليفزيـون والفيديو، ألا تعد الكلمة المكتوبة في خطر؟**

- لا شك أن نسبة القراءة قد قلت في أنحاء العالم وهذا يؤثر في توزيع الكتب، ولقد وجد الجيل الجديد أنـه من السهل الجلوس أمام التليفزيون من أن يفتحـوا كتاباً يقرءونه، وحتى العلـوم التـي تـدرس فـي



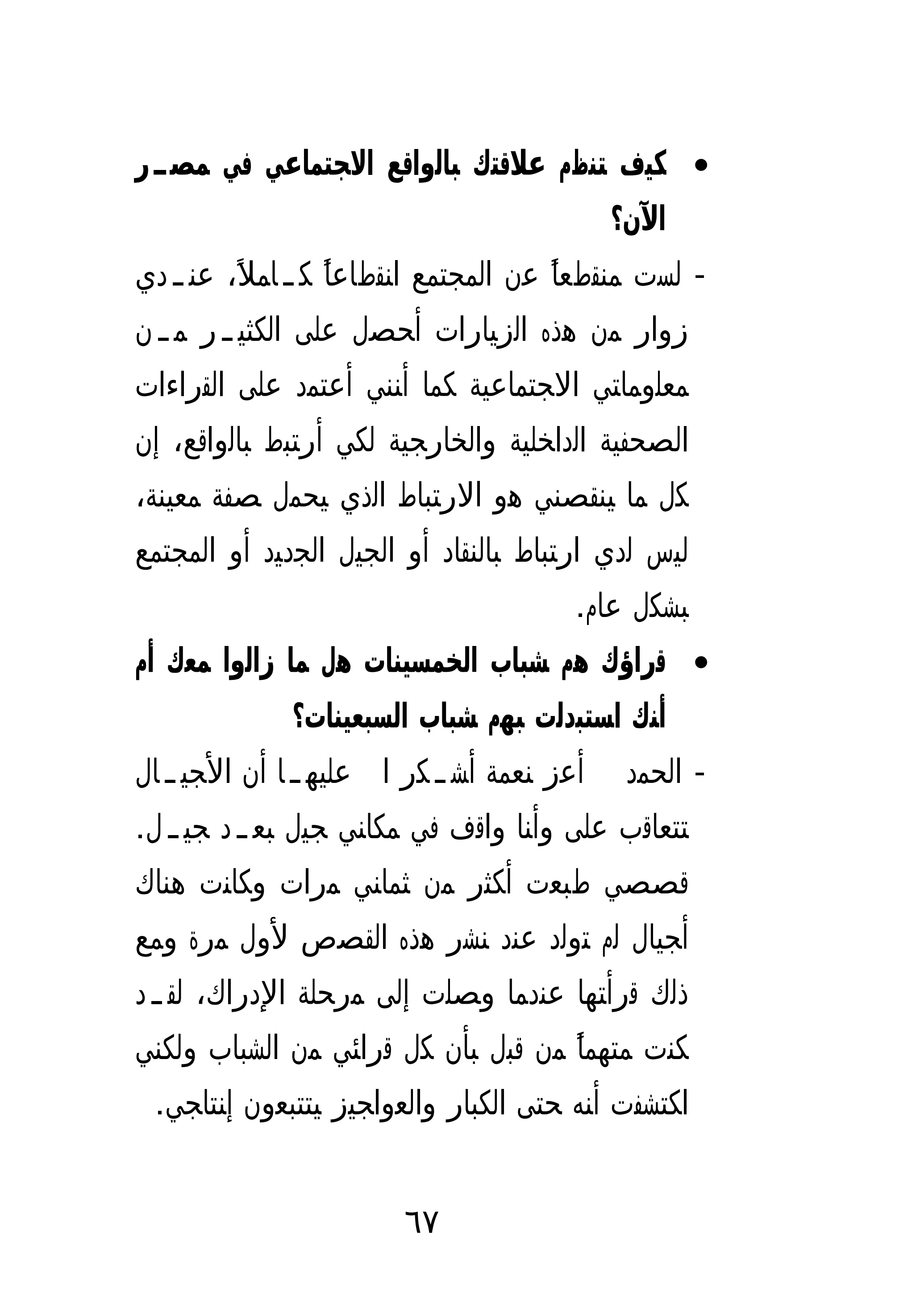
المدارس تذاع في التليفزيون وتسجل فـي الفيـديو وكأننا في طريقنا لإلغاء دور الكلمة.

- **إن شريط الكاسيت في طريقه ليحل محل الكتاب.**

- أنا نفسي سجلت بعض قصص على أشرطة كاسيت وإن كنت لا أعتقد أن الاستماع أضعف من القـراءة ولذلك مهما قلت عن قدرة التليفزيون والإذاعة فلـن تغنينا أبداً عن القراءة.

- **هل تذهب إلى مسرح اليوم؟**

- للأسف لا أدري لماذا لا أذهب، أو ماذا حدث لـي ولكنها ظاهرة عامة، لا أتـردد كثيـراً علـى دور السينما والمسرح إلا إذا كان هنـاك مناسـبة قويـة تدفعني إلى المشاهدة، أنا من هذه الناحية أعتمد على التليفزيون والفيديو وأهم شيء عندي القراءة. وأنـا أقرأ حالياً حتى التاسعة مساءاً ومن التاسعة وحتـى وقت نومي وأنا جالس أمام التليفزيون قبل ذلك كنت أقرأ حتى أنام. أما الآن فإنى أكتفي بـالقراءة حتـى التاسعة فقط.



- **كيف تنظم علاقتك بالواقع الاجتماعي في مصر الآن؟**

- لست منقطعاً عن المجتمع انقطاعاً كاملاً، عندي زوار من هذه الزيارات أحصل على الكثير من معلوماتي الاجتماعية كما أنني أعتمد على القراءات الصحفية الداخلية والخارجية لكي أرتبط بالواقع، إن كل ما ينقصني هو الارتباط الذي يحمل صفة معينة، ليس لدي ارتباط بالنقاد أو الجيل الجديد أو المجتمع بشكل عام.

- **قراؤك هم شباب الخمسينات هل ما زالوا معك أم أنك استبدلت بهم شباب السبعينات؟**

- الحمد أعز نعمة أشكر ا عليها أن الأجيال تتعاقب على وأنا واقف في مكاني جيل بعد جيل. قصصي طبعت أكثر من ثماني مرات وكانت هناك أجيال لم تولد عند نشر هذه القصص لأول مرة ومع ذلك قرأتها عندما وصلت إلى مرحلة الإدراك، لقد كنت متهماً من قبل بأن كل قرائي من الشباب ولكني اكتشفت أنه حتى الكبار والعواجيز يتتبعون إنتاجي.

- **ألا تفكر في كتابة مذكراتك؟**

- نفس العائق الذي يمنعني من الكتابة عن أمي وعـن أبي يمنعني أن أكتب مذكراتي وإن كانت ذكريـاتي تنعكس في قصصى وفي مقالاتي السياسـية، إنهـم يلحون على كثيراً ولكني عندما أفكر في المـذكرات أخشى أن أترك المستقبل وأعيش في الماضي، وأنـا حتى الآن أحتفظ بارتباطي بالمسـتقبل أكثـر مـن الماضي، أحتفظ بالآمـال، أفكـر فـي المسـتقبل، فالمستقبل هو البناء والماضي هو شكل من أشـكال الفرجة على الماضي.

أفكر أن أكون في حركة بناء عن أن أكون في حركـة فرجة.

- **تتراجع المرأة في قصصك الأخيرة لماذا؟**

- هذا كلام غير صحيح لدرجة أن هناك ناقدة كتبـت عن قصتي (أيام في الحـلال) قائلـة يبـدو إننـي (عجزت) لأنني لم أكن صريحاً في عرض مواقـف البطلة وهذا دليل العجز، ونسيت الناقدة أن القصـة كلها تقوم على الموضوع، مثلاً القصة التـي تنشـر

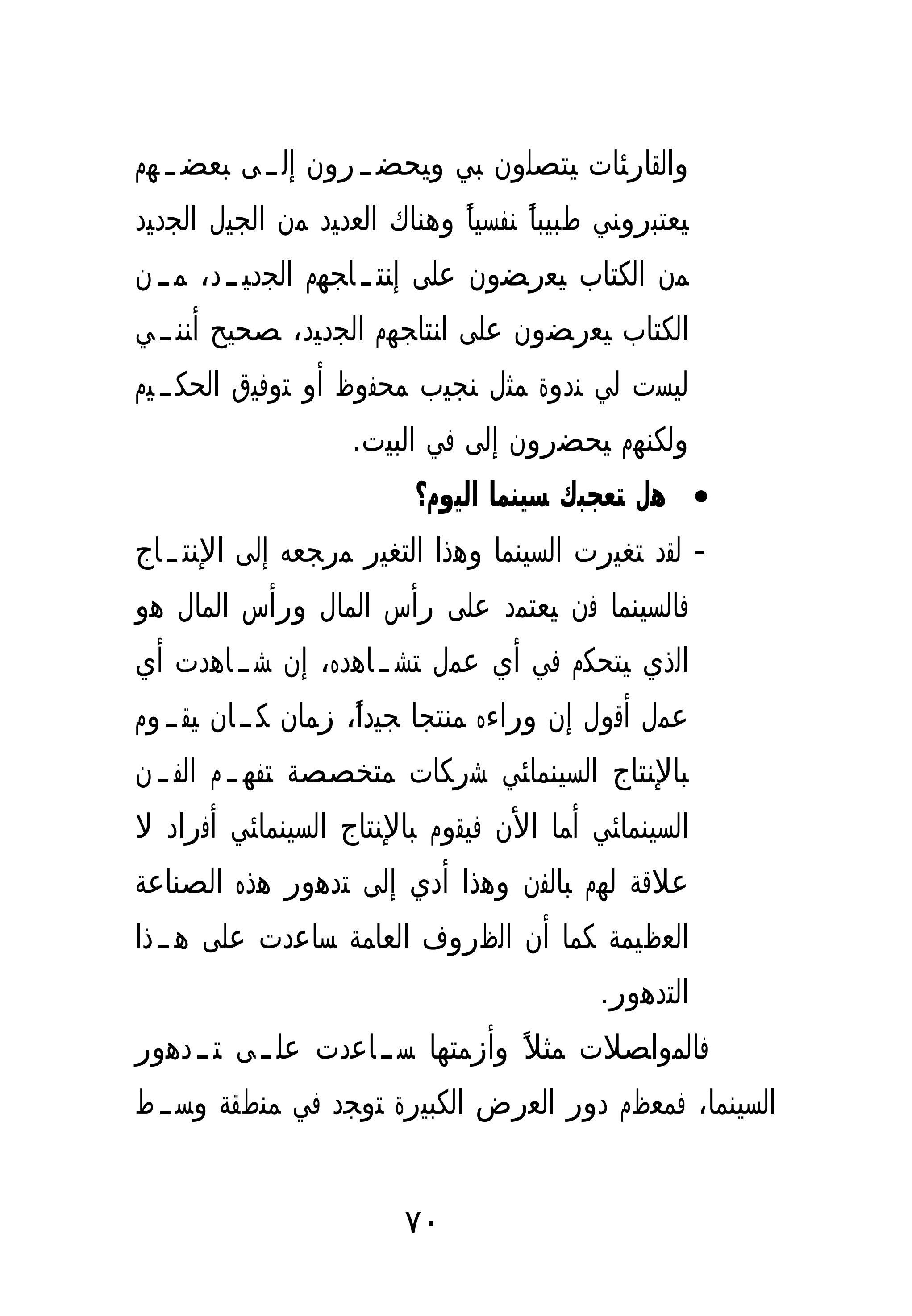
حالياً (يا عزيزي كلنا لصوص) تخلو تماماً من المواقف الغرامية إلا أن موضوع القصة يفرض هذا، إن اختلاف الموضوعات هو الذي يحدد التفاصيل، وأنا أكون صادقاً بدون حد من الموضوع الذي أكتبه ولا أتعمد أي مشاهد في القصة.

- **لم تكتب؟**

- أكتب للمتعة الشخصية، لا أستطيع الحياة بدون كتابة، فهي قضية عمري وهي هوايتي الوحيدة، بدون الكتابة لا أعرف كيف أعيش ولا أعرف كيف أقضى وقتي، بدون الكتابة لا يصبح لهذا العالم أي معنى.

- **كم مرة تكتب العمل؟**

- الكتابة الأولى فقط، ثم أترك العمل بعد ذلك مباشرة أخاف من مراجعة العمل وإن راجعته سأكتب عملاً آخر، أقرأ العمل بعد جمعة في المطبعة فقط أي إنني إن لم أكتب لا أرضى عن نفسي أبداً وعندي شك في نفسي، والقارئ هو ملاذي الوحيد واتصال هؤلاء القراء بي هو سؤلاي الوحيدة فهناك عشرات القراء

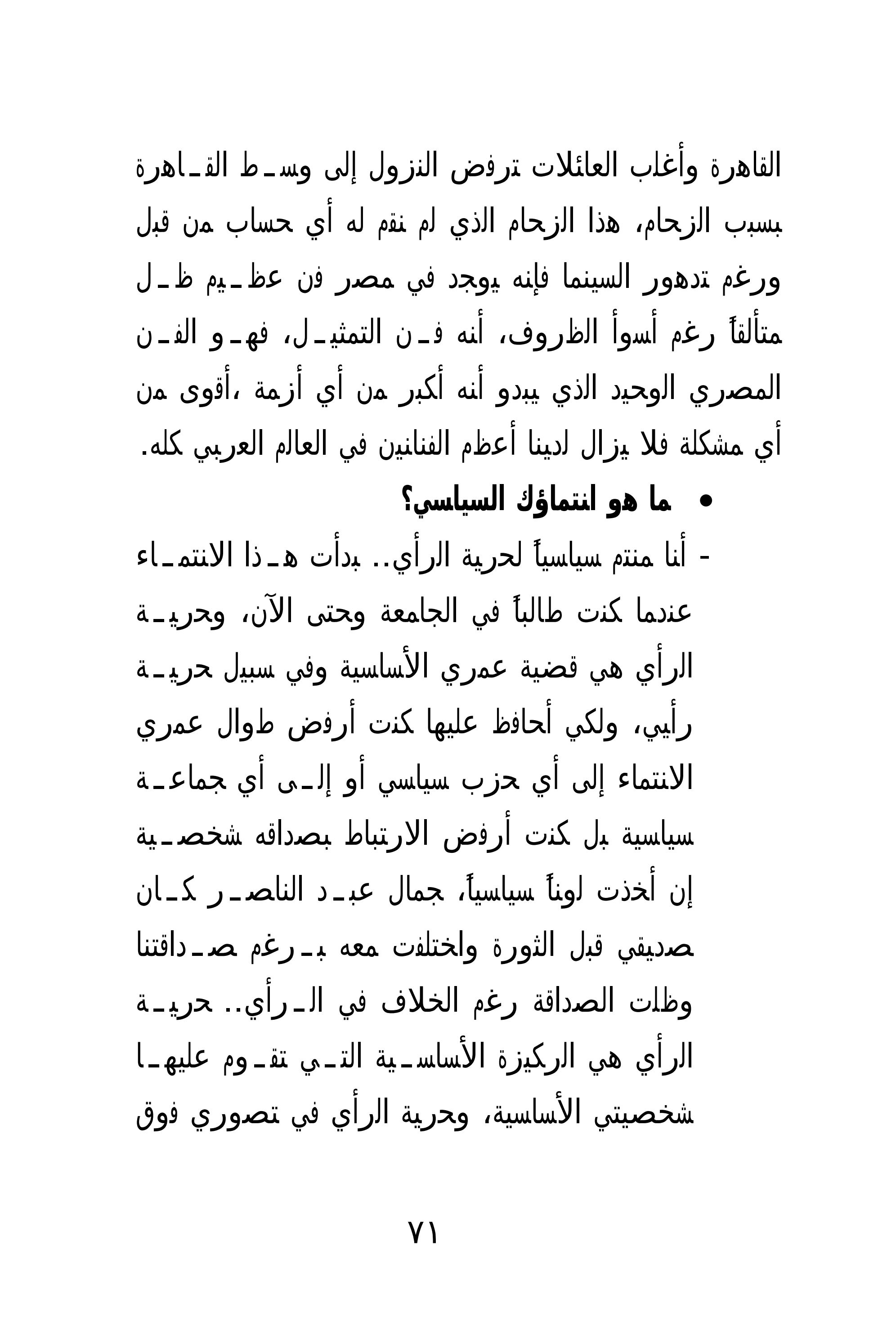


والقارئات يتصلون بي ويحضـرون إلـى بعضـهم يعتبروني طبيباً نفسياً وهناك العديد من الجيل الجديد من الكتاب يعرضون على إنتـاجهم الجديـد، مـن الكتاب يعرضون على انتاجهم الجديد، صحيح أننـي ليست لي ندوة مثل نجيب محفوظ أو توفيق الحكـيم ولكنهم يحضرون إلى في البيت.

- **هل تعجبك سينما اليوم؟**

- لقد تغيرت السينما وهذا التغير مرجعه إلى الإنتـاج فالسينما فن يعتمد على رأس المال ورأس المال هو الذي يتحكم في أي عمل تشـاهده، إن شـاهدت أي عمل أقول إن وراءه منتجا جيداً، زمان كـان يقـوم بالإنتاج السينمائي شركات متخصصة تفهـم الفـن السينمائي أما الأن فيقوم بالإنتاج السينمائي أفراد لا علاقة لهم بالفن وهذا أدي إلى تدهور هذه الصناعة العظيمة كما أن الظروف العامة ساعدت على هـذا التدهور.

فالمواصلات مثلاً وأزمتها سـاعدت علـى تـدهور السينما، فمعظم دور العرض الكبيرة توجد في منطقة وسـط



القاهرة وأغلب العائلات ترفض النزول إلى وسـط القـاهرة بسبب الزحام، هذا الزحام الذي لم نقم له أي حساب من قبل ورغم تدهور السينما فإنه يوجد في مصر فن عظـيم ظـل متألقاً رغم أسوأ الظروف، أنه فـن التمثيـل، فهـو الفـن المصري الوحيد الذي يبدو أنه أكبر من أي أزمة ،أقوى من أي مشكلة فلا يزال لدينا أعظم الفنانين في العالم العربي كله.

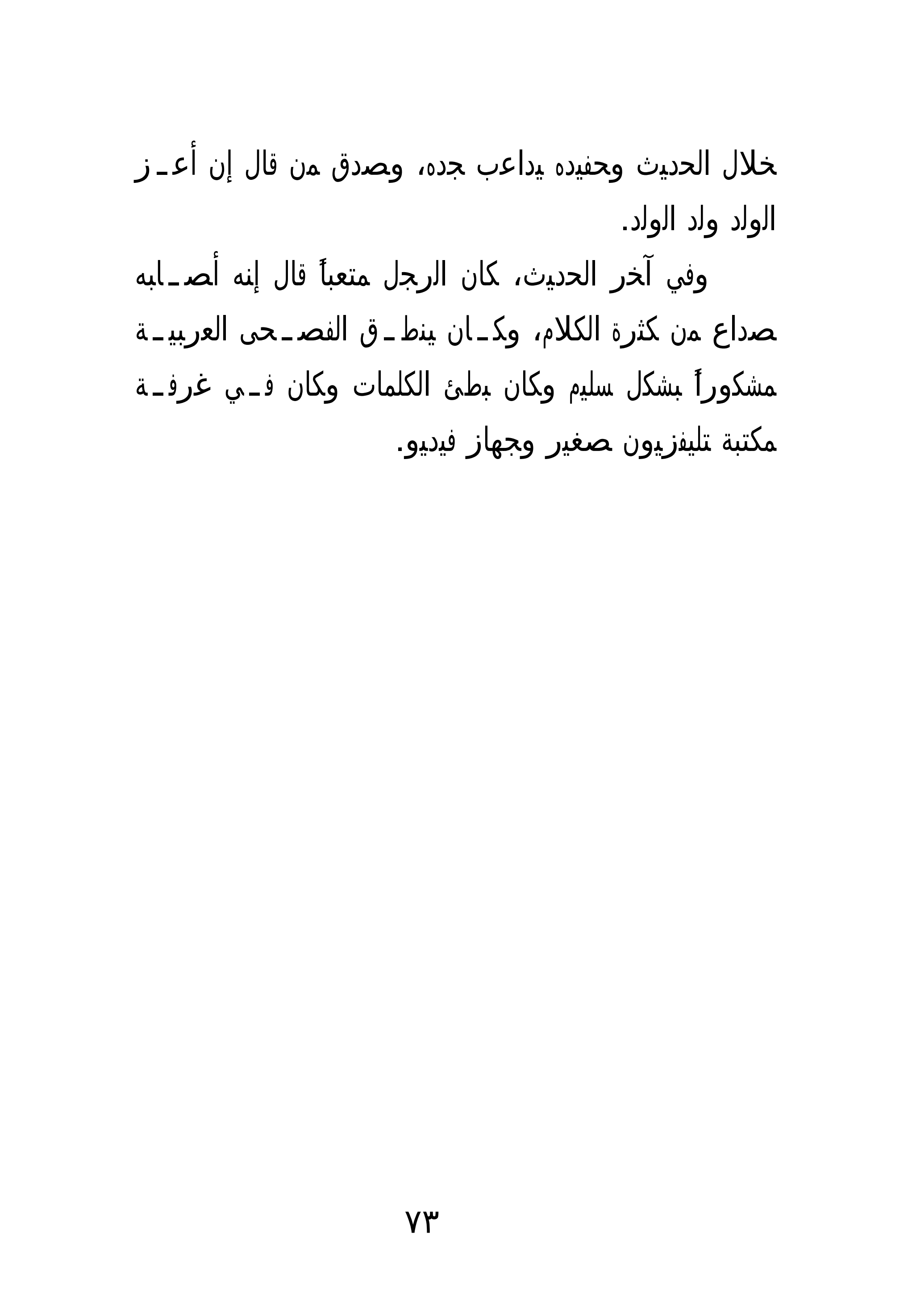
- **ما هو انتماؤك السياسي؟**

- أنا منتم سياسياً لحرية الرأي.. بدأت هـذا الانتمـاء عندما كنت طالباً في الجامعة وحتى الآن، وحريـة الرأي هي قضية عمري الأساسية وفي سبيل حريـة رأيي، ولكي أحافظ عليها كنت أرفض طوال عمري الانتماء إلى أي حزب سياسي أو إلـى أي جماعـة سياسية بل كنت أرفض الارتباط بصداقه شخصـية إن أخذت لوناً سياسياً، جمال عبـد الناصـر كـان صديقي قبل الثورة واختلفت معه بـرغم صـداقتنا وظلت الصداقة رغم الخلاف في الـرأي.. حريـة الرأي هي الركيزة الأساسـية التـي تقـوم عليهـا شخصيتي الأساسية، وحرية الرأي في تصوري فوق

المعارضة وفوق التأييد فأنا أعتبر أنني حـر إلـى درجة أنني قد أؤيد ثم أعارض ثم أؤيد لأن الـرأي ينطلق من حالة معينة ومن وضع معين فقـد أؤيـد الحاكم من ناحية وأعارضه في ناحية أخرى.

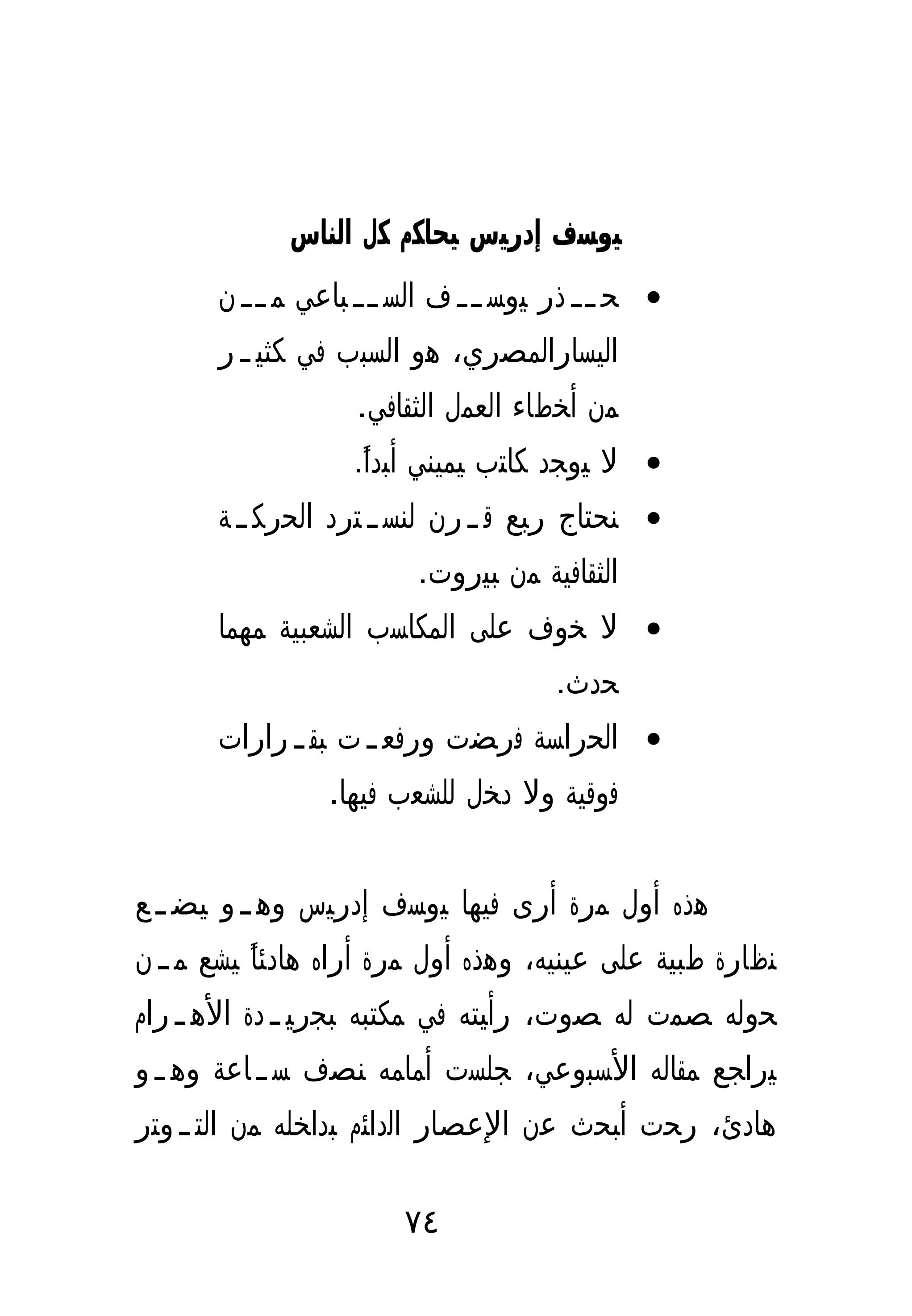
بدلاً من الخواتيم

خلال ساعات هذا الحديث، شرب إحسان عبد القدوس فنجانين من القهوة ودخن سيجارين من النوع الطويـل، ورد على تليفونين، الأول كان من متحدثة تشـكو مـن صـمت تليفونها، والثاني كان من متحدثة تسأل عن حفيده محمد ابن ابنه محمد، والذي يناديه بكلمة مودي، وخلال الحـديث قـام إحسان من مكانه مرتين، الأولى لكي يسأل زوجته عن اسـم القرية التي تنحدر منها العائلة في محافظة الغربية، فذاكرتـه ضعيفة جداً ولا تذكر أي شئ، والثانية لكـي يرينـا بعـض أشيائه الخاصة، وهي ٢٠٠ صورة خاصة، وتمثال لـه فـي السجن، ويداه مقيدتان بالحديد، والكوب الذي كان يشرب بـه الماء في السجن، وفي مكتبته غابة من الهدايا البسيطة التـي جلبها معه من كل مكان في العالم، من كل دولة هدية تعكس شخصية هذه الدولة، وكان محمد ابنه هو الحاضـر الغائـب



خلال الحديث وحفيده يداعب جده، وصدق من قال إن أعـز الولد ولد الولد.

وفي آخر الحديث، كان الرجل متعباً قال إنه أصـابه صداع من كثرة الكلام، وكـان ينطـق الفصـحى العربيـة مشكوراً بشكل سليم وكان بطئ الكلمات وكان فـي غرفـة مكتبة تليفزيون صغير وجهاز فيديو.



يوسف إدريس يحاكم كل الناس

- حـــذر يوســـف الســـباعي مـــن اليسارالمصري، هو السبب في كثيـر من أخطاء العمل الثقافي.
- لا يوجد كاتب يميني أبداً.
- نحتاج ربع قـرن لنسـترد الحركـة الثقافية من بيروت.
- لا خوف على المكاسب الشعبية مهما حدث.
- الحراسة فرضت ورفعـت بقـرارات فوقية ولا دخل للشعب فيها.

هذه أول مرة أرى فيها يوسف إدريس وهـو يضـع نظارة طبية على عينيه، وهذه أول مرة أراه هادئاً يشع مـن حوله صمت له صوت، رأيته في مكتبه بجريـدة الأهـرام يراجع مقاله الأسبوعي، جلست أمامه نصف سـاعة وهـو هادئ، رحت أبحث عن الإعصار الدائم بداخله من التـوتر

والبحث واللهفة الحبور في أعماقه، شربت ملامحه بنظراتي فوجدتها ساكنة، بدا لي السندباد كصورة مرسومة ورمي القلم واستدار لي، العتاب قبل السلام وبعد السلام عاد الإعصـار إلى حياته، في شعرنا الحديث بيت عملاق يقول :«السـندباد كالإعصار إن يهدأ يمت». «يوسف إدريس كالإعصـار إن يهدأ يمت». وبالمثل تستعير التشبيه العملاق كي نقول ومـا زال الرجل يعانق قلقه وعذابه حاملاً صخرته كل يوم، كـل ليلة، كل ساعة، لأصفه أولا: على الـرأس شـعر أبـيض كالقطن المندوف تناثر وسطه شعيرات مـا زالـت تحـتفظ بسمراتها الغامقة، يرتدي قميص مربعات كبيرة، يقول لـك إنك أمام شاب بفكره وسلوكه وموقفه من الحياة.

يوسف إدريس في الأربعينات من عمـره الآن. بـدأ النشر في أوائل الخمسينات وتفرغ تماماً للكتابة مع مشـارف الستينات والنتيجة الآن مشرقة، أكثر من مجموعة قصـص قصيرة، روايات، مسرحيات، كتب أدبية، وآثار كـل هـذا النتاج الأدبي الكثير من الدراسـات والشـروح والتعليقـات وربما المعارك الأدبية، يوسف إدريس أحد الكتاب القلائـل الذين يشكلون تياراً اجتماعياً متكاملاً إنتاجه الأدبي والفنـي،

وهذا شيء لم يتوصل له الكثير من كتابنـا حتـى الصـف الأول.

شلة الغد.

بعد الثرثرات الأولى التي انتهينا منها سـريعاً سـألته عما يكتبه الآن، قال لي: إنها مسرحية بعنوان (شـلة الغـد) الموضوع عن شباب اليوم رجال الغد في مصر.

سؤالي الثاني عن رأيه في الشباب الآن عموماً، قال:

أنا حريص على رؤية الشباب والاتصال بهـم، ولـو عزلت عنهم لحظة واحدة لمت، فأنا أتعلم منهم الكثيـر، أنـا أتعلم حتى من أطفالي.

- **بتحديد أكثر ما رأيك في شباب اليوم؟**

- شباب اليوم له مزايا كثيرة.. أكثر من شبابنا، منهـا الصدق مع النفس، وهو الشيء الذي حاول جيلنا أن يفعله، من مزاياه عدم الخجل من الذات من أن جيلنا عانى كثيراً بسبب الخجل من ذاته وقد سبب له هـذا الكثير من الإحباطات اليوميـة المسـتمرة، الجيـل الحالي حريص على تفرده، ونحن تربينـا كأسـنان المشط مع أن الإحساس بالتفرد والحرص عليه ميزة

إنسانية كبرى، شباب اليوم فيهم من الشعر والطفولة أو الجموح الشيء الكثير.

- **وعيوبهم؟**

- الغرور، وهو الدرجة الأولى إلى الجهل، وينتج عن هذا عدم القراءة، كمـا أن طمـوح شـباب اليـوم يحيرني، طموحه أن يعيش فقط لا يفكر في المستقبل البعيد أو البناء، شباب اليوم حرمانهم أقل وبالتـالي فإن استغراقهم في الحياة اليومية أكثر.

الثقافة المصرية

*** ما رأيك في الحياة الثقافية في مصر الآن[١]**

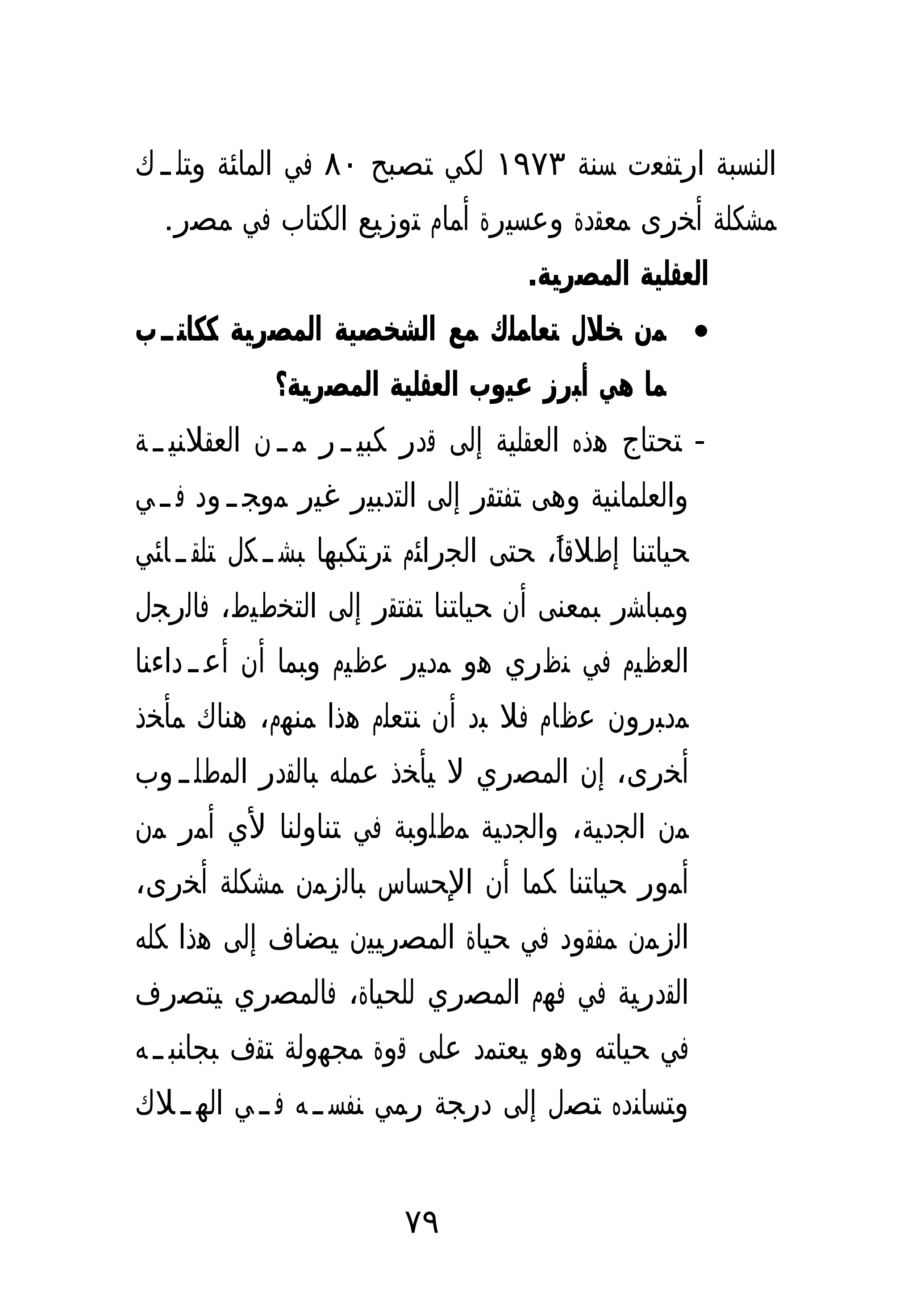
- السؤال كبير يشمل أكثر من شئ، أحـب أن أبـدأ بالمجلات الثقافية وأعتقد أن المسـئول عـن عـدم جـودة المجلات الثقافية في مصر هو حذر يوسف السـباعي مـن اليسار وهذا الحذر هو المسئول عن كثيـر مـن الأخطـاء الموجودة في قيادة الحركة الثقافية في مصر، لقـد انتقلـت الحركة الثقافية في مصر إلى بيروت واسترجاع مصر لتلك الحركة يحتاج ٢٥سنة من الكفاح وانتقال الحركة إلى بيروت

[١] جرى هذا الحديث سنة ١٩٧٤.

لم يتم على مستوى الكتابة فقط، في بيروت يتكلمون عن مصر كثيراً والكلام عن مصر هناك أحد أسباب الرواج ولكننا في مصر ممنوعون من الكلام، عندنا هنا ألف مليون تابو.

*** ونشر الكتاب؟**

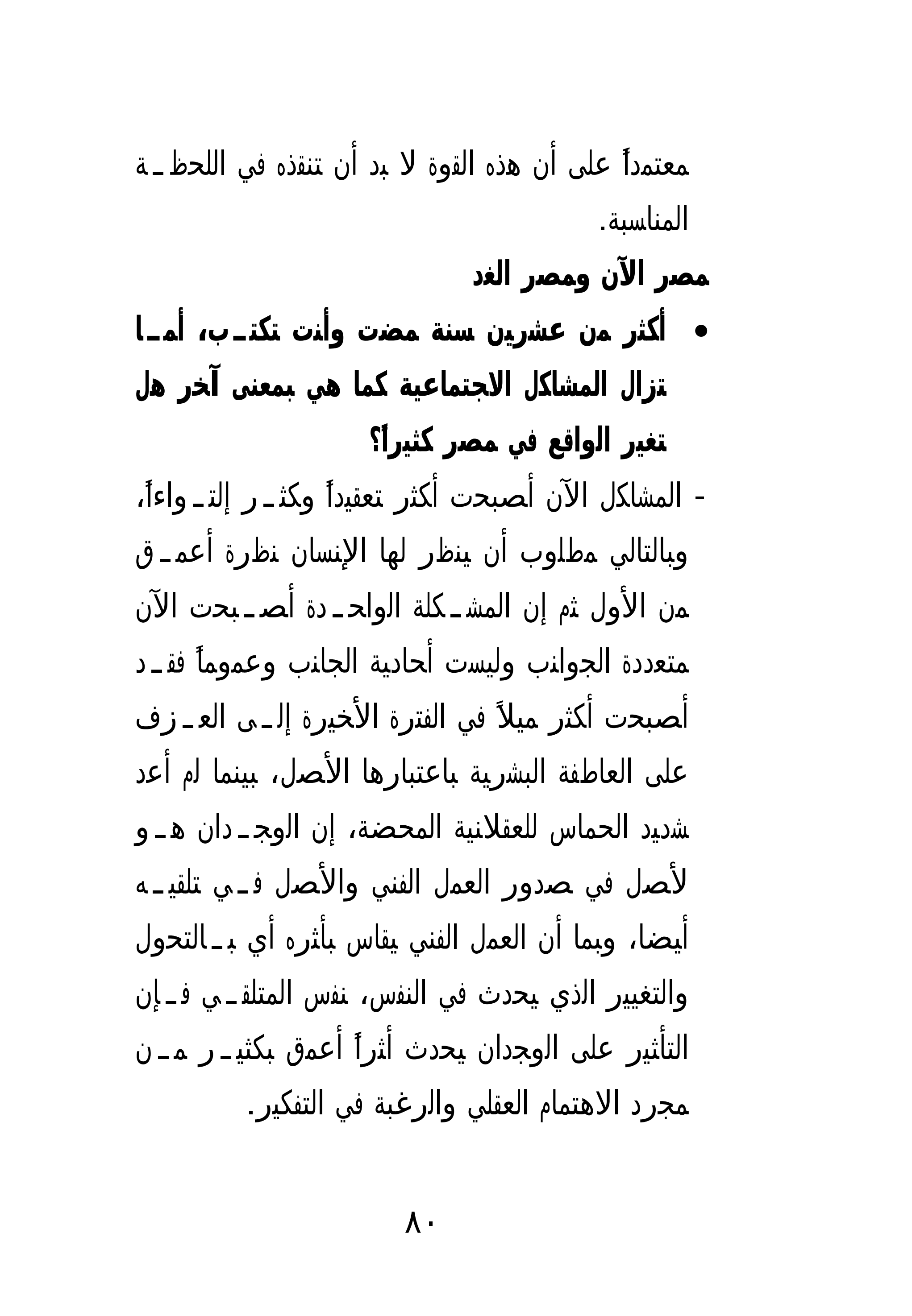
- السبب هنا مختلف، فكرة التأميم الخاصة بدور النشر مع عدم إجلال دار النشر قطاع عام محل دور النشر التي أممت، أنا لا أرفض التأميم ولكنه بالصورة التي تم بها والكيفية التي جرى بها أساء كثيراً للحركة الثقافية لأنه قتل الناشرين الخاصين ولم يخلق ناشراً عاما بديلاً، وكانت النتيجة أن ماتت حركة النشر وبالتالي ماتت حركة الكتاب المصري في العالم العربي، وهكذا أهدينا بيروت الكتاب العربي والحركة الثقافية دون أن تبذل بيروت مجهوداً في سبيل الحصول على هذا المركز والنتائج بدأت تظهر الآن في هبوط مستوى توزيع الكتب وهو هبوط له أسباب أخرى أيضا من أهمها ارتفاع نسبة الأمية في مصر ويكفي أن نعلم أن نسبة الأمية في سنة ١٩٥٢ كانت ٦٥ في المائة وأن هذه


النسبة ارتفعت سنة ١٩٧٣ لكي تصبح ٨٠ في المائة وتلـك مشكلة أخرى معقدة وعسيرة أمام توزيع الكتاب في مصر.

العقلية المصرية.

- **من خلال تعاملك مع الشخصية المصرية ككاتـب ما هي أبرز عيوب العقلية المصرية؟**

- تحتاج هذه العقلية إلى قدر كبيـر مـن العقلانيـة والعلمانية وهى تفتقر إلى التدبير غير موجـود فـي حياتنا إطلاقاً، حتى الجرائم ترتكبها بشـكل تلقـائي ومباشر بمعنى أن حياتنا تفتقر إلى التخطيط، فالرجل العظيم في نظري هو مدير عظيم وبما أن أعـداءنا مدبرون عظام فلا بد أن نتعلم هذا منهم، هناك مأخذ أخرى، إن المصري لا يأخذ عمله بالقدر المطلـوب من الجدية، والجدية مطلوبة في تناولنا لأي أمر من أمور حياتنا كما أن الإحساس بالزمن مشكلة أخرى، الزمن مفقود في حياة المصريين يضاف إلى هذا كله القدرية في فهم المصري للحياة، فالمصري يتصرف في حياته وهو يعتمد على قوة مجهولة تقف بجانبـه وتسانده تصل إلى درجة رمي نفسـه فـي الهـلاك

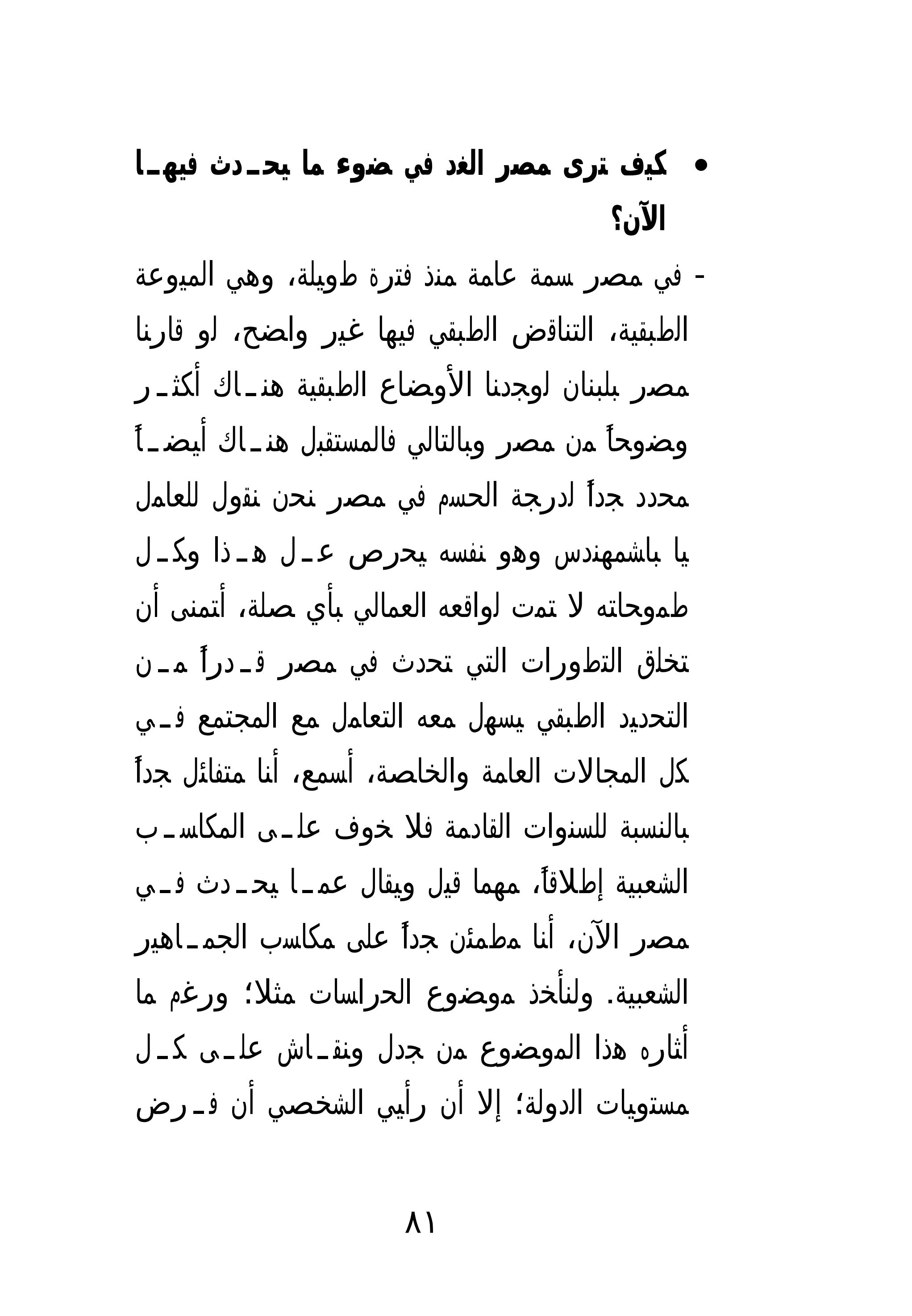


معتمداً على أن هذه القوة لا بد أن تنفذه في اللحظـة المناسبة.

مصر الآن ومصر الغد

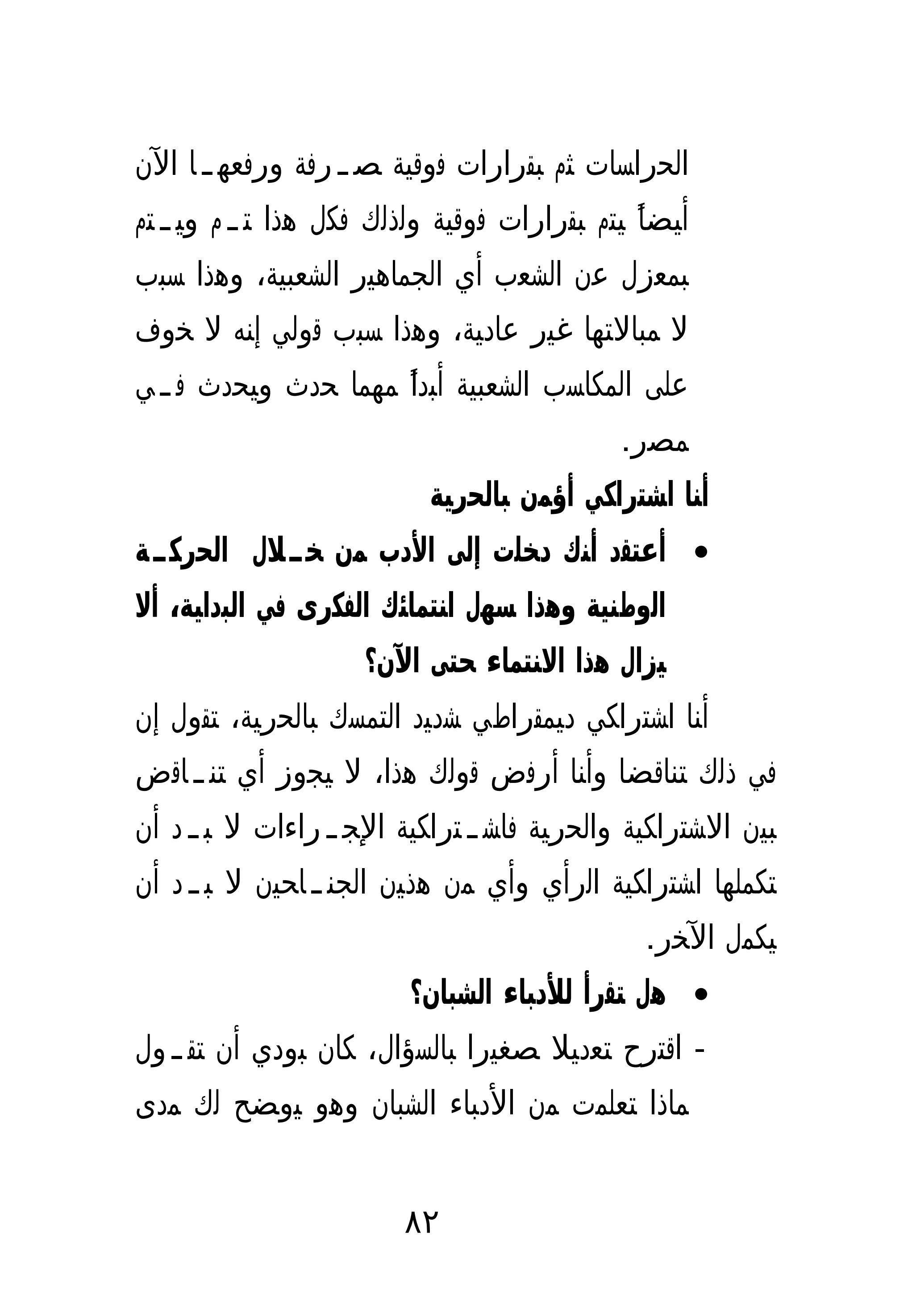
- **أكثر من عشرين سنة مضت وأنت تكتـب، أمـا تزال المشاكل الاجتماعية كما هي بمعنى آخر هل تغير الواقع في مصر كثيراً؟**

- المشاكل الآن أصبحت أكثر تعقيداً وكثـر إلتـواءاً، وبالتالي مطلوب أن ينظر لها الإنسان نظرة أعمـق من الأول ثم إن المشـكلة الواحـدة أصـبحت الآن متعددة الجوانب وليست أحادية الجانب وعموماً فقـد أصبحت أكثر ميلاً في الفترة الأخيرة إلـى العـزف على العاطفة البشرية باعتبارها الأصل، بينما لم أعد شديد الحماس للعقلانية المحضة، إن الوجـدان هـو لأصل في صدور العمل الفني والأصل فـي تلقيـه أيضا، وبما أن العمل الفني يقاس بأثره أي بـالتحول والتغيير الذي يحدث في النفس، نفس المتلقـي فـإن التأثير على الوجدان يحدث أثراً أعمق بكثيـر مـن مجرد الاهتمام العقلي والرغبة في التفكير.



- **كيف ترى مصر الغد في ضوء ما يحـدث فيهـا الآن؟**

- في مصر سمة عامة منذ فترة طويلة، وهي الميوعة الطبقية، التناقض الطبقي فيها غير واضح، لو قارنا مصر بلبنان لوجدنا الأوضاع الطبقية هنـاك أكثـر وضوحاً من مصر وبالتالي فالمستقبل هنـاك أيضـاً محدد جداً لدرجة الحسم في مصر نحن نقول للعامل يا باشمهندس وهو نفسه يحرص عـل هـذا وكـل طموحاته لا تمت لواقعه العمالي بأي صلة، أتمنى أن تخلق التطورات التي تحدث في مصر قـدراً مـن التحديد الطبقي يسهل معه التعامل مع المجتمع فـي كل المجالات العامة والخاصة، أسمع، أنا متفائل جداً بالنسبة للسنوات القادمة فلا خوف علـى المكاسـب الشعبية إطلاقاً، مهما قيل ويقال عمـا يحـدث فـي مصر الآن، أنا مطمئن جداً على مكاسب الجمـاهير الشعبية. ولنأخذ موضوع الدراسات مثلا؛ ورغم ما أثاره هذا الموضوع من جدل ونقـاش علـى كـل مستويات الدولة؛ إلا أن رأيي الشخصي أن فـرض



الدراسات ثم بقرارات فوقية صـرفة ورفعهـا الآن أيضاً يتم بقرارات فوقية ولذلك فكل هذا تـم ويـتم بمعزل عن الشعب أي الجماهير الشعبية، وهذا سبب لا مبالاتها غير عادية، وهذا سبب قولي إنه لا خوف على المكاسب الشعبية أبداً مهما حدث ويحدث فـي مصر.

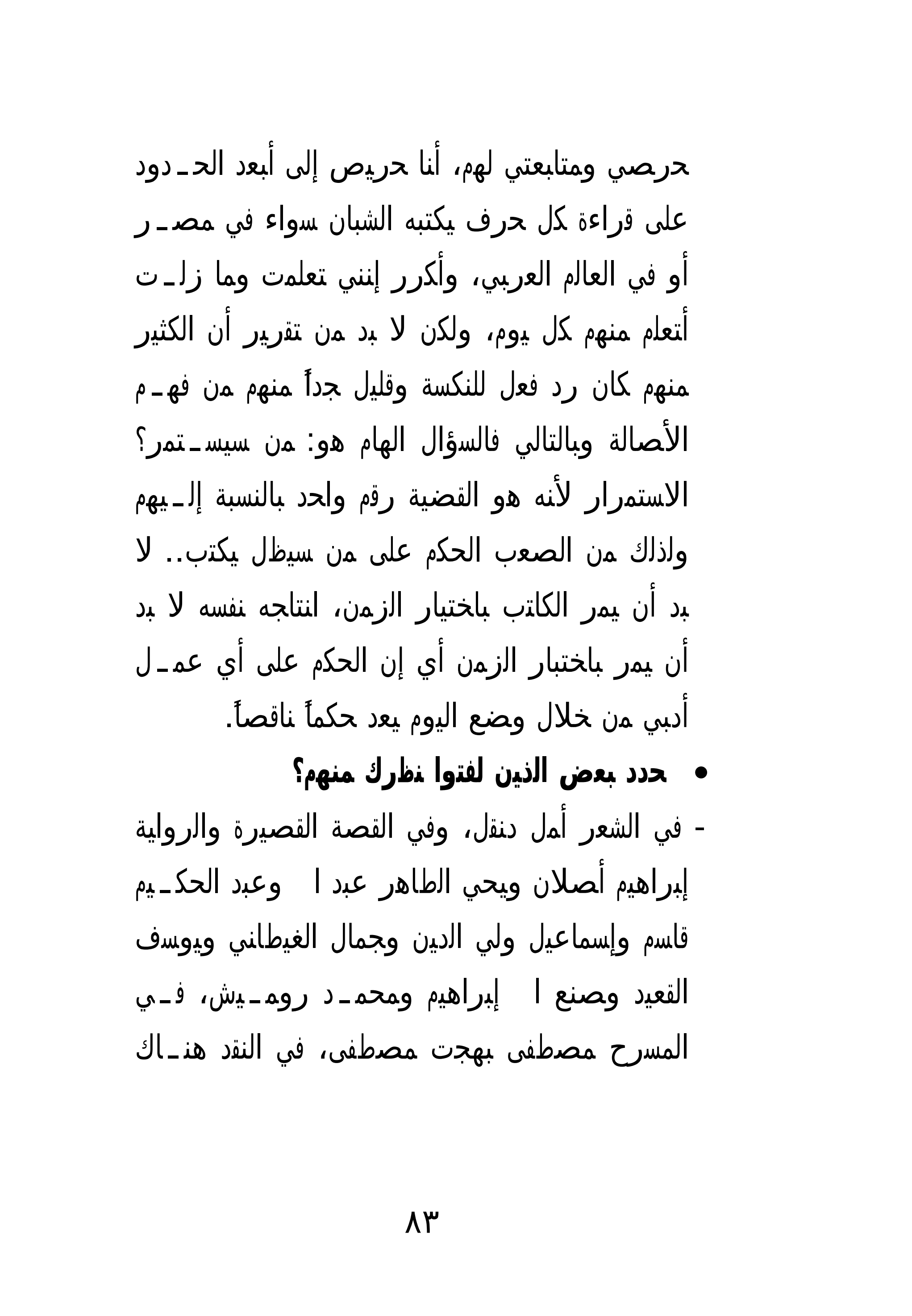
أنا اشتراكي أؤمن بالحرية

- **أعتقد أنك دخلت إلى الأدب من خـلال الحركـة الوطنية وهذا سهل انتمائك الفكرى في البداية، ألا يزال هذا الانتماء حتى الآن؟**

أنا اشتراكي ديمقراطي شديد التمسك بالحرية، تقول إن في ذلك تناقضا وأنا أرفض قولك هذا، لا يجوز أي تنـاقض بين الاشتراكية والحرية فاشـتراكية الإجـراءات لا بـد أن تكملها اشتراكية الرأي وأي من هذين الجنـاحين لا بـد أن يكمل الآخر.

- **هل تقرأ للأدباء الشبان؟**

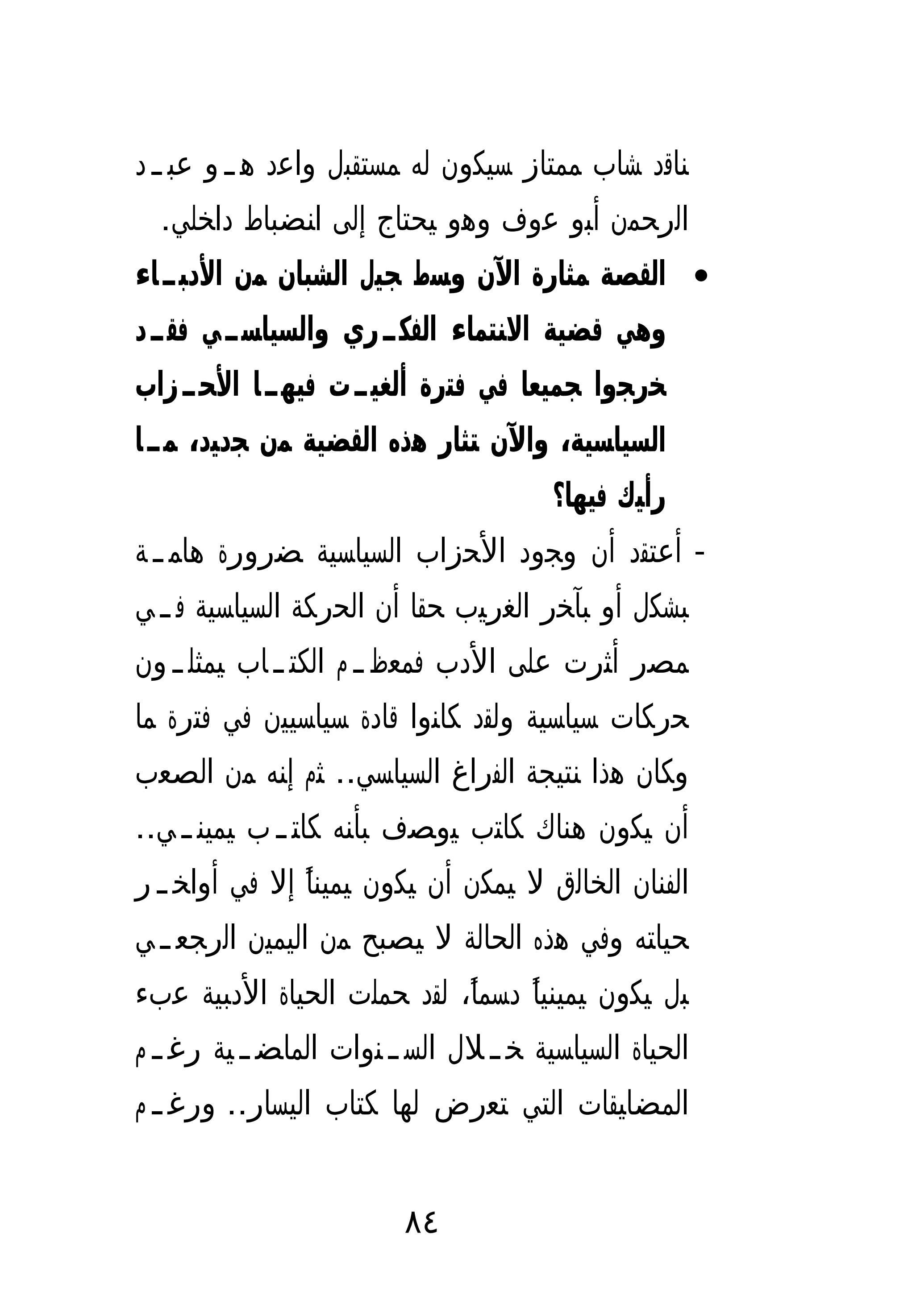
- اقترح تعديلا صغيرا بالسؤال، كان بودي أن تقـول ماذا تعلمت من الأدباء الشبان وهو يوضح لك مدى



حرصي ومتابعتي لهم، أنا حريص إلى أبعد الحـدود على قراءة كل حرف يكتبه الشبان سواء في مصـر أو في العالم العربي، وأكرر إنني تعلمت وما زلـت أتعلم منهم كل يوم، ولكن لا بد من تقرير أن الكثير منهم كان رد فعل للنكسة وقليل جداً منهم من فهـم الأصالة وبالتالي فالسؤال الهام هو: من سيسـتمر؟ الاستمرار لأنه هو القضية رقم واحد بالنسبة إلـيهم ولذلك من الصعب الحكم على من سيظل يكتب.. لا بد أن يمر الكاتب باختيار الزمن، انتاجه نفسه لا بد أن يمر باختبار الزمن أي إن الحكم على أي عمـل أدبي من خلال وضع اليوم يعد حكماً ناقصاً.

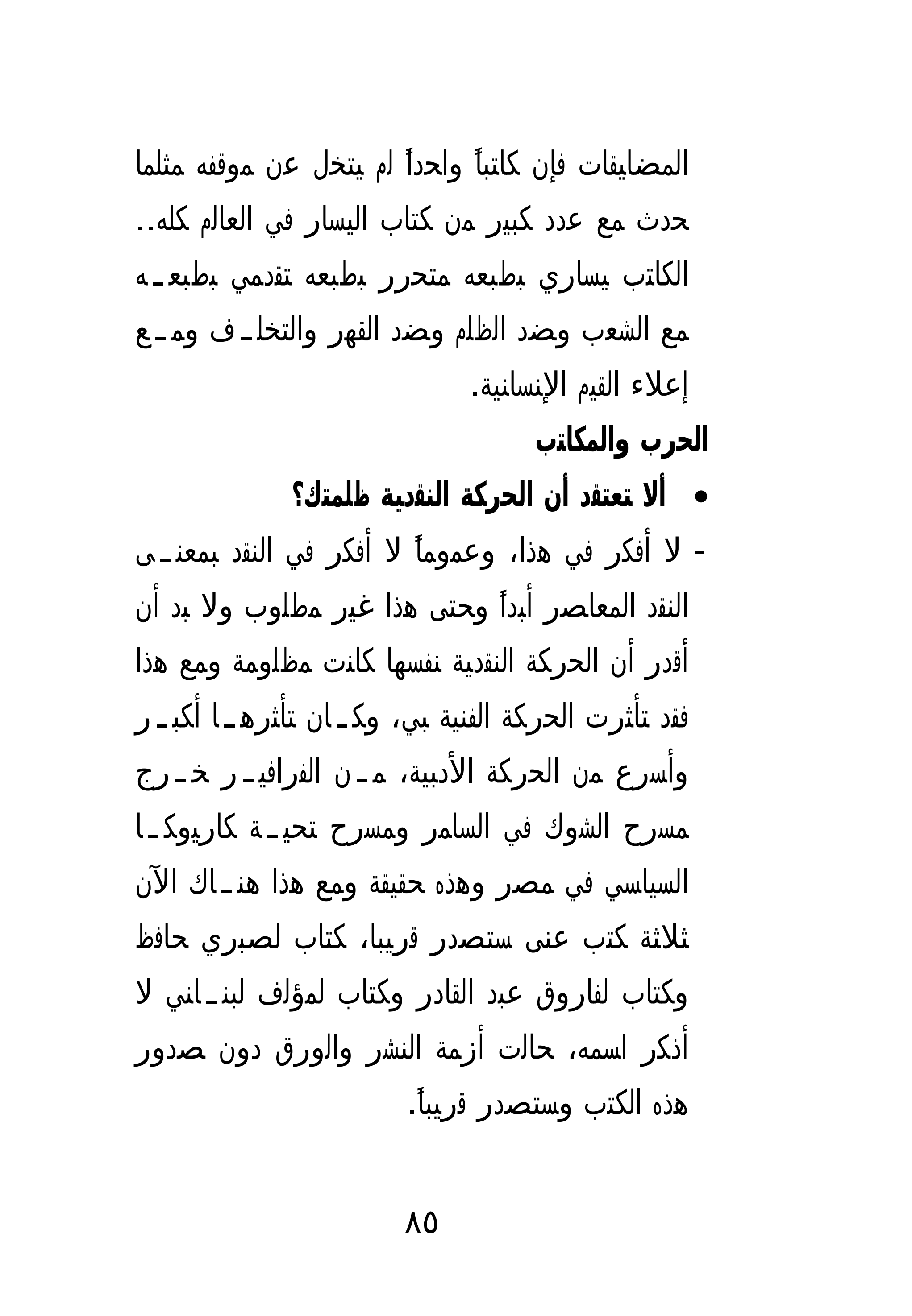
- **حدد بعض الذين لفتوا نظرك منهم؟**

- في الشعر أمل دنقل، وفي القصة القصيرة والرواية إبراهيم أصلان ويحي الطاهر عبد ا وعبد الحكـيم قاسم وإسماعيل ولي الدين وجمال الغيطاني ويوسف القعيد وصنع ا إبراهيم ومحمـد رومـيش، فـي المسرح مصطفى بهجت مصطفى، في النقد هنـاك


ناقد شاب ممتاز سيكون له مستقبل واعد هـو عبـد الرحمن أبو عوف وهو يحتاج إلى انضباط داخلي.

- **القصة مثارة الآن وسط جيل الشبان من الأدبـاء وهي قضية الانتماء الفكـري والسياسـي فقـد خرجوا جميعا في فترة ألغيـت فيهـا الأحـزاب السياسية، والآن تثار هذه القضية من جديد، مـا رأيك فيها؟**

- أعتقد أن وجود الأحزاب السياسية ضرورة هامـة بشكل أو بآخر الغريب حقا أن الحركة السياسية فـي مصر أثرت على الأدب فمعظـم الكتـاب يمثلـون حركات سياسية ولقد كانوا قادة سياسيين في فترة ما وكان هذا نتيجة الفراغ السياسي.. ثم إنه من الصعب أن يكون هناك كاتب يوصف بأنه كاتـب يمينـي.. الفنان الخالق لا يمكن أن يكون يميناً إلا في أواخـر حياته وفي هذه الحالة لا يصبح من اليمين الرجعـي بل يكون يمينياً دسماً، لقد حملت الحياة الأدبية عبء الحياة السياسية خـلال السـنوات الماضـية رغـم المضايقات التي تعرض لها كتاب اليسار.. ورغـم

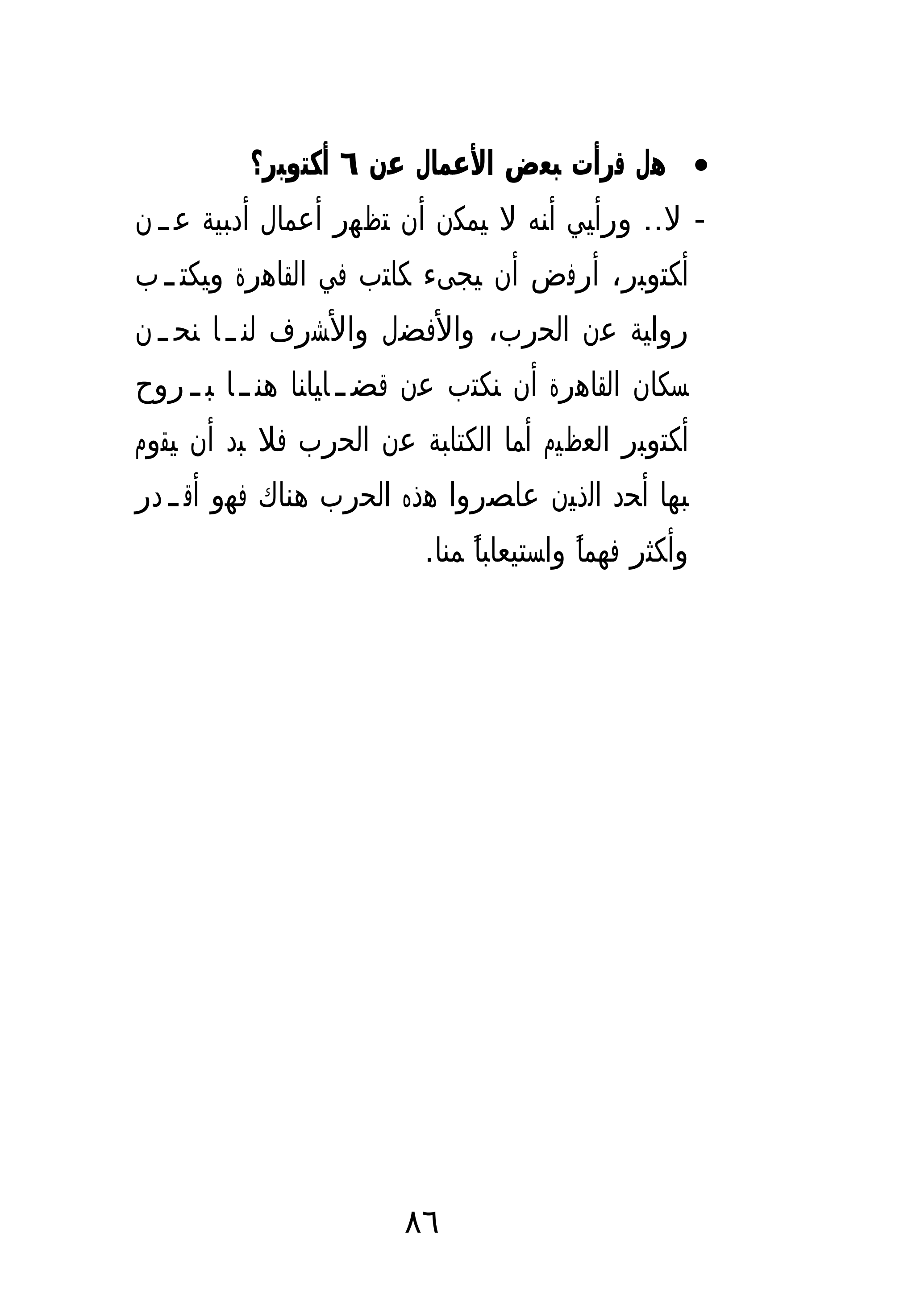


المضايقات فإن كاتباً واحداً لم يتخل عن موقفه مثلما حدث مع عدد كبير من كتاب اليسار في العالم كله.. الكاتب يساري بطبعه متحرر بطبعه تقدمي بطبعه مع الشعب وضد الظلم وضد القهر والتخلف ومع إعلاء القيم الإنسانية.

الحرب والمكانة

- **ألا تعتقد أن الحركة النقدية ظلمتك؟**

- لا أفكر في هذا، وعموماً لا أفكر في النقد بمعنى النقد المعاصر أبداً وحتى هذا غير مطلوب ولا بد أن أقدر أن الحركة النقدية نفسها كانت مظلومة ومع هذا فقد تأثرت الحركة الفنية بي، وكان تأثرها أكبر وأسرع من الحركة الأدبية، من الفرافير خرج مسرح الشوك في السامر ومسرح تحية كاريوكا السياسي في مصر وهذه حقيقة ومع هذا هناك الآن ثلاثة كتب عني ستصدر قريبا، كتاب لصبري حافظ وكتاب لفاروق عبد القادر وكتاب لمؤلف لبناني لا أذكر اسمه، حالت أزمة النشر والورق دون صدور هذه الكتب وستصدر قريباً.



- **هل قرأت بعض الأعمال عن ٦ أكتوبر؟**

- لا.. ورأيي أنه لا يمكن أن تظهر أعمال أدبية عن أكتوبر، أرفض أن يجيء كاتب في القاهرة ويكتب رواية عن الحرب، والأفضل والأشرف لنا نحن سكان القاهرة أن نكتب عن قضايانا هنا بروح أكتوبر العظيم أما الكتابة عن الحرب فلا بد أن يقوم بها أحد الذين عاصروا هذه الحرب هناك فهو أقدر وأكثر فهماً واستيعاباً منا.

الدكتور فؤاد زكريا

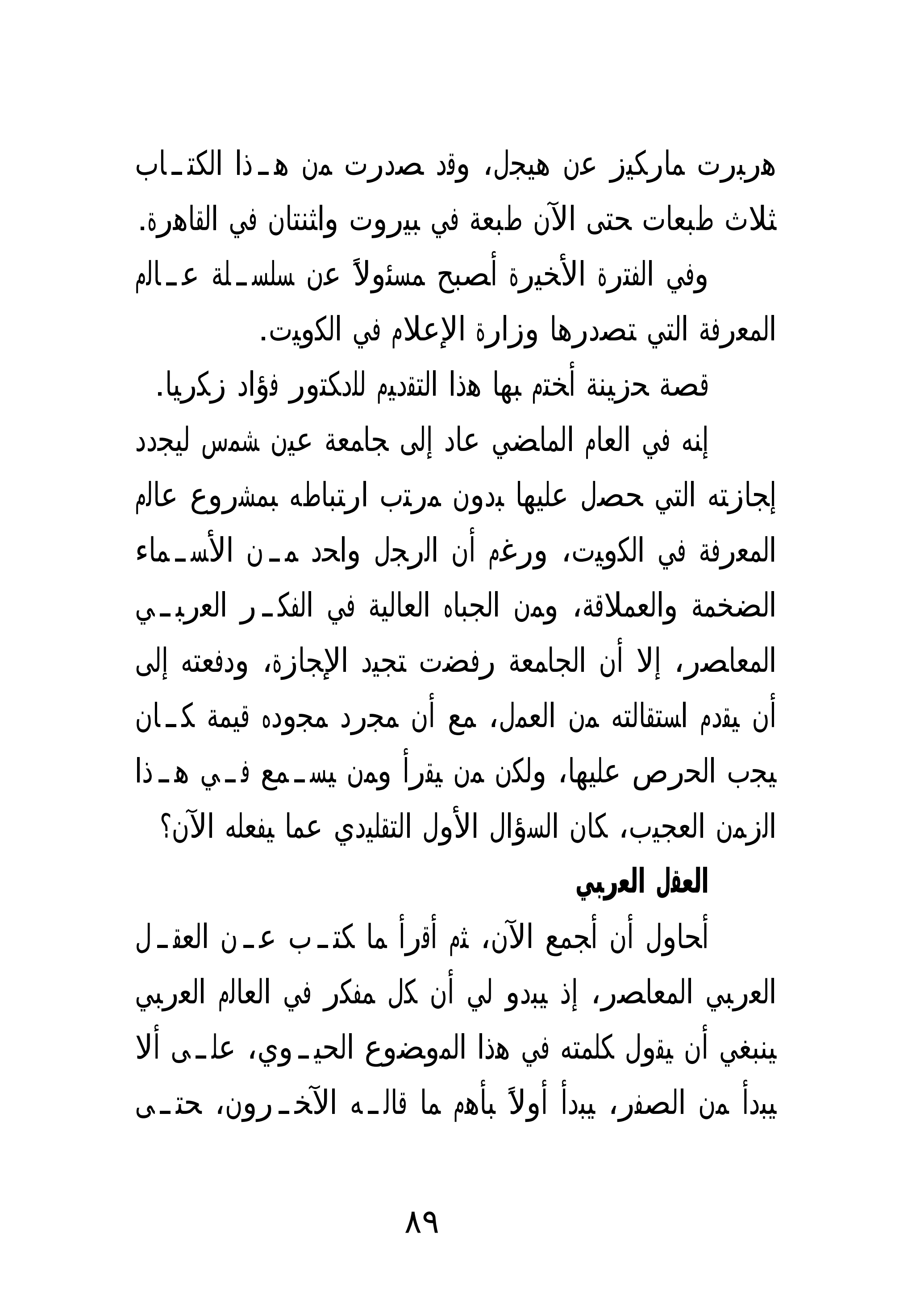
يحاكم العقل العربي

في أوقات الأزمات لا نجد من مفكرينا سوى التراجع، تلك حقيقة، وإن كان الكل لا يتراجع في العادة، هنـاك مـن يبقى في مكانه، ولا تزيده الأزمة سوى ثباتاً علـى موقفـه، ربما يتحول الأمر إلى نوع من العناد الداخلي ومن هـؤلاء الرجال الأستاذ فؤاد زكريا أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة عين شمس سابقاً، والأستاذ بكلية الآداب بجامعـة الكويـت حالياً، الرجل يسكن بالقرب مني، وتربطنا صلة عمل تعـود إلى سنوات مضت وعندما يبدأ الرفض رحلة التراجع أذهب إليه، فهو يحضر إلى مصر في الصيف من كل عام، يقضي الإجازة فيها ثم يعود من جديد إلى الكويت، ثـلاث جلسـات قضيتها معه أجرى هذا الحوار وهو يستعد للسفر، كانت لدينا حالة من الفراغ الفكري القادمة تهددنا جمعاً بحالة من التأكل الداخلي، خاصة وأن الفكر مهنة لا تجـد حتـى الآن مـن يعترف بها والمفكر مواطن مطلوب القبض عليه حتى يثبـت العكس ولأن المحاذير كثيرة في زماننا العجيـب هـذا فقـد اخترت موضوعاً واحداً للحديث عنه؛ أزمة الواقع العربـي

الراهن، والاختيار ليس هروبا بأي حالة، ولكنه محاولة منـا حتى لا نتوه في الجزئيات فهذه المرحلة مليئة بالجزئيات في كل مكان ولكن ألا يحسن بي تقديم الرجل أولا.

المفكر نفسه

ولد الدكتور فؤاد زكريا في أول ديسمبر سـنة ١٩٢٧ في مدينة بورسعيد، وتدرج في التعليم حتـى حصـل علـى الدكتوراه من جامعة القاهرة، في سنة ١٩٥٦ حصـل علـى جائزة الدولة عن دراستة للفيلسوف إسبينوزا. وقالـت عنـه اللجنة التي قررت منحة الجائزة إنه في أصالة ونضج ودرس مستفيض ورأي مستقل وقدرة على الأخـذ والـرد وتجديـد وابتكار في موضوع دقيق لم يعالج من قبل من اللغة العربية، رسالته للحصول على الدكتوراة كانت حول مشكلة الحقيقـة. وقد تولى رئاسة تحرير مجلة الفكر المعاصر، والتى صدرت فترة في مصر في أحد مراحل الإزدهار الفكري النادرة فـي مصر الحديثة، من كتاباته: له دراسة عن ريتشارد فـاجنر. وله دراسة حول نيتشه، ودراسة حول: الفن والمجتمع عبـر التاريخ، وترجع كتاب العقل والثورة، وهو الكتاب الذي ألفه



هربرت ماركيز عن هيجل، وقد صدرت من هذا الكتاب ثلاث طبعات حتى الآن طبعة في بيروت واثنتان في القاهرة.

وفي الفترة الأخيرة أصبح مسئولاً عن سلسلة عالم المعرفة التي تصدرها وزارة الإعلام في الكويت.

قصة حزينة أختم بها هذا التقديم للدكتور فؤاد زكريا.

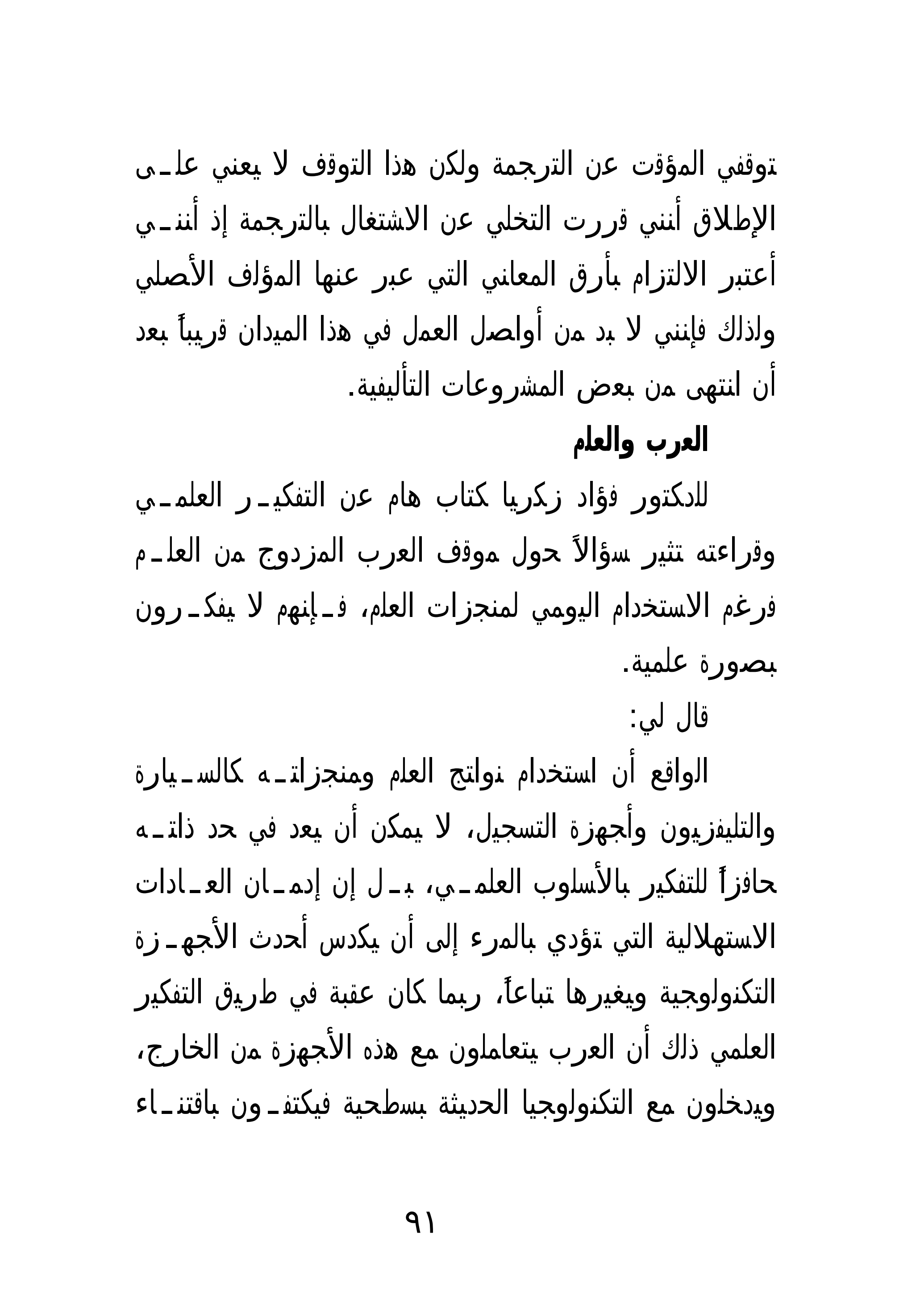
إنه في العام الماضي عاد إلى جامعة عين شمس ليجدد إجازته التي حصل عليها بدون مرتب ارتباطه بمشروع عالم المعرفة في الكويت، ورغم أن الرجل واحد من الأسماء الضخمة والعملاقة، ومن الجباه العالية في الفكر العربي المعاصر، إلا أن الجامعة رفضت تجيد الإجازة، ودفعته إلى أن يقدم استقالته من العمل، مع أن مجرد مجوده قيمة كان يجب الحرص عليها، ولكن من يقرأ ومن يسمع في هذا الزمن العجيب، كان السؤال الأول التقليدي عما يفعله الآن؟

العقل العربي

أحاول أن أجمع الآن، ثم أقرأ ما كتب عن العقل العربي المعاصر، إذ يبدو لي أن كل مفكر في العالم العربي ينبغي أن يقول كلمته في هذا الموضوع الحيوي، على ألا يبدأ من الصفر، يبدأ أولاً بأهم ما قاله الآخرون، حتى

يستطيع أن يضيف جديداً. أو على الأقل يعـالج إسـهامات الآخرين من زاوية جديدة، ويبدو لي أن العقل العربي سيظل في حاجة إلى تأمل ذات بنظرة نقدية، بل إن ازدياد التدهور العربي يؤدي إلى المزيد من مراجعة النفس والسـعي إلـى كشف عيوبها الباطنة، ولذلك فإنني أتوقـع اسـتمرار تـدفق المؤلفات والأبحاث في هذا الموضوع، وأمل أن أكون قادراً على الإسهام بنصيب في هذا الجهد المشترك الذي يضـطلع به المفكرون العرب في عصر الأزمة الراهنة.

أما عن الأعمال المترجمة، فقد مرت مرحلة قمت فيها بمجهود غير بسيط في ميدان الترجمة وكان هدفي من ذلـك هو أن أستغل قدرتي في هذا الميـدان (إذ أننـي أعتقـد أن الترجمة فن قائم بذاته. وأنني على دراية بأسرار هذا الفـن) لكي أعرف قراء العربية بعدد من النصـوص والدراسـات الهامة، وقد أسعدني رد فعل القراء على هذه المترجمات، إذا كانوا يقرؤنها كما لو كانت كتباً مؤلفة بالعربية، وهذه شهادة أعتز بها كل الاعتزاز ومع ذلك فقد بدا لي – بعد أن ترجمت ألوف الصفحات – أن من واجبي تحقيق نوع مـن التـوازن بين جهدي في الترجمة وجهدي في التأليف وهذا مـا يبـرر



توقفي المؤقت عن الترجمة ولكن هذا التوقف لا يعني على الإطلاق أنني قررت التخلي عن الاشتغال بالترجمة إذ أنني أعتبر الالتزام بأرق المعاني التي عبر عنها المؤلف الأصلي ولذلك فإنني لا بد من أواصل العمل في هذا الميدان قريباً بعد أن انتهى من بعض المشروعات التأليفية.

العرب والعلم

للدكتور فؤاد زكريا كتاب هام عن التفكير العلمي وقراءته تثير سؤالاً حول موقف العرب المزدوج من العلم فرغم الاستخدام اليومي لمنجزات العلم، فإنهم لا يفكرون بصورة علمية.

قال لي:

الواقع أن استخدام نواتج العلم ومنجزاته كالسيارة والتليفزيون وأجهزة التسجيل، لا يمكن أن يعد في حد ذاته حافزاً للتفكير بالأسلوب العلمي، بل إن إدمان العادات الاستهلالية التي تؤدي بالمرء إلى أن يكدس أحدث الأجهزة التكنولوجية ويغيرها تباعاً، ربما كان عقبة في طريق التفكير العلمي ذلك أن العرب يتعاملون مع هذه الأجهزة من الخارج، ويدخلون مع التكنولوجيا الحديثة بسطحية فيكتفون باقتناء

أحدث نواتجها ويستمتعون بها استمتاعاً لا يخلو من الدهشـة والانبهار، ولكن المشكلة هي أنهم لم يشتركوا على الإطلاق في أي جانب من جوانبها في عملية الكشف العلميـة التـي استغرقت عشرات ومئات السنين واستنفذت جهد الألوف من العلماء والباحثين في المجتمعات الغربية.

فنحن نأخذ نتائج جهد الآخرين جاهزة وهم يدرسـون ويبحثون ويفشلون أكثر من مرة فيما قبل كل نجـاح واحـد ونحن نتفرج وننتظر حتى ينجحوا، ثم نجني ثمـار نجـاحهم دون أن نحرك ساكناً. ولا أشك أن المعاناة الطويلـة التـي مرت بها الشعوب الغربية، أدت بها في النهاية إلـى بلـوغ مستواها الحالي الرفيع وهي وحدها الكفيلة بخلـق عـادات فكرية مرتكزة على المبادئ العامة المستجدة من التعلم، وهي المبادئ التي تغلغل في عقول أفراد هـذه الشـعوب بفضـل الممارسة الطويلة لأسلوب معين في الحياة وتنظـيم الطاقـة البشرية واستغلال الوقت المتاح حتى لو لـم يكـن هـؤلاء الأفراد قد ورثوا من العلم أي فرع محدد، فالغربيون قد مروا بالتجربة كاملة منذ لحظات الكشف الأول والتجارب الأولـى حتى لحظات التحقق الكامل ولذلك لا يعـد التقـدم العلمـي

والتكنولوجي بالنسبة إليهم مجرد إضافة من الخارج، وإنمـا أصبح أسلوب في الحياة والفكر مـتغلغلاً فـي شخصـيتهم ومندمجاً في طبيعتهم، أما في حالتنا نحن فقد اكتفينا باقتنـاء النواتج النهائية وبالتوقف عند محطة الوصول دون أن نمـر بالمرحلة ذاتها، ودون أن نجرب مشقاتها ومسراتها، ومن ثم فإن الاستخدام اليومي لأحدث نواتج العلم لم يغير في عادتنـا الفكرية شيأً، وظلت عقولنا تعاني من الازدواجية المألوفة بين حياة خاصة تنتمي إلى صميم العصر وفكر داخلي ما زالـت تعشش فيه أوهام العصور الوسطى وخرافاتها، ومـر علينـا قطار العلم والتكنولجيا دون أن يغير في داخلنا شيئاً كثيراً.

الحاكم والمحكوم

في محاولة لتحديد سمات هذه المرحلة في حياة الوطن العربي قال الدكتور فؤاد زكريا: أهم السـمات التـي تميـز المرحلة الراهنة في عمر الوطن العربي هي:

١- بالنسبة إلى أنظمة الحكم، هناك انفصال حاد بـين الحكام والشعوب على مستوى الوطن العربي كلـه تقريبـا، والسمة الأساسية لأنظمة الحكم في المرحلة الراهنة هي أنها حريصة على البقاء في السلطة أكثر مما هي حريصة علـى

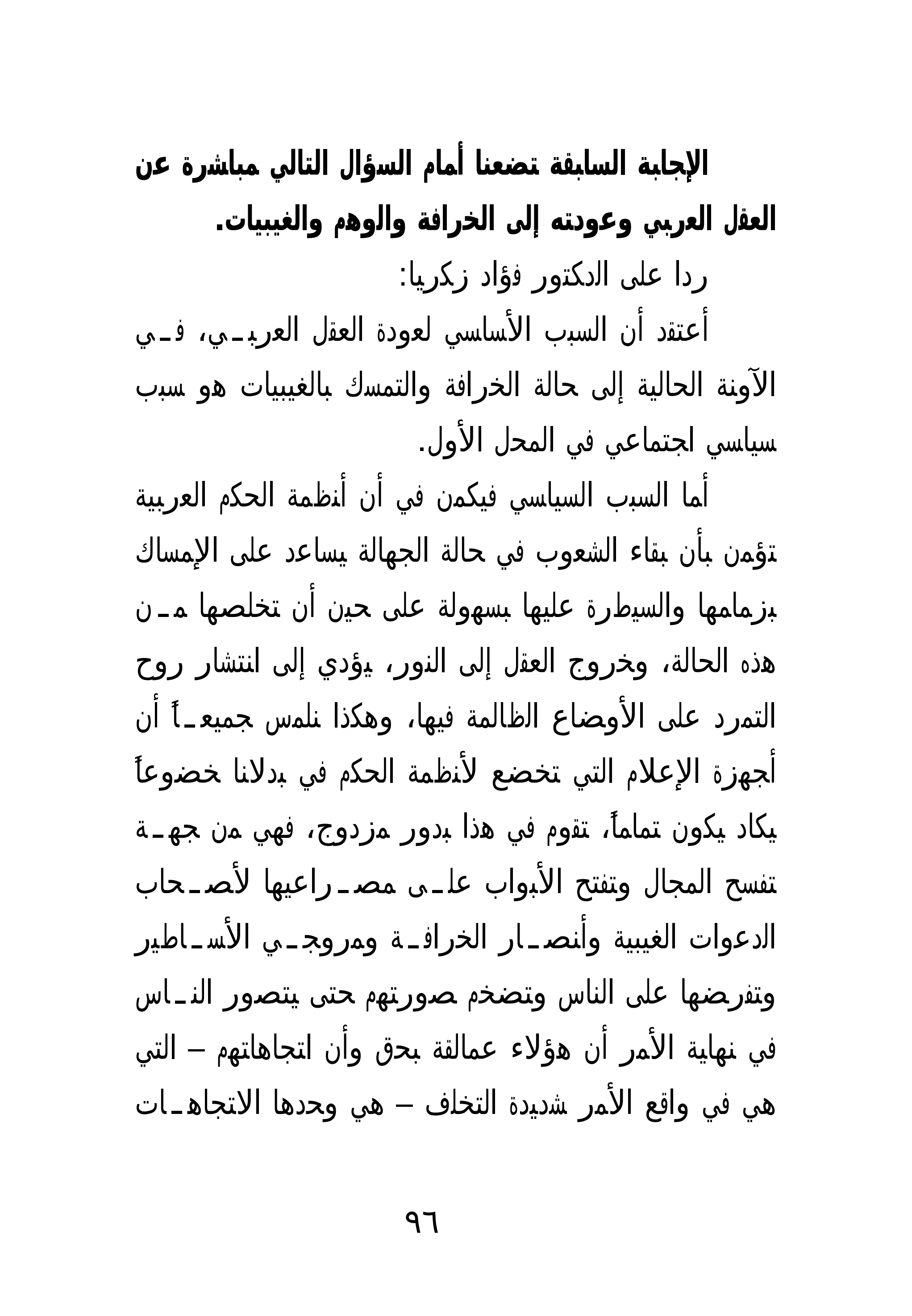
تأدية الوظيفة الأصلية للحكم وهي رعاية مصالح مواطنيهـا والنهوض بهم، وترتب على هذه السمة الأساسية نتيجة هامة، هي أن البلاد العربية لم تكن في وقت من الأوقات بعيدة عن الديمقراطية بقدر ما هي في المرحلة الحالية ذلك لأن جـزءاً هاماً من أساليب الأنظمة الحاكمة هدفه المحافظة على الحكم.

- أي أن تحقيق غايتها الكبرى – يكمن فـي إسـكات الأصوات المعارضة وإبقاء الشعوب فيما يشبه الغيبوبة التي لا تسمع فيها إلا وجهة نظر الحاكم من خلال أجهزة الإعلام ، وهكذا فعلى الرغم من كل صـيحات الدعايـة المنظمـة والموجهة، وكل ما يتشدق به عن تحقيق مطالـب الشـعوب والحكم الديمقراطي وثورات التحرير والصحيح فالجماهير لا تملك حتى حق المشاركة في توجيهه.

٢- أما بالنسبة للمحكومين، فإن الفوارق بين النفقـات المختلفة في الشعب الواحد تتزايد على الدوام، ولم تستطع كل تجارب الاشتراكية وتحقيق العدالة الاجتماعيـة أن تحـدث تأثيرا حقيقياً على مستوى الشعوب العربية.

مما يدل على أن التجارب كانت سطحية، لم يكن يقصد منها أصلا أن تمتد إلى جذور الحياة وتعيد تشـكيلها، ومـن

جهة أخرى فيبدو أن الفترة الطويلة التي انقضت منذ انتهـاء عهد الممارسة الديمقراطية النسبية (وهو عهـد الأربعينـات وأوائل الخمسينات) وتعويد الإنسان العربي على قبول القهر والضغط والتفرقة والحكم الاستثنائي حتى أصبح ينظر إلـى هذه الأمور كما لو كنت جزءا من طبيعة الأشياء وسنة مـن سنن الكون. وهذا في رأيى أخطر تغيير يمكن أن يطرأ على الأمة العربية حتى يهزم الإنسان فيها مـن الـداخل. ذلـك الوضع الاجتماعي المحير كان قائماً منذ عهد بعيد وسـيظل قائما – على الأرجح – مدة طويلة، ولكن هناك فارقا أساسياً بين وعي الإنسان بهذا الظلم وإدراكه أنه لا يمكن أن يـدوم ومقاومته له بالأساليب الإيجابية أو السـلبية وبـين قبولـه واستسلامه له كما لو كان قدراً محكوماً ومصـيراً لا يمكـن رده ومقاومته، وأخشى أن أقول، إن حالة الاستسلام هذه هي التي تميز وضع الشعوب العربية في المرحلة الراهنة وهـي التي تميز هذه المرحلة عن كافة المراحل السابقة التي كانت فيها هذه الشعوب تعبئ نفسها لمقاومة القهر أو تخـزن فـي وعيها، وعلى الأقل، شعوراً بأن هناك وضعا ظالماً ينبغي أن تعمل على إصلاحه يوماً ما.

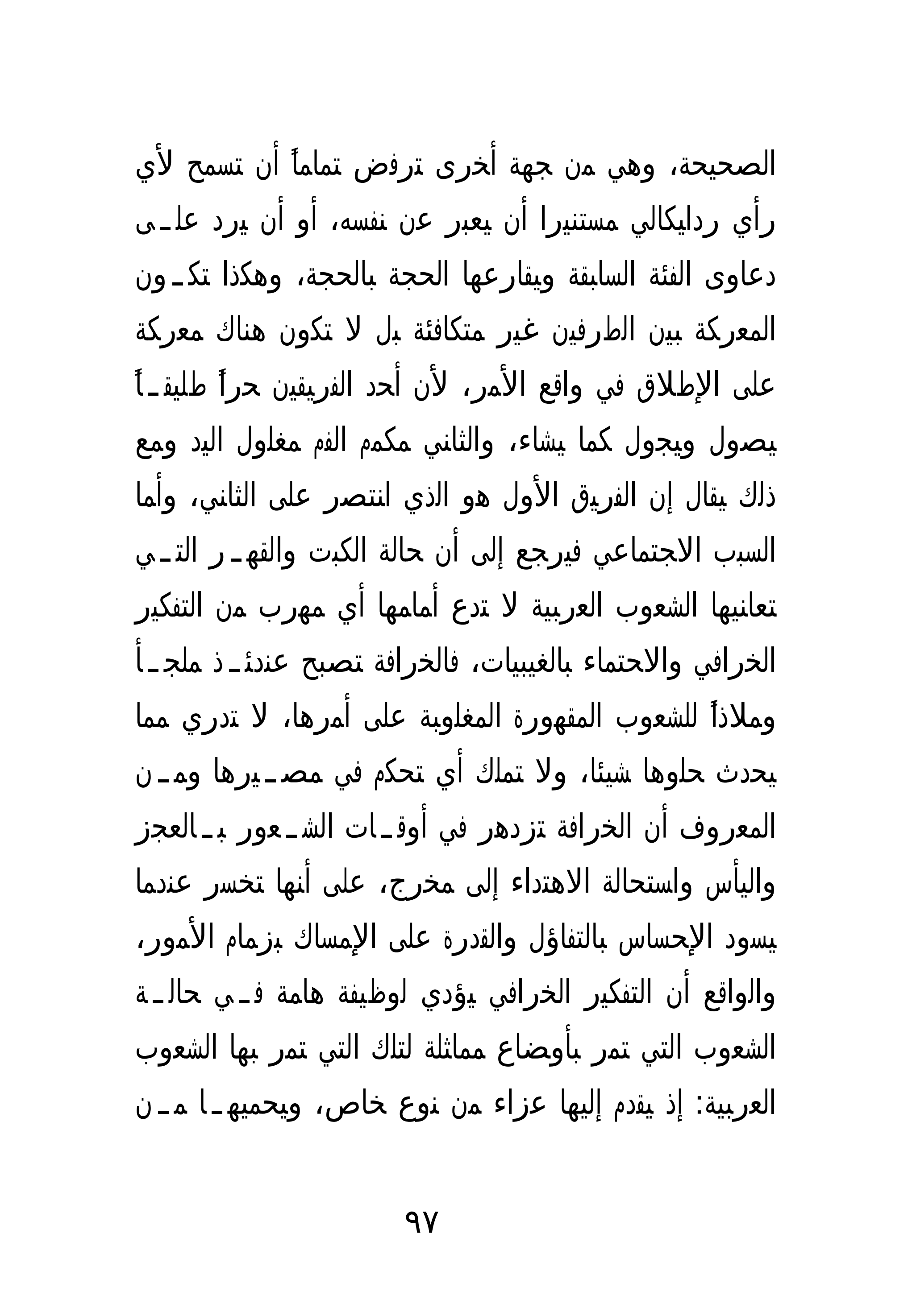


الإجابة السابقة تضعنا أمام السؤال التالي مباشرة عن العقل العربي وعودته إلى الخرافة والوهم والغيبيات.

ردا على الدكتور فؤاد زكريا:

أعتقد أن السبب الأساسي لعودة العقل العربـي، فـي الآونة الحالية إلى حالة الخرافة والتمسك بالغيبيات هو سبب سياسي اجتماعي في المحل الأول.

أما السبب السياسي فيكمن في أن أنظمة الحكم العربية تؤمن بأن بقاء الشعوب في حالة الجهالة يساعد على الإمساك بزمامها والسيطرة عليها بسهولة على حين أن تخلصها مـن هذه الحالة، وخروج العقل إلى النور، يؤدي إلى انتشار روح التمرد على الأوضاع الظالمة فيها، وهكذا نلمس جميعـاً أن أجهزة الإعلام التي تخضع لأنظمة الحكم في بدلانا خضوعاً يكاد يكون تماماً، تقوم في هذا بدور مزدوج، فهي من جهـة تفسح المجال وتفتح الأبواب علـى مصـراعيها لأصـحاب الدعوات الغيبية وأنصـار الخرافـة ومروجـي الأسـاطير وتفرضها على الناس وتضخم صورتهم حتى يتصور النـاس في نهاية الأمر أن هؤلاء عمالقة بحق وأن اتجاهاتهم – التي هي في واقع الأمر شديدة التخلف – هي وحدها الاتجاهـات

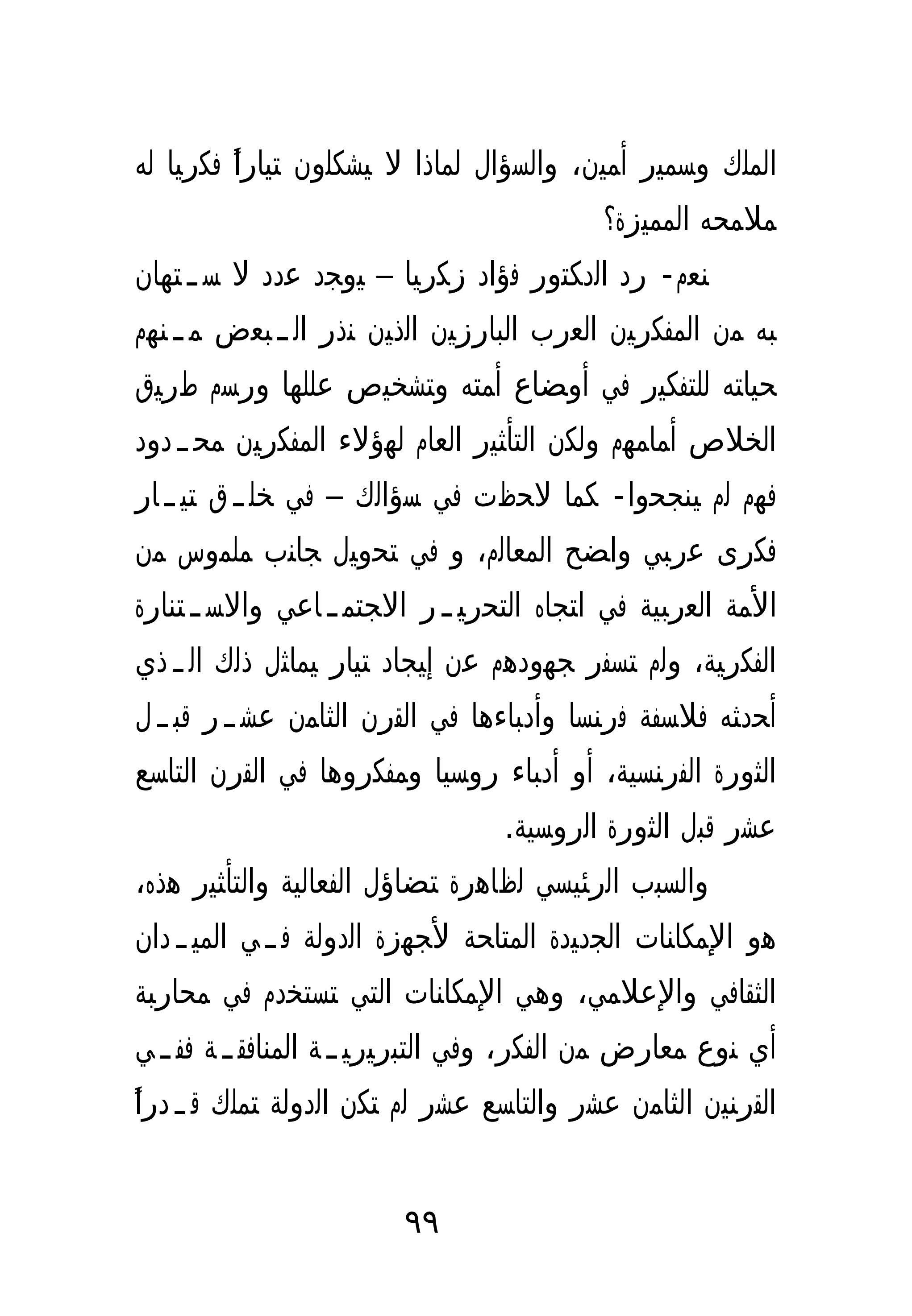

الصحيحة، وهي من جهة أخرى ترفض تماماً أن تسمح لأي رأي رديكالي مستنيرا أن يعبر عن نفسه، أو أن يرد علـى دعاوى الفئة السابقة ويقارعها الحجة بالحجة، وهكذا تكـون المعركة بين الطرفين غير متكافئة بل لا تكون هناك معركة على الإطلاق في واقع الأمر، لأن أحد الفريقين حراً طليقـاً يصول ويجول كما يشاء، والثاني مكمم الفم مغلول اليد ومع ذلك يقال إن الفريق الأول هو الذي انتصر على الثاني، وأما السبب الاجتماعي فيرجع إلى أن حالة الكبت والقهـر التـي تعانيها الشعوب العربية لا تدع أمامها أي مهرب من التفكير الخرافي والاحتماء بالغيبيات، فالخرافة تصبح عندئـذ ملجـأ وملاذاً للشعوب المقهورة المغلوبة على أمرها، لا تدري مما يحدث حلوها شيئا، ولا تملك أي تحكم في مصـيرها ومـن المعروف أن الخرافة تزدهر في أوقـات الشـعور بـالعجز واليأس واستحالة الاهتداء إلى مخرج، على أنها تخسر عندما يسود الإحساس بالتفاؤل والقدرة على الإمساك بزمام الأمور، والواقع أن التفكير الخرافي يؤدي لوظيفة هامة فـي حالـة الشعوب التي تمر بأوضاع مماثلة لتلك التي تمر بها الشعوب العربية: إذ يقدم إليها عزاء من نوع خاص، ويحميهـا مـن

التفكير المباشر في أوضاعها السـيئة ويمنحهـا أمـلاً فـي الخلاص، صحيح أن هذا الأمل كاذب، ولكن هل نملك شـيئاً سواه؟

إن التشخيص السليم للمشكلة، بطبيعة الحـال هـو أن استمرار التفكير الغيبي والخرافي يؤدي إلى الإبقـاء علـى الأوضاع التي يشكو منها الشعب العربـي، كمـا أن هـذه الأوضاع تساعد على استمرار هذا النوع من التفكيـر، إذن حلقة مفرغة ولكن من الواضح أن الخروج منها لن يـتم إلا بتغير تلك الأوضاع التي تؤدي حتماً إلى إفـراز تفكيـر لا عقلي، أما الدعوة إلى تغيير تفكير الناس أولا، وبعـد ذلـك تغيير الظروف والأوضاع، فهي دعوة معكوسة أو مقلوبـة، لأن العقول لن تتغير من فراغ، ولا يعاد تشكيلها بقـرار أو خطة ترسمها مقدماً، بل إنها لا تبدأ في التغيـر إلا بعـد أن تتبدل الأوضاع التي أضفت عليها قالبها الخـاص وتشـكلها تشكيلا يتلاءم مع طبيعتها السلبية.

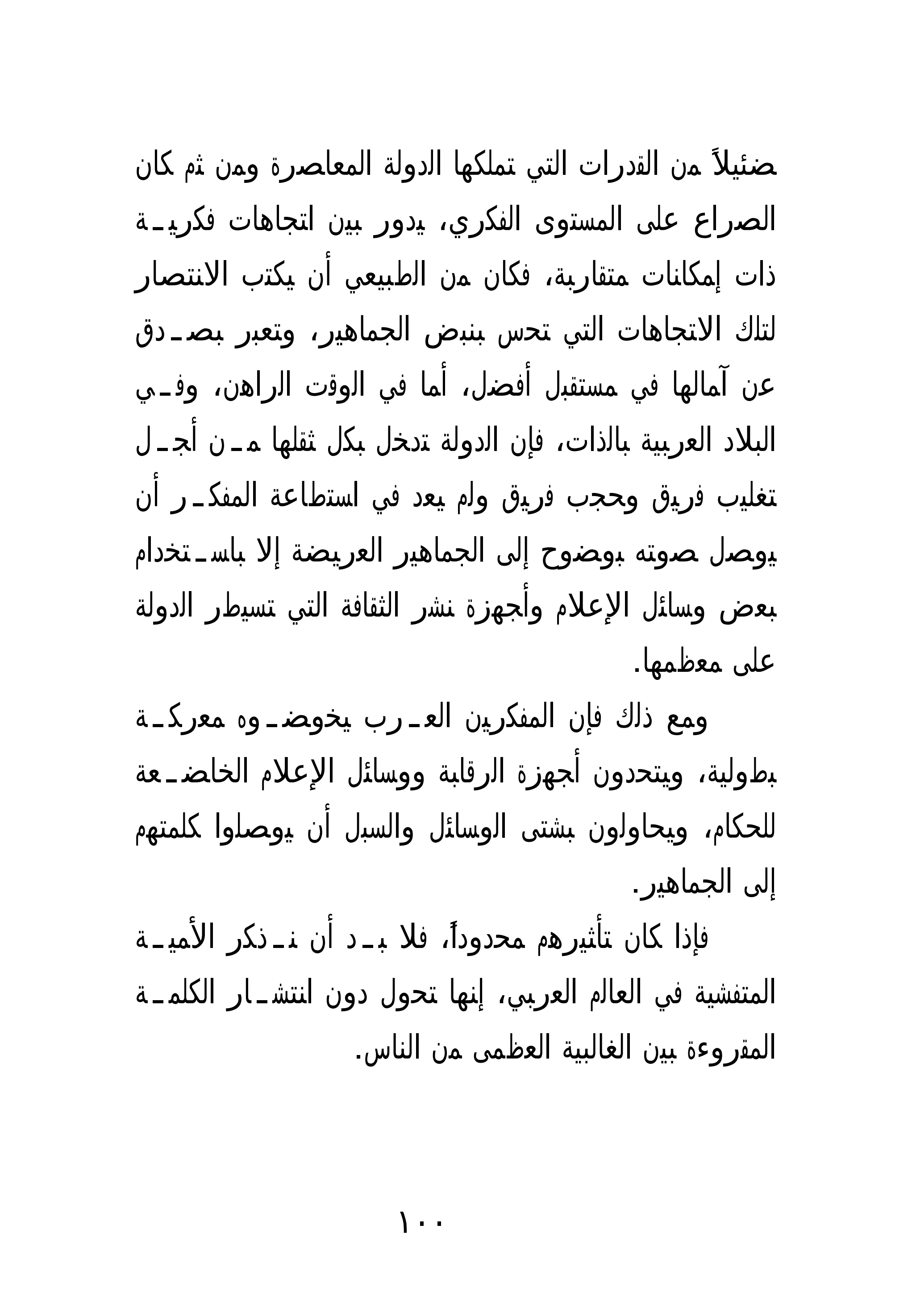
المفكرون العرب

سألته عن المفكرين العرب البـارزين فـي عصـرنا الراهن، مثل عبد ا العروي والطيب تزيني وأنـور عبـد


الماك وسمير أمين، والسؤال لماذا لا يشكلون تياراً فكريا له ملامحه المميزة؟

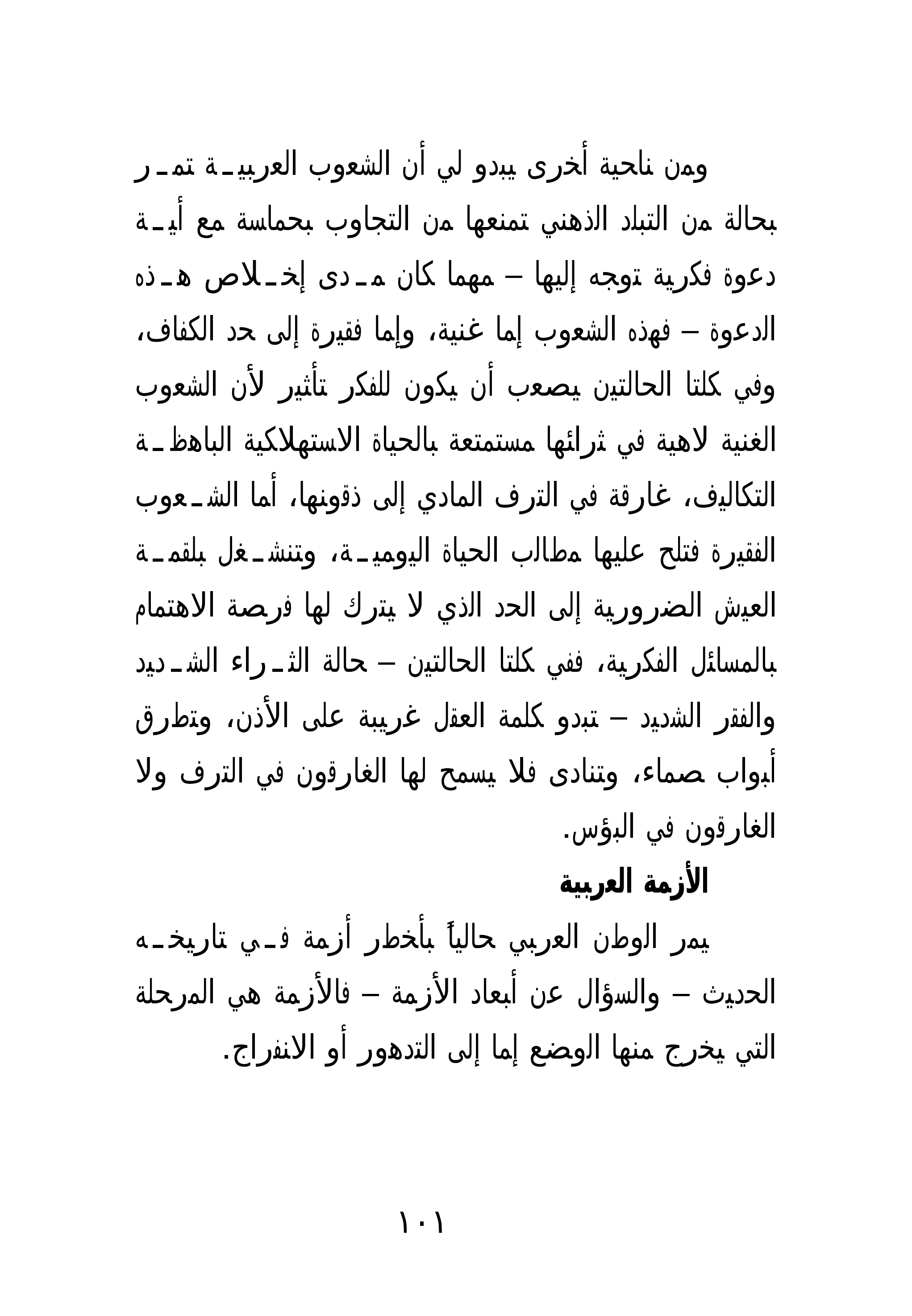
نعم- رد الدكتور فؤاد زكريا – يوجد عدد لا يستهان به من المفكرين العرب البارزين الذين نذر البعض منهم حياته للتفكير في أوضاع أمته وتشخيص عللها ورسم طريق الخلاص أمامهم ولكن التأثير العام لهؤلاء المفكرين محدود فهم لم ينجحوا- كما لاحظت في سؤالك – في خلق تيار فكرى عربي واضح المعالم، و في تحويل جانب ملموس من الأمة العربية في اتجاه التحرير الاجتماعي والاستنارة الفكرية، ولم تسفر جهودهم عن إيجاد تيار يماثل ذلك الذي أحدثه فلاسفة فرنسا وأدباءها في القرن الثامن عشر قبل الثورة الفرنسية، أو أدباء روسيا ومفكروها في القرن التاسع عشر قبل الثورة الروسية.

والسبب الرئيسي لظاهرة تضاؤل الفعالية والتأثير هذه، هو الإمكانات الجديدة المتاحة لأجهزة الدولة في الميدان الثقافي والإعلامي، وهي الإمكانات التي تستخدم في محاربة أي نوع معارض من الفكر، وفي التبريرية المنافقة ففي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لم تكن الدولة تملك قدراً


ضئيلاً من القدرات التي تملكها الدولة المعاصرة ومن ثم كان الصراع على المستوى الفكري، يدور بين اتجاهات فكرية ذات إمكانات متقاربة، فكان من الطبيعي أن يكتب الانتصار لتلك الاتجاهات التي تحس بنبض الجماهير، وتعبر بصدق عن آمالها في مستقبل أفضل، أما في الوقت الراهن، وفي البلاد العربية بالذات، فإن الدولة تدخل بكل ثقلها من أجل تغليب فريق وحجب فريق ولم يعد في استطاعة المفكر أن يوصل صوته بوضوح إلى الجماهير العريضة إلا باستخدام بعض وسائل الإعلام وأجهزة نشر الثقافة التي تسيطر الدولة على معظمها.

ومع ذلك فإن المفكرين العرب يخوضون معركة بطولية، ويتحدون أجهزة الرقابة ووسائل الإعلام الخاضعة للحكام، ويحاولون بشتى الوسائل والسبل أن يوصلوا كلمتهم إلى الجماهير.

فإذا كان تأثيرهم محدوداً، فلا بد أن نذكر الأمية المتفشية في العالم العربي، إنها تحول دون انتشار الكلمة المقروءة بين الغالبية العظمى من الناس.

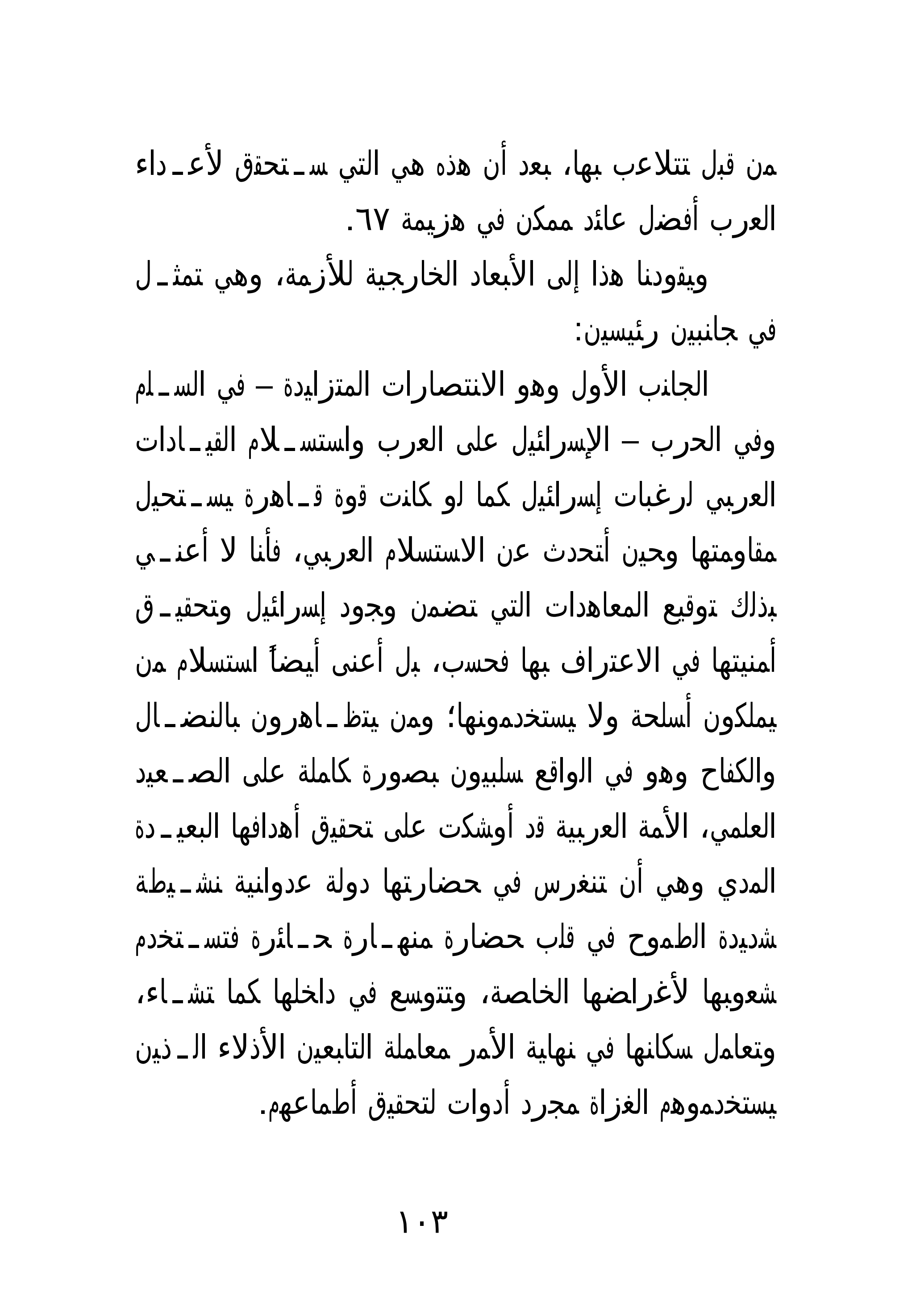


ومن ناحية أخرى يبدو لي أن الشعوب العربية تمر بحالة من التبلد الذهني تمنعها من التجاوب بحماسة مع أية دعوة فكرية توجه إليها – مهما كان مدى إخلاص هذه الدعوة – فهذه الشعوب إما غنية، وإما فقيرة إلى حد الكفاف، وفي كلتا الحالتين يصعب أن يكون للفكر تأثير لأن الشعوب الغنية لاهية في ثرائها مستمتعة بالحياة الاستهلاكية الباهظة التكاليف، غارقة في الترف المادي إلى ذقونها، أما الشعوب الفقيرة فتلح عليها مطالب الحياة اليومية، وتنشغل بلقمة العيش الضرورية إلى الحد الذي لا يترك لها فرصة الاهتمام بالمسائل الفكرية، ففي كلتا الحالتين – حالة الثراء الشديد والفقر الشديد – تبدو كلمة العقل غريبة على الأذن، وتطرق أبواب صماء، وتنادى فلا يسمح لها الغارقون في الترف ولا الغارقون في البؤس.

الأزمة العربية

يمر الوطن العربي حالياً بأخطر أزمة في تاريخه الحديث – والسؤال عن أبعاد الأزمة – فالأزمة هي المرحلة التي يخرج منها الوضع إما إلى التدهور أو الانفراج.

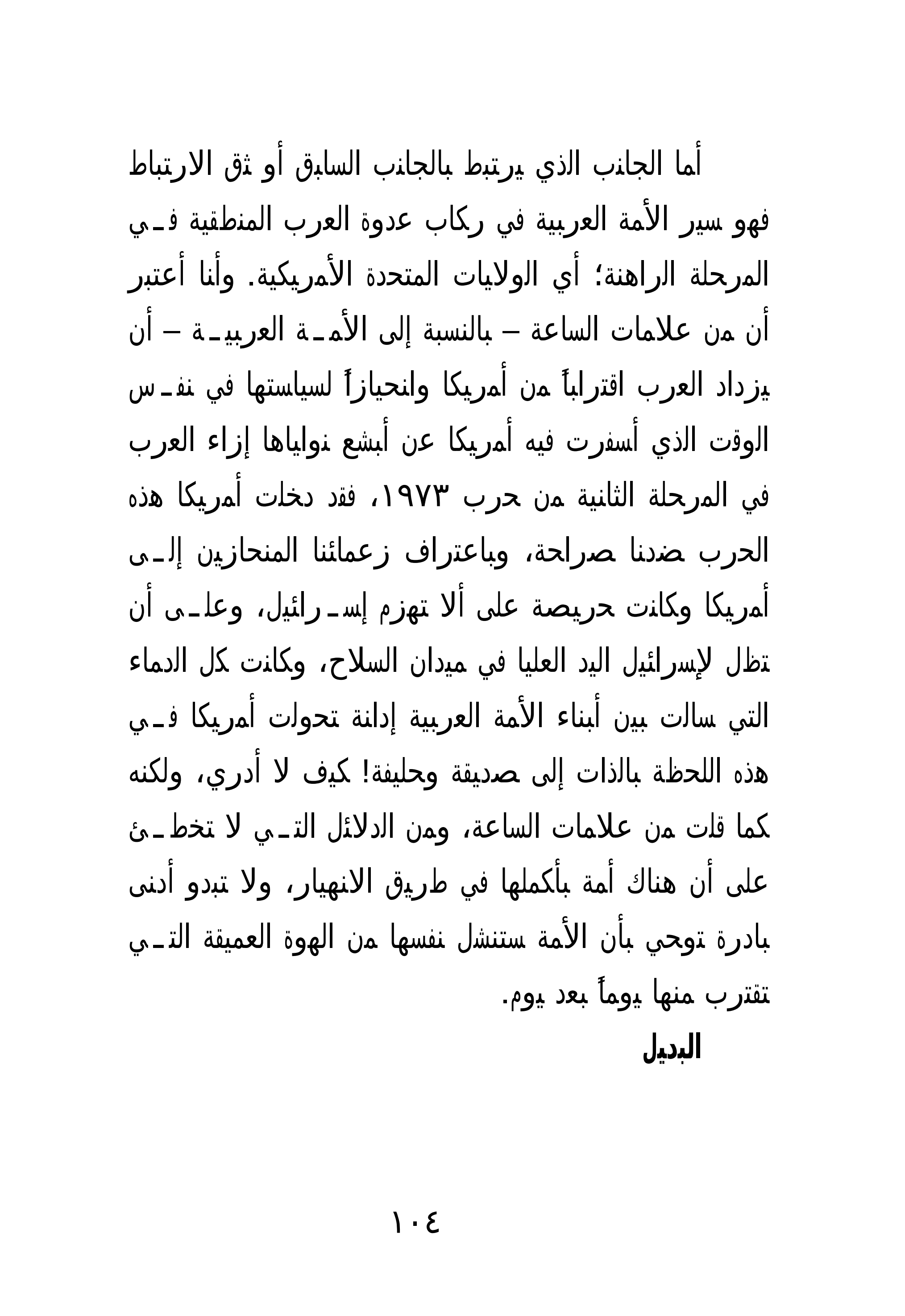
اتفق معي الدكتور زكريا في ذلك، وأكـد أن الأزمـة التي يمر بها العرب في الوقت الراهن هي بالفعـل أخطـر أزمة في تاريخهم الحديث، أبعاد داخلية وخارجية أما الأبعاد فقد تحدثت عنها من قبل، وهي تتمثل في وجود مجموعة لا تحمد عليها أنظمة الحكم، تجمعت كلها في موقف واحد وفي مرحلة حاسمة في تاريخنا، ولكي يسند بعضها بعضاً (مهمـا اختلفوا في الظاهر) ضد الشعوب العربيـة، ولكـي يحققـوا تفاصيل المخطط الذي أراده الأعداء، وأنا لا أعد مجتمع هذه الأنظمة – في الوقت الراهن بالذات – مجرد صدفة بل إنهـا قطعاً مرسومة، وضعتها تلك التي تستهدف السـيطرة علـى المنطقة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكيـة، والـدليل على ذلك هو أن تلك البلاد التي لـم تكـن تعـرف معنـى الاستقرار في الحكم – والتي كانت الإنقلابات تتعاقب عليهـا عاماً بعد عام – أصبحت تتمتع بحكم مسـتقر منـذ عشـر سنوات، وفي نظري، أن أمريكا والصـهيونية تسـعى إلـى الحصول على أفضل استثمار ممكن لهزيمة الأمة العربية في يونيو ١٩٦٧، ولذلك حافظت على أنظمة الحكم التي كانـت



من قبل تتلاعب بها، بعد أن هذه هي التي ستحقق لأعداء العرب أفضل عائد ممكن في هزيمة ٦٧.

ويقودنا هذا إلى الأبعاد الخارجية للأزمة، وهي تمثل في جانبين رئيسين:

الجانب الأول وهو الانتصارات المتزايدة – في السلم وفي الحرب – الإسرائيل على العرب واستسلام القيادات العربي لرغبات إسرائيل كما لو كانت قوة قاهرة يستحيل مقاومتها وحين أتحدث عن الاستسلام العربي، فأنا لا أعني بذلك توقيع المعاهدات التي تضمن وجود إسرائيل وتحقيق أمنيتها في الاعتراف بها فحسب، بل أعنى أيضاً استسلام من يملكون أسلحة ولا يستخدمونها؛ ومن يتظاهرون بالنضال والكفاح وهو في الواقع سلبيون بصورة كاملة على الصعيد العلمي، الأمة العربية قد أوشكت على تحقيق أهدافها البعيدة المدي وهي أن تنغرس في حضارتها دولة عدوانية نشيطة شديدة الطموح في قلب حضارة منهارة حائرة فتستخدم شعوبها لأغراضها الخاصة، وتتوسع في داخلها كما تشاء، وتعامل سكانها في نهاية الأمر معاملة التابعين الأذلاء الذين يستخدموهم الغزاة مجرد أدوات لتحقيق أطماعهم.



أما الجانب الذي يرتبط بالجانب السابق أو ثق الارتباط فهو سير الأمة العربية في ركاب عدوة العرب المنطقية في المرحلة الراهنة؛ أي الولايات المتحدة الأمريكية. وأنا أعتبر أن من علامات الساعة – بالنسبة إلى الأمة العربية – أن يزداد العرب اقتراباً من أمريكا وانحيازاً لسياستها في نفس الوقت الذي أسفرت فيه أمريكا عن أبشع نواياها إزاء العرب في المرحلة الثانية من حرب ١٩٧٣، فقد دخلت أمريكا هذه الحرب ضدنا صراحة، وباعتراف زعمائنا المنحازين إلى أمريكا وكانت حريصة على ألا تهزم إسرائيل، وعلى أن تظل لإسرائيل اليد العليا في ميدان السلاح، وكانت كل الدماء التي سالت بين أبناء الأمة العربية إدانة تحولات أمريكا في هذه اللحظة بالذات إلى صديقة وحليفة! كيف لا أدري، ولكنه كما قلت من علامات الساعة، ومن الدلائل التي لا تخطئ على أن هناك أمة بأكملها في طريق الانهيار، ولا تبدو أدنى بادرة توحي بأن الأمة ستنتشل نفسها من الهوة العميقة التي تقترب منها يوماً بعد يوم.

البديل

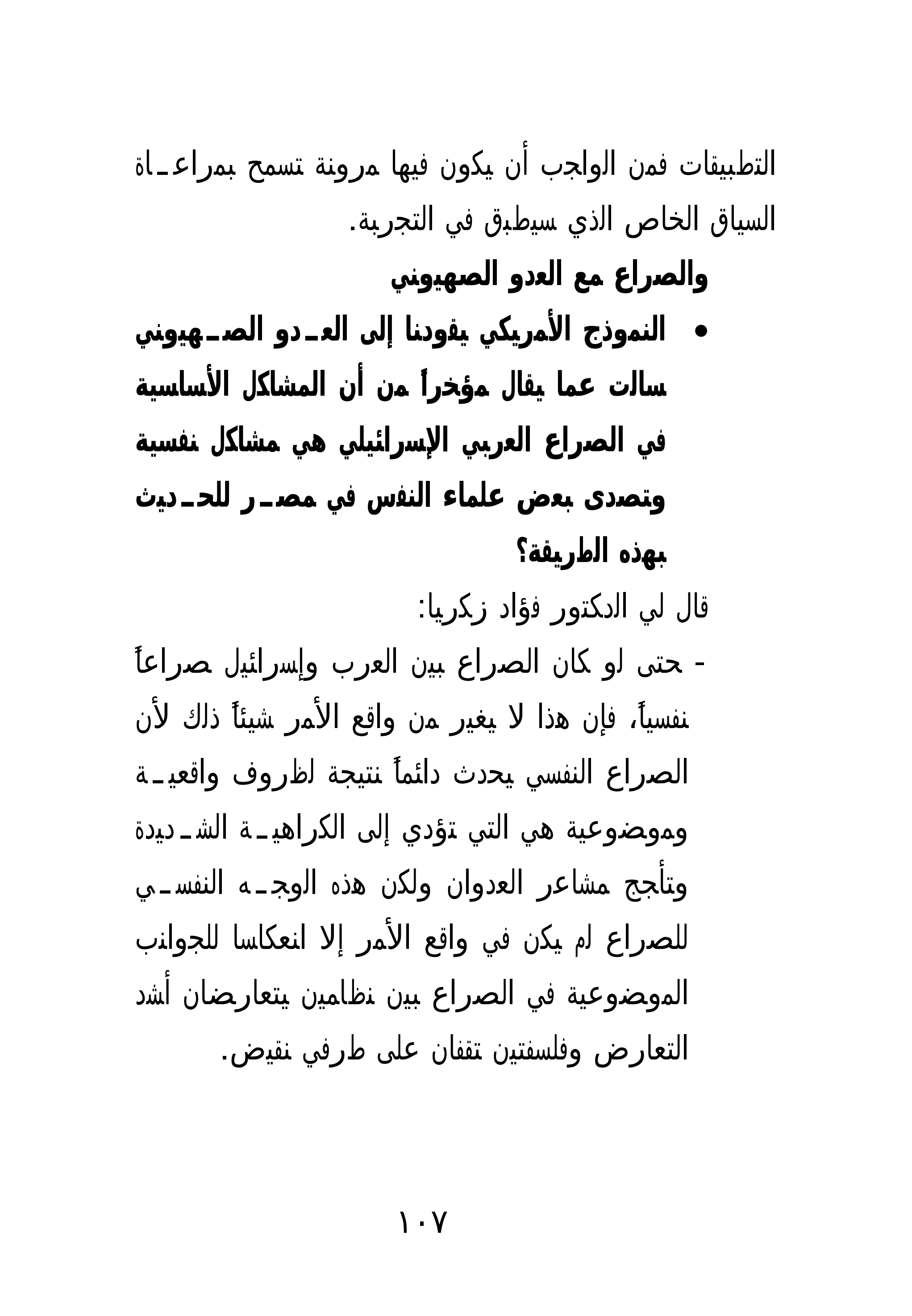
- **النموذج الأمريكي مرفوض، ولكنها مرحلة تمـر بها المنطقة كلها فما هو البديل للنموذج الأمريكي الذي لا يقبله بعض المثقفين التقدميين العرب؟**

ويرد على، صاحب الدراسة الهامة «العرب والنموذج الأمريكي».

* أعتقد أنك تقصد، مـن هـذا السـؤال، النمـوذج الأمريكي في الميدان الداخلي أي فـي الاقتصـاد وتنظـيم المجتمع وأنا أعتقد أن هذا النموذج هو أبعد النمـاذج عمـا يصلح لبلاد العالم الثالث، لو كان في هذا النموذج أي فائـدة لأفادت منه البلاد التي هي أقرب إليه، والأشد حرصاً علـى تطبيقه، ومع ذلك فإنه أخفق إخفاقا شنيعا، في بعض الـبلاد مثل تركيا وتايلاند وإيران في عهدها السـابق ومعظـم دول أمريكا اللاتينية. ففي هذه الحالات جميعاً تعمل أنظمة الحكـم على تطبيق النموذج الأمريكي في كافة تفاصيله، فتسير على نظام الاقتصاد الحر، وتقلل من تدخل الـدول فـي مجـال الخدمات إلى الحد الأدنى، وتترك العلاقات بـين أصـحاب العمل والعمال تنظيم من خلال صفقات ثنائية، إلى آخر تلك السمات المعروفة التي تميز النمط الأمريكي، ومع ذلك فـإن

الأوضاع في هذه الدول جميعاً متردية إلى أقصى حد، والمشاكل بالأمان على حياته ومستقبله وعمله يكاد يكون منعدماً.

وهذا في رأيي أمر طبيعي لأن النموذج الأمريكي – كما أوضحت في الكتيب الذي نشر لي حول هذا الموضوع – ظهر في ظروف فريدة ويستحيل أن يتكرر حتى في العالم الغربي ذاته. أما في العالم الثالث فإن هذا النموذج يقضي على الكيانات إذا يؤدي إلى تخصيص الموارد من أجل إشباع الرغبات الاستهلاكية التي تزيد هذه البلاد، اعتماداً على الدول المتقدمة صناعياً بدلاً من تكدس هذه الموارد من أجل إيجاد تنمية حقيقية، والشيء الذي تحتاجه دول العالم الثالث هو التخطيط الاجتماعي الشامل للموارد وأواجه الإنفاق بحيث توضع للمجتمع أولويات محدودة يلزم بها الجميع ويتخلي الناس عن وهم الحرية الاقتصادية الذي يؤدي في الواقع إلى ثراء القلة وشقاء الكثرة، مثل هذا النموذج قد يقترب كثيراً من الاشتراكية، ولكن من واجب كل مجتمع أن يطبقه بالطريقة التي تتلاءم مع ظروفه الخاصة، فالمبدأ العام هو التخطيط العلمي المدروس لموارد المجتمع وطاقاته، أما


التطبيقات فمن الواجب أن يكون فيها مرونة تسمح بمراعـاة السياق الخاص الذي سيطبق في التجربة.

والصراع مع العدو الصهيوني

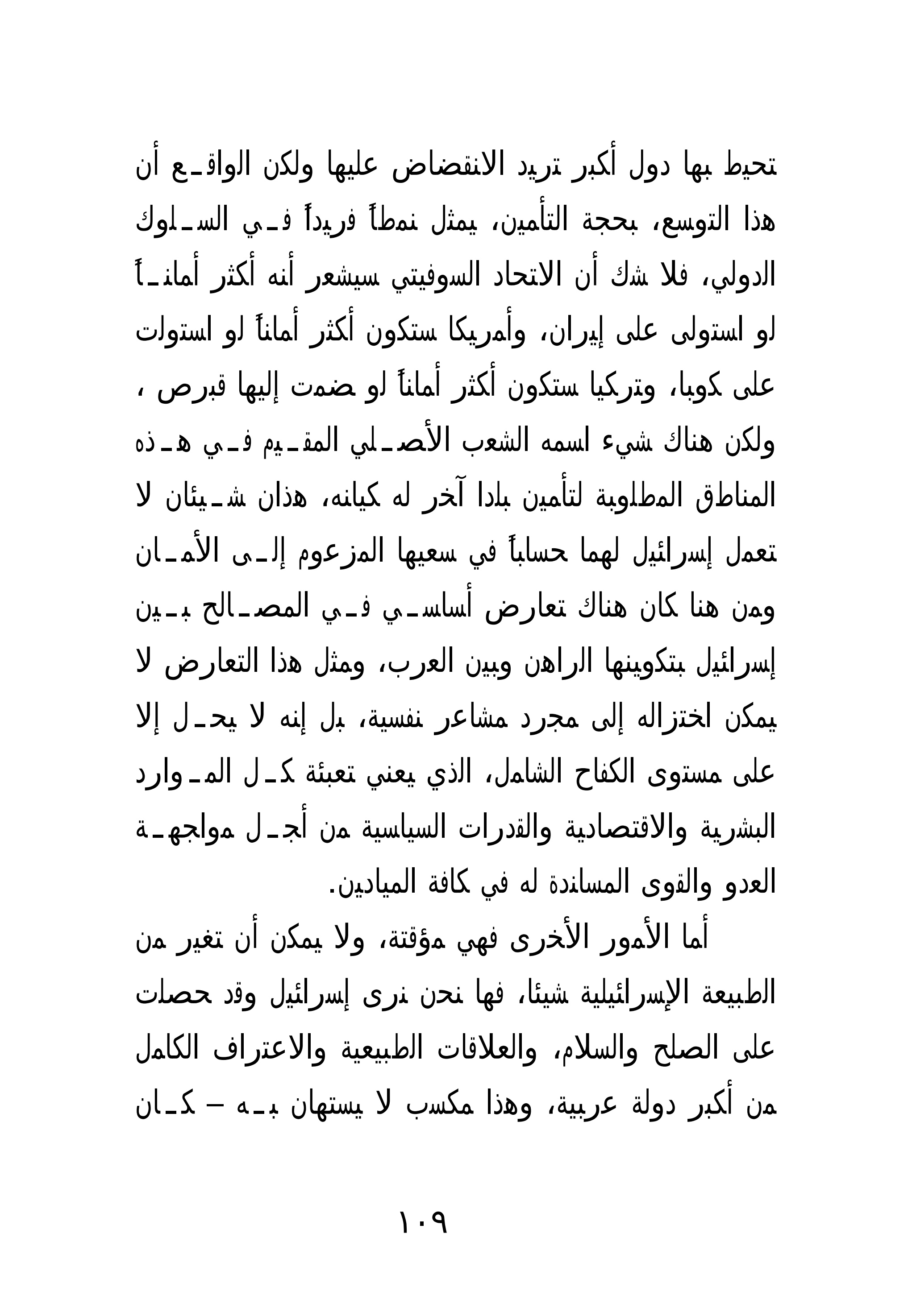
- **النموذج الأمريكي يقودنا إلى العـدو الصـهيوني سالت عما يقال مؤخراً من أن المشاكل الأساسية في الصراع العربي الإسرائيلي هي مشاكل نفسية وتصدى بعض علماء النفس في مصـر للحـديث بهذه الطريقة؟**

قال لي الدكتور فؤاد زكريا:

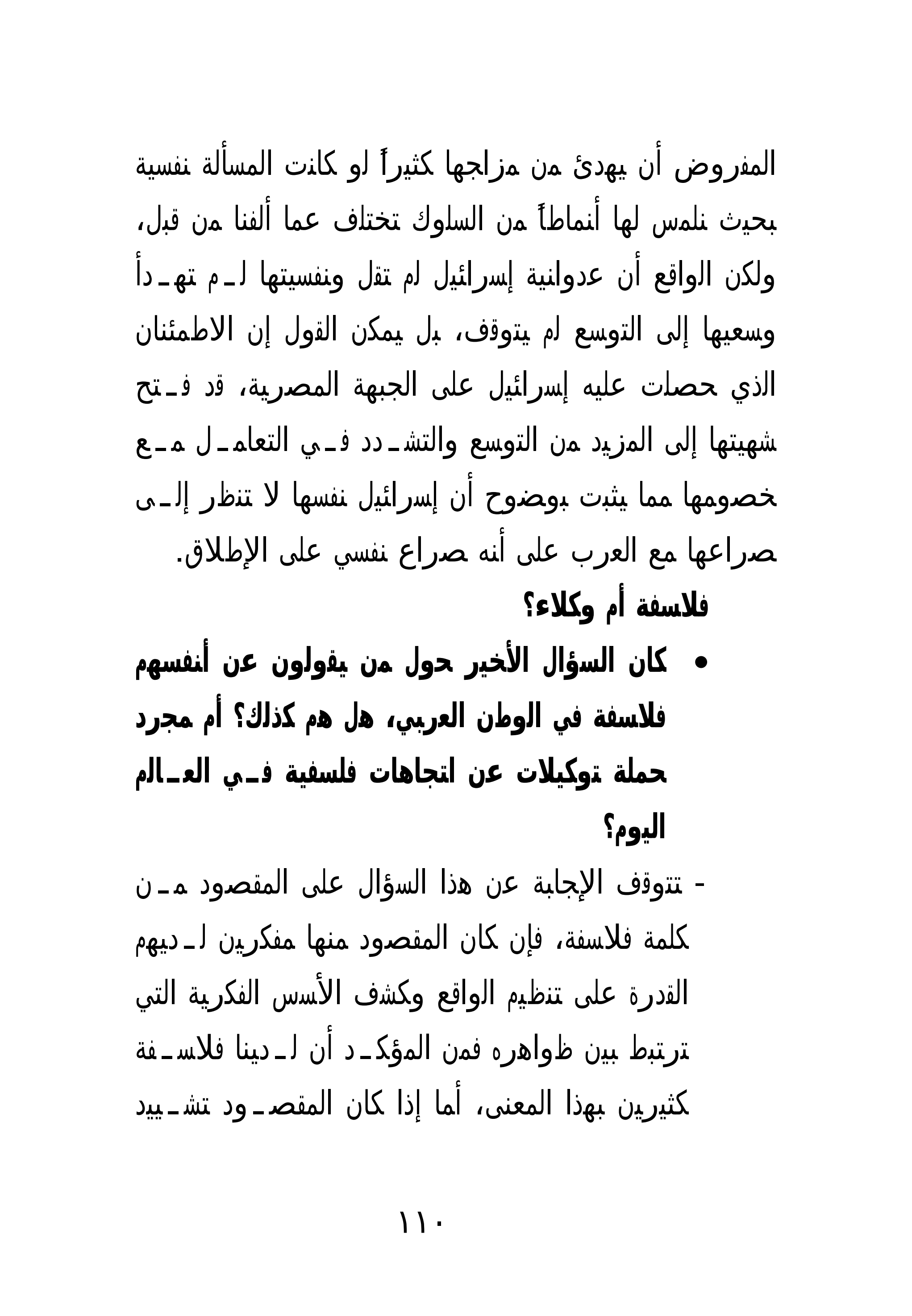
- حتى لو كان الصراع بين العرب وإسرائيل صراعاً نفسياً، فإن هذا لا يغير من واقع الأمر شيئاً ذلك لأن الصراع النفسي يحدث دائماً نتيجة لظروف واقعيـة وموضوعية هي التي تؤدي إلى الكراهيـة الشـديدة وتأجج مشاعر العدوان ولكن هذه الوجـه النفسـي للصراع لم يكن في واقع الأمر إلا انعكاسا للجوانب الموضوعية في الصراع بين نظامين يتعارضان أشد التعارض وفلسفتين تقفان على طرفي نقيض.

وعلى ذلك، فمن الممكن أن نسلم جدلاً برأي القائلين إن بيننا وبين الإسرائيليين سراعاً نفسياً حاداً، ولكن هذا لا ينفي على الإطلاق وجود عوامل موضوعية أساسية في هذا الصراع بل إن الجانب النفسي ما هو إلا نتيجة ومظهر خارجي لعوامل أخرى أهم، من المحال أن تكون بيننا وبين الإسرائيليين كراهية لمجرد أننا لا نستلطفهم أو لأن أفكارنا مسبقة خاطئة عنهم، فالتاريخ الطويل للصراع العربي الإسرائيلي والمعروف للكافة بأهداف الخصم وأطماعه والوسائل التي يتبعها من أجل تحقيق هذه الأهداف، كل هذا كفيل بأن يجعل للصراع معه أسساً محددة، لا تبني على الوهم أو التخيل، لقد تعاملنا معهم طويلاً وعرفنا عن كثب وذقنا مرارة الحرب معهم مرات عديدة، وهذا كله لا يدع أي مجال للاعتقاد بأن الأمر كله خطأ أو سوء تفاهم.

وحقيقة الأمر أن إسرائيل مجتمع توسعي، يوهم نفسه بأن الهدف من هذا التوسع هو الدفاع عن نفسه وتأمين حياته، وهكذا فإن كل قطعة أرض جديدة يضمها أو ينشئ فيها مستوطنة يتم الاستيلاء عليها بحجة الدفاع عن النفس، وتبرر إسرائيل تصرفها أمام العالم بأنها دولة صغيرة مسكينة


تحيط بها دول أكبر تريد الانقضاض عليها ولكن الواقـع أن هذا التوسع، بحجة التأمين، يمثل نمطاً فريداً فـي السـلوك الدولي، فلا شك أن الاتحاد السوفيتي سيشعر أنه أكثر أمانـاً لو استولى على إيران، وأمريكا ستكون أكثر أماناً لو استولت على كوبا، وتركيا ستكون أكثر أماناً لو ضمت إليها قبرص ، ولكن هناك شيء اسمه الشعب الأصـلي المقـيم فـي هـذه المناطق المطلوبة لتأمين بلدا آخر له كيانه، هذان شـيئان لا تعمل إسرائيل لهما حساباً في سعيها المزعوم إلـى الأمـان ومن هنا كان هناك تعارض أساسـي فـي المصـالح بـين إسرائيل بتكوينها الراهن وبين العرب، ومثل هذا التعارض لا يمكن اختزاله إلى مجرد مشاعر نفسية، بل إنه لا يحـل إلا على مستوى الكفاح الشامل، الذي يعني تعبئة كـل المـوارد البشرية والاقتصادية والقدرات السياسية من أجـل مواجهـة العدو والقوى المساندة له في كافة الميادين.

أما الأمور الأخرى فهي مؤقتة، ولا يمكن أن تغير من الطبيعة الإسرائيلية شيئا، فها نحن نرى إسرائيل وقد حصلت على الصلح والسلام، والعلاقات الطبيعية والاعتراف الكامل من أكبر دولة عربية، وهذا مكسب لا يستهان بـه – كـان



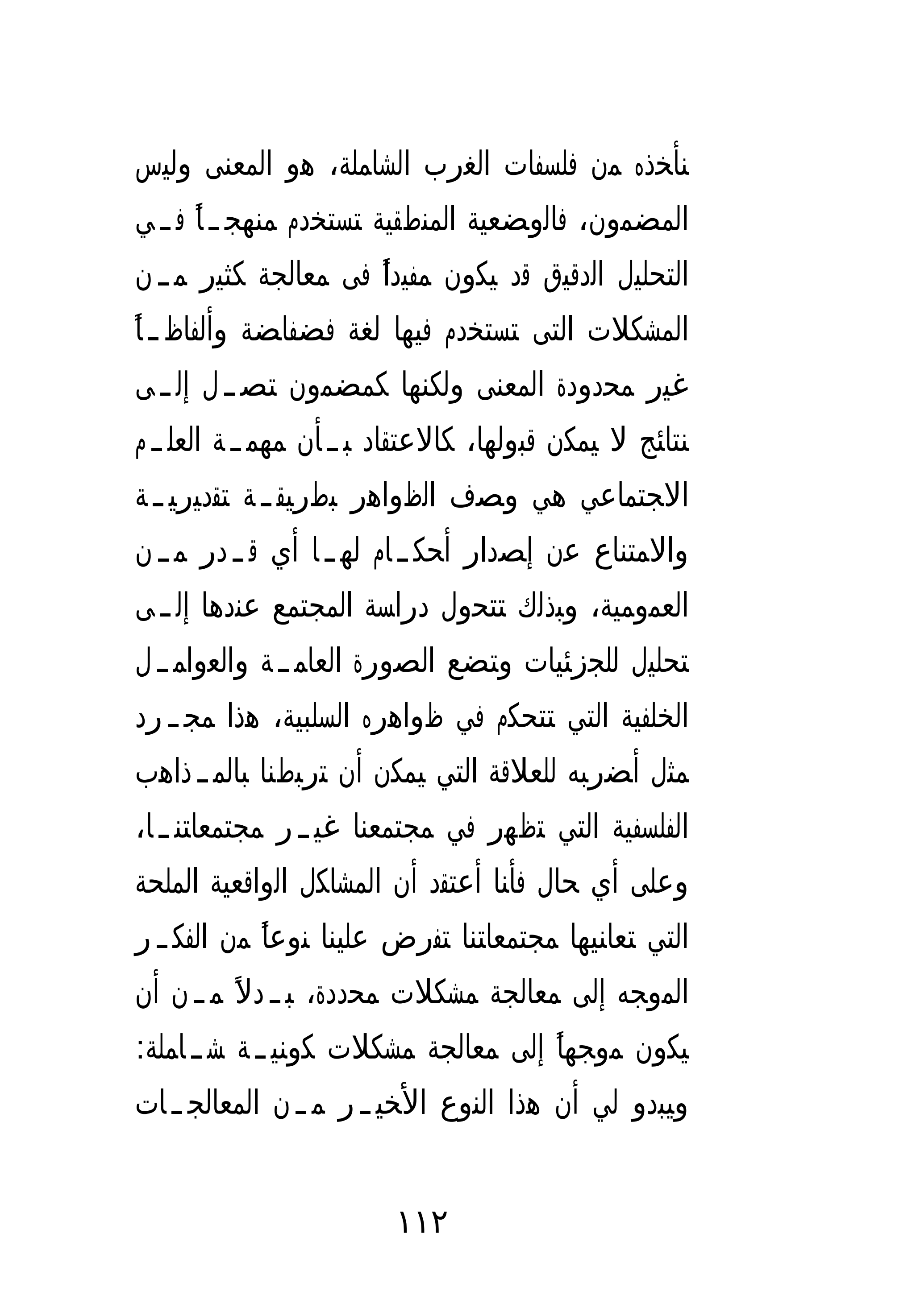
المفروض أن يهدئ من مزاجها كثيراً لو كانت المسألة نفسية بحيث نلمس لها أنماطاً من السلوك تختلف عما ألفنا من قبل، ولكن الواقع أن عدوانية إسرائيل لم تقل ونفسيتها لـم تهـدأ وسعيها إلى التوسع لم يتوقف، بل يمكن القول إن الاطمئنان الذي حصلت عليه إسرائيل على الجبهة المصرية، قد فـتح شهيتها إلى المزيد من التوسع والتشـدد فـي التعامـل مـع خصومها مما يثبت بوضوح أن إسرائيل نفسها لا تنظر إلـى صراعها مع العرب على أنه صراع نفسي على الإطلاق.

فلاسفة أم وكلاء؟

- **كان السؤال الأخير حول من يقولون عن أنفسهم فلاسفة في الوطن العربي، هل هم كذلك؟ أم مجرد حملة توكيلات عن اتجاهات فلسفية فـي العـالم اليوم؟**

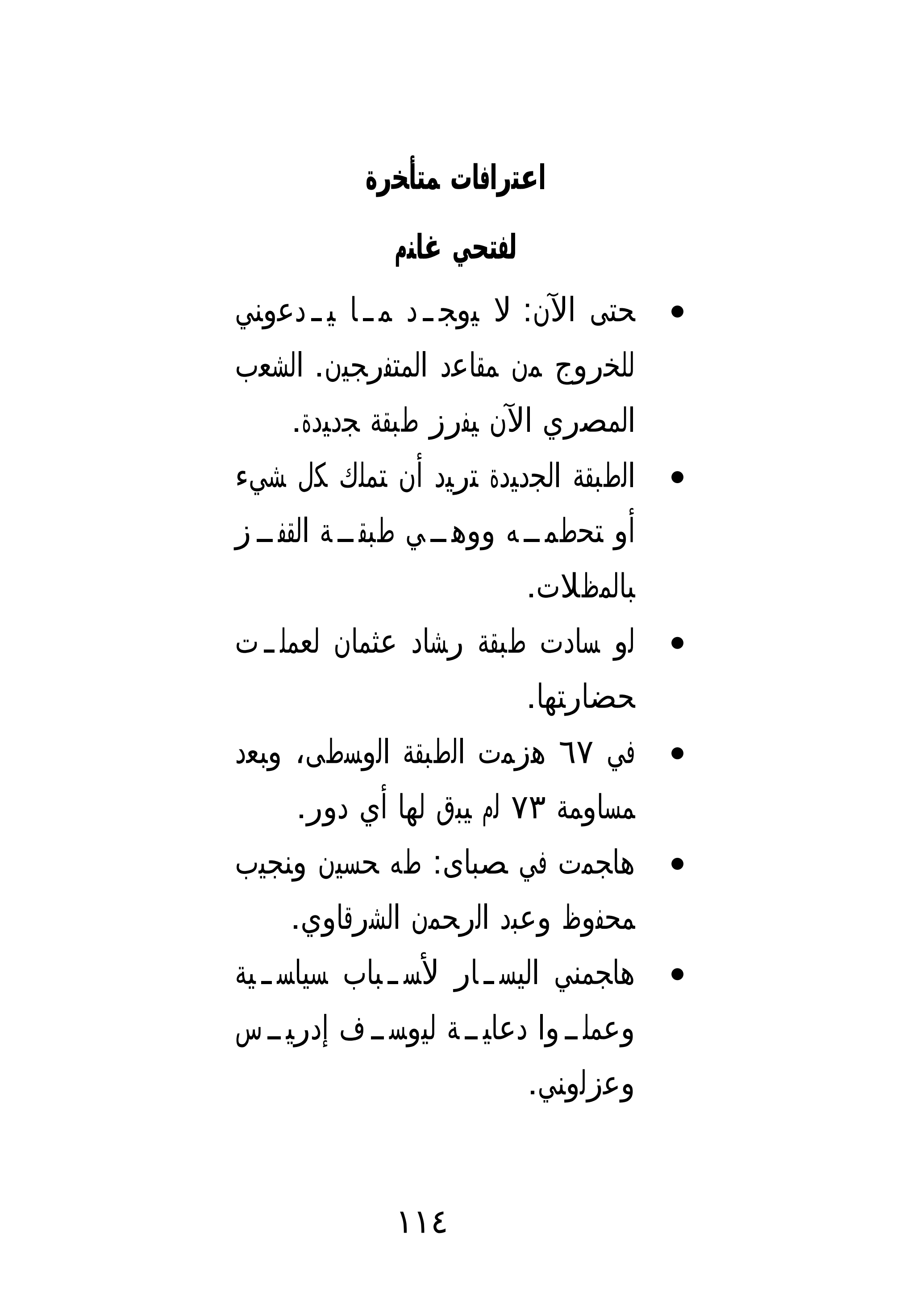
- تتوقف الإجابة عن هذا السؤال على المقصود مـن كلمة فلاسفة، فإن كان المقصود منها مفكرين لـديهم القدرة على تنظيم الواقع وكشف الأسس الفكرية التي ترتبط بين ظواهره فمن المؤكـد أن لـدينا فلاسـفة كثيرين بهذا المعنى، أما إذا كان المقصـود تشـييد

بناءات نظرية مكتملة، أو مذاهب شاملة تعالج كل ما يدخل في نطاق المعرفة البشرية من تطور فكـري خالص على نحو ما فعل أرسطو أو هيجـل مـثلاً، فإننا لا نعرف بالفعل في بلادنا فلاسفة من هذا النوع، ومعظم من حـاولوا أن يعرضـوا مـذهباً فكريـاً ويدافعون عنه في بلادنا هم في واقع الأمر ممثلـون لمذهب ظهر في الخارج بصورة مستقلة كالوجودية والماركسية أو الوضعية المنطقية، على إننا لا ينبغي أن ننظر إلى هذا الأمر على أنه يعبر عن نقص في طبيعتنا لأنه من الجائز جداً أن الحاجة إلى المذاهب الفكرية الشاملة غير قائمة في مجتمعنا، وقد ظهرت هذه المذاهب في الغرب سواء في اليونان القديمة أو في أوروبا الحديثة (التي تعتبر من الوجهة الفلسـفية امتداداً لليونان القديمة بلا جدال) ظهرت في ظروف معينة لم تتكرر في مجتمعاتنا ولذلك لـم تستشـعر مجتمعاتنا الحاجة إلى إقامة مذاهب فلسـفية تضـع ظواهر الطبيعة والإنسان كلها فـي إطـار واحـد وتتأملها من منظور واحد، والواقع أن ما ينبغـي أن



نأخذه من فلسفات الغرب الشاملة، هو المعنى وليس المضمون، فالوضعية المنطقية تستخدم منهجاً في التحليل الدقيق قد يكون مفيداً فى معالجة كثير من المشكلات التى تستخدم فيها لغة فضفاضة وألفاظاً غير محدودة المعنى ولكنها كمضمون تصل إلى نتائج لا يمكن قبولها، كالاعتقاد بأن مهمة العلم الاجتماعي هي وصف الظواهر بطريقة تقديرية والامتناع عن إصدار أحكام لها أي قدر من العمومية، وبذلك تتحول دراسة المجتمع عندها إلى تحليل للجزئيات وتضع الصورة العامة والعوامل الخلفية التي تتحكم في ظواهره السلبية، هذا مجرد مثل أضربه للعلاقة التي يمكن أن تربطنا بالمذاهب الفلسفية التي تظهر في مجتمعنا غير مجتمعاتنا، وعلى أي حال فأنا أعتقد أن المشاكل الواقعية الملحة التي تعانيها مجتمعاتنا تفرض علينا نوعاً من الفكر الموجه إلى معالجة مشكلات محددة، بدلاً من أن يكون موجهاً إلى معالجة مشكلات كونية شاملة: ويبدو لي أن هذا النوع الأخير من المعالجات

الفكرية الشاملة ينطوي على نوع من الترف الفكري الذي لا نملكه في الوقت الراهن، وعلى أية حال فإن العصر لا يحبذ مثل هذه المذاهب حتى فـي الـبلاد التي اعتادتها في عصور ماضية. وإنما تتجه الفلسفة فيه على نحو متزايد إلى التركيز علـى مشـكلات محددة بدلاً من إقحام فسها في كل ما يقع في نطـاق الوعي الإنساني.



اعترافات متأخرة

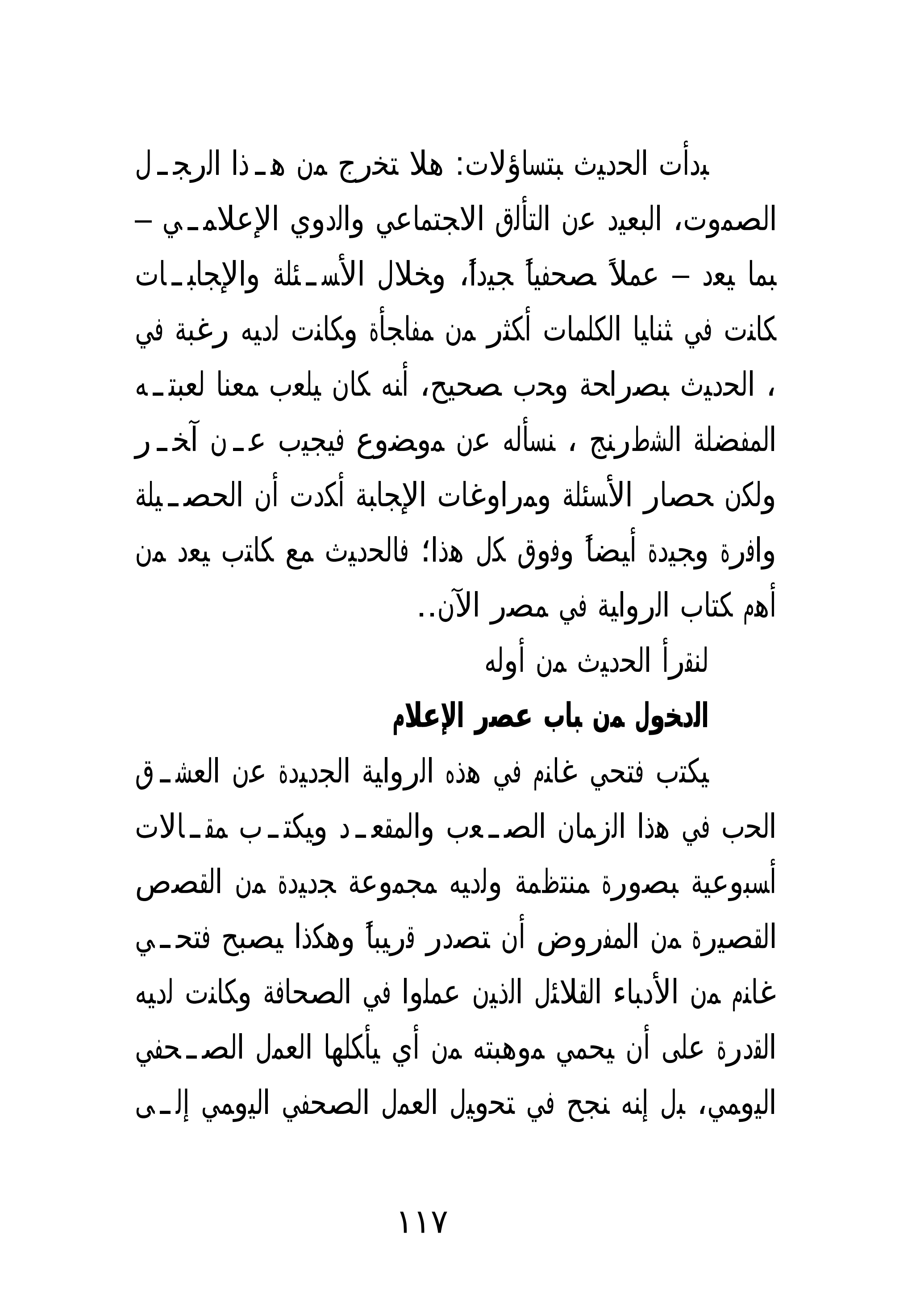
لفتحي غانم

- حتى الآن: لا يوجـد مـا يـدعوني للخروج من مقاعد المتفرجين. الشعب المصري الآن يفرز طبقة جديدة.
- الطبقة الجديدة تريد أن تملك كل شيء أو تحطمـه ووهـي طبقـة القفـز بالمظلات.
- لو سادت طبقة رشاد عثمان لعملـت حضارتها.
- في ٦٧ هزمت الطبقة الوسطى، وبعد مساومة ٧٣ لم يبق لها أي دور.
- هاجمت في صباى: طه حسين ونجيب محفوظ وعبد الرحمن الشرقاوي.
- هاجمني اليسـار لأسـباب سياسـية وعملـوا دعايـة ليوسـف إدريـس وعزلوني.

- كتبت مقالاً ضد إحسان عبد القـدوس ونشره وهو رئيس التحريـر الجيـل السابق في الصحافة مهزوم ومحبط
- نجيب محفوظ لا يعرف المغامرة أبداً.
- محمد التابعي هو محمد ناجي، وهيكل هو يوسف السويفي.
- تعلمت من سكان القرية التحدي الأول في حياتي: وهو الرفض.
- قال لي الليثي عبد الناصر: أخي مات في ٦٧ وليس في ١٩٧٠.
- عملت مع أحمد بهـاء الـدين وعبـد الرحمن الشرقاوي في غرفة واحـدة الأن أكتب رواية عن الحب.
- نعم.. مطلوب من عصرنا أن يـذهب إلى القبر.

كان إجراء حديث مع فتحي غانم عملاً صعباً للغايـة فهو رجل لا يجيد التعبير عن نفسه سوى بالكتابة وهو رجل غير اجتماعي، ودروبه نحو الآخرين لها طرق خاصـة بـه

وحدة فتحي غانم شحيح الكلمات نادراً ما يتحدث عن نفسـه وحياته، ومع هذا كان حديثه معنا مليئاً بالجديد الذي يقولـه لأول مرة، وبدأت الحديث معه عن الرواية التي يعمل فيهـا الآن، ثم تزاحم جو المكان بكلمات كثيرة، وتعالوا نطل على العناوين فقط لذة الجلوس في مقاعد المتفرجين، شعب مصر يفرز الآن طبقة جديدة، وهـي طبقـة القفـز بـالمظلات ، وشعارها معروف، إما أن تملك كل شيء أو أن تحطم كـل شيء. لو سادت طبقة رشاد عثمان لأفرزت حضارتها وكـل الحضارات بدأت بعملية غزو. وما يجرى فـي مصـر الآن غزو طبقة جديدة لها، في ٧٦ هزمن الطبقة الوسطي وبعـد مساومة ٧٣ لم يبق لها أي دور. طه حسـين، جمـال عبـد الناصر، نجيب محفوظ، عبد الرحمن الشـرقاوي، القصـة الكاملة مع اليسار المصري، جيل الصحافة السـابق وكيـف هزم وتحطم، جيل الصحافة الجديدة وكيف حرمته الظـروف من فترة الحضانة الطبيعية، محمد التابعي هو محمد نـاجي وهيكل وهو يوسف السويفي في الرجل الذي فقد ظله، نعـم، والمطلوب من عصرنا الراهن أن تكون لديه شجاعة الذهاب إلى القبر.



بدأت الحديث بتساؤلات: هلا تخرج من هـذا الرجـل الصموت، البعيد عن التألق الاجتماعي والدوي الإعلامـي – بما يعد – عملاً صحفياً جيداً، وخلال الأسـئلة والإجابـات كانت في ثنايا الكلمات أكثر من مفاجأة وكانت لديه رغبة في ، الحديث بصراحة وحب صحيح، أنه كان يلعب معنا لعبتـه المفضلة الشطرنج ، نسأله عن موضوع فيجيب عـن آخـر ولكن حصار الأسئلة ومراوغات الإجابة أكدت أن الحصـيلة وافرة وجيدة أيضاً وفوق كل هذا؛ فالحديث مع كاتب يعد من أهم كتاب الرواية في مصر الآن..

لنقرأ الحديث من أوله

الدخول من باب عصر الإعلام

يكتب فتحي غانم في هذه الرواية الجديدة عن العشـق الحب في هذا الزمان الصـعب والمقعـد ويكتـب مقـالات أسبوعية بصورة منتظمة ولديه مجموعة جديدة من القصص القصيرة من المفروض أن تصدر قريباً وهكذا يصبح فتحـي غانم من الأدباء القلائل الذين عملوا في الصحافة وكانت لديه القدرة على أن يحمي موهبته من أي يأكلها العمل الصـحفي اليومي، بل إنه نجح في تحويل العمل الصحفي اليومي إلـى

تجربة يقدمها من خلال أعماله الأدبية التي وصلت إلى حـد الإعجاز.

عرفت الجماهير الواسعة فتحي غانم عنـدما أذاع لـه تليفزيون القاهرة روايته الرائعة «زينـب والعـرش» فـي مسلسل من ٣٠ حلقة، وعلى الفور، بدأت الناس تهـتم بـه وبإنتاجه الأدبي وكانت المشكلة أن الرجـل معظـم إنتاجـه الأدبي من الصعب العثور عليه بسهولة وكان السؤال الـذي يفرض نفسه دائما: من هو فتحي غانم؟

والمحزن في الأمر أن فتحي غانم كاتب معروف تماماً سواء على مستوى الوطن العربي أو العالم، قال عنه المفكر الإنجليزي ديزموند ستيوارت عندما صدرت روايته الرجـل الذي فقد ظله بالإنجليزية: إنه واحد من أهم روائـي القـرن العشرين كلهم وكتب الناقد الأدبي للصنداي تـايمز مقارنـة مبهرة بين الرجل الذي فقد ظله ورباعية الإسكندرية للورانس داريل، وعند ما ظهرت روايته زينب والعرش، قال عنه نقاد العالم: إنها من أروع الأعمال في الرواية العربية.

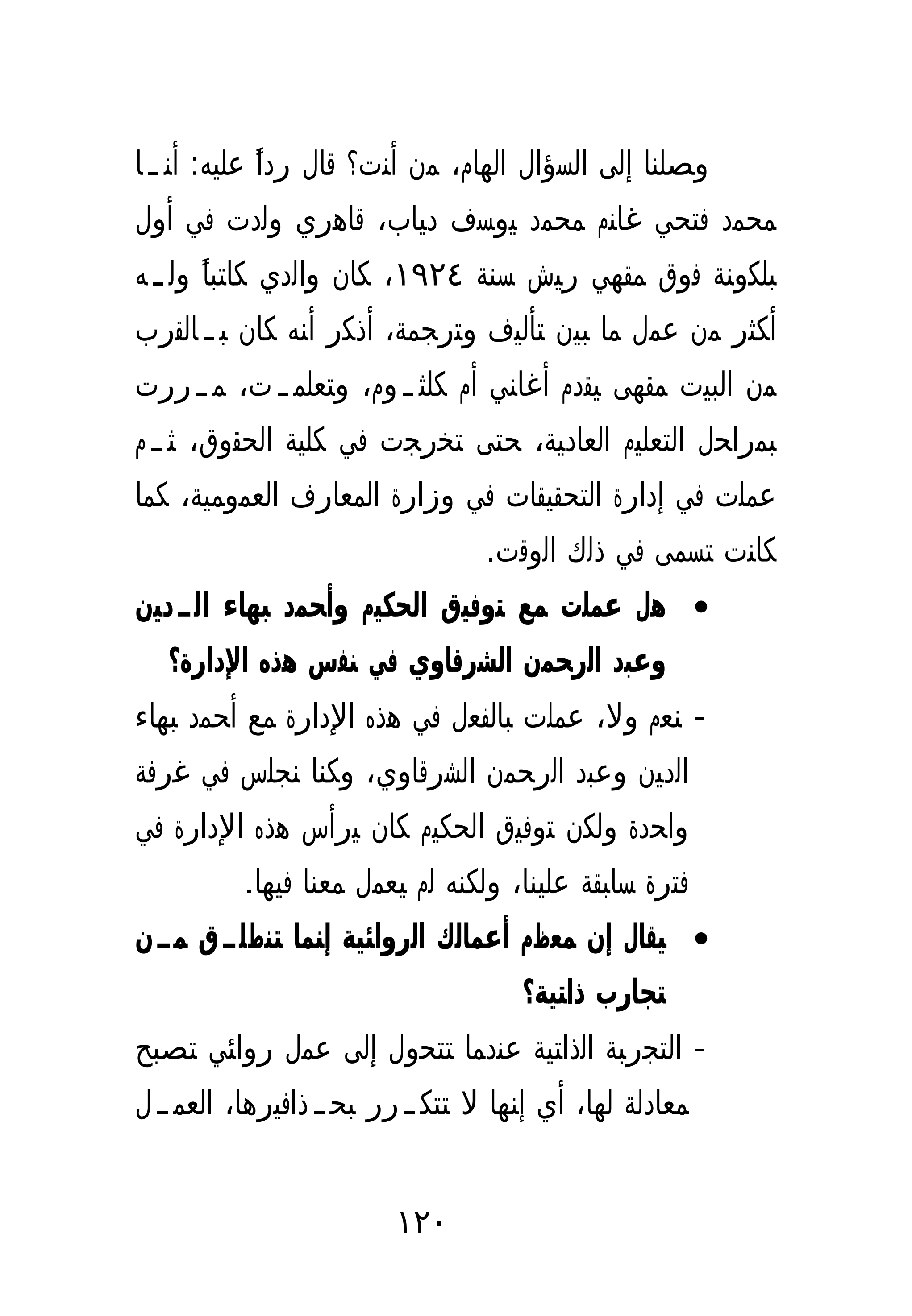
مشكلة فتحي غانم ليست قضية النقـد الأدبـي الـذي تكاسل في حق أدبه ولم يقدمه بالصورة التي تليق به قد يكون

ذلك جزءا من الصورة، ولكن المشكلة أعمق من هذا، إنهـا قضية غربة الكلمة المكتوبة في زماننا هذا، عصـر الفيـديو والكاسيت، العصر الذي أصبحت القراءة فيـه نوعـاً مـن الموقف والاختيار الواضح، إزاء إغراء الـذهاب إلـى دور السينما والمسرح والجلـوس أمـام التليفزيـون، إن الكلمـة المكتوبة تخوض - في هذا العصر - معاركهـا الأخيـرة، وليس أمامها سوى التراجع إزاء هذا الزحف الإعلامي.

كاتب الليالي الطويلة يتكلم

يكتب فتحي غانم هذه الأيام رواية جديدة عن العشـق والمحبة ، ولأن العمل يتخلق بداخله هذه الأيام فسألته عـن أوقات الكتابة بالنسبة له، قال لي: أكتب في الليل دائما أبـدأ الكتابة في الثانية عشرة وقت انتصاف الليـل بالتحديـد ولا انتهي منها سوى في السابعة من صباح اليوم التـالي، أمـا النوم فيبدأ من الثامنة صباحا وحتى انتصاف اليـوم، أتـذكر أنني عندما كنت أكتب روايتي «زينب والعرش» ظللت لمدة سنة كاملة أشهد لحظات ميلاد النهار في مدينة القاهرة كـل يوم تقريباً.

فتحي غانم: من أنت؟



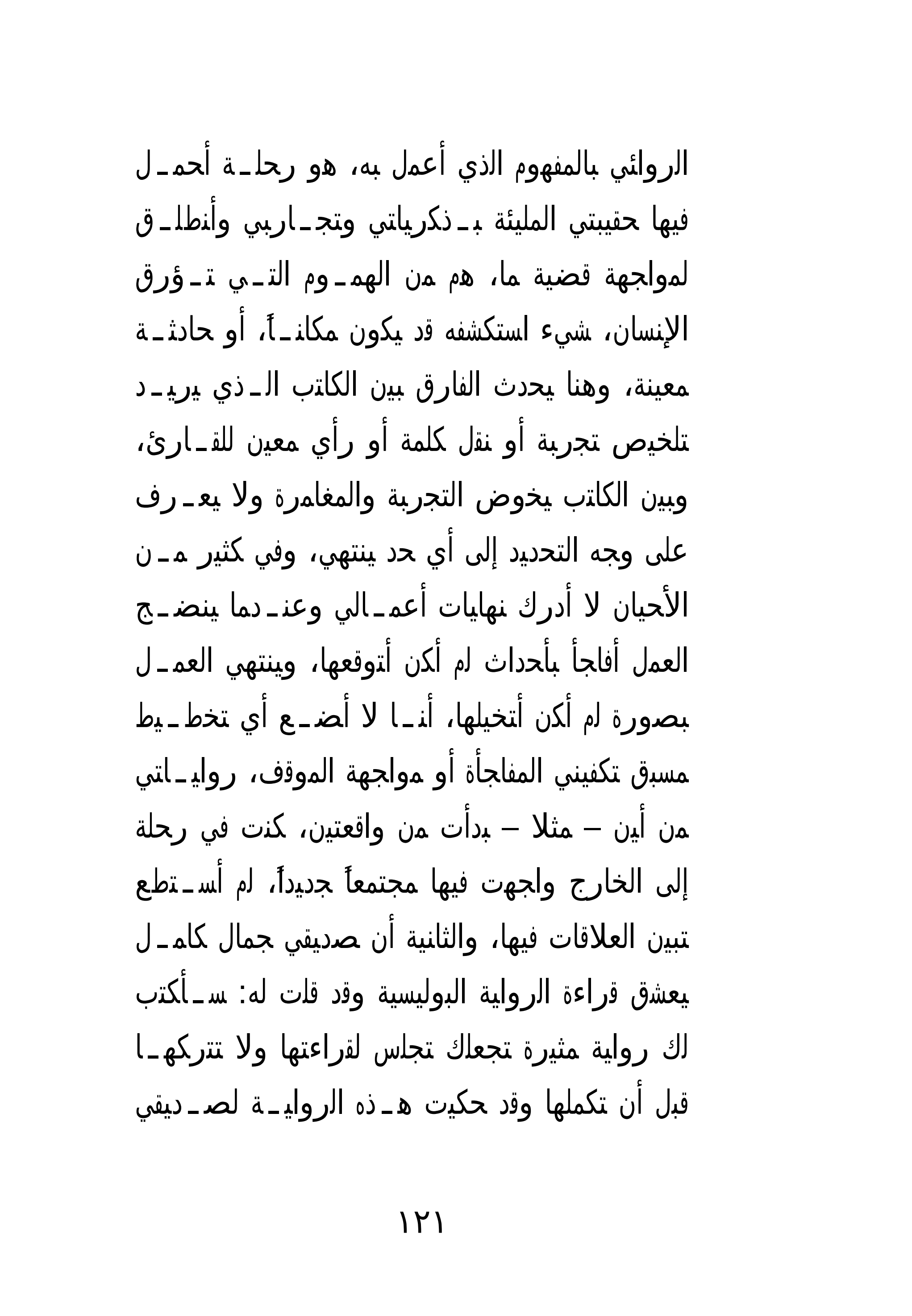
وصلنا إلى السؤال الهام، من أنت؟ قال رداً عليه: أنـا محمد فتحي غانم محمد يوسف دياب، قاهري ولدت في أول بلكونة فوق مقهي ريش سنة ١٩٢٤، كان والدي كاتباً ولـه أكثر من عمل ما بين تأليف وترجمة، أذكر أنه كان بـالقرب من البيت مقهى يقدم أغاني أم كلثـوم، وتعلمـت، مـررت بمراحل التعليم العادية، حتى تخرجت في كلية الحقوق، ثـم عملت في إدارة التحقيقات في وزارة المعارف العمومية، كما كانت تسمى في ذلك الوقت.

- **هل عملت مع توفيق الحكيم وأحمد بهاء الـدين وعبد الرحمن الشرقاوي في نفس هذه الإدارة؟**

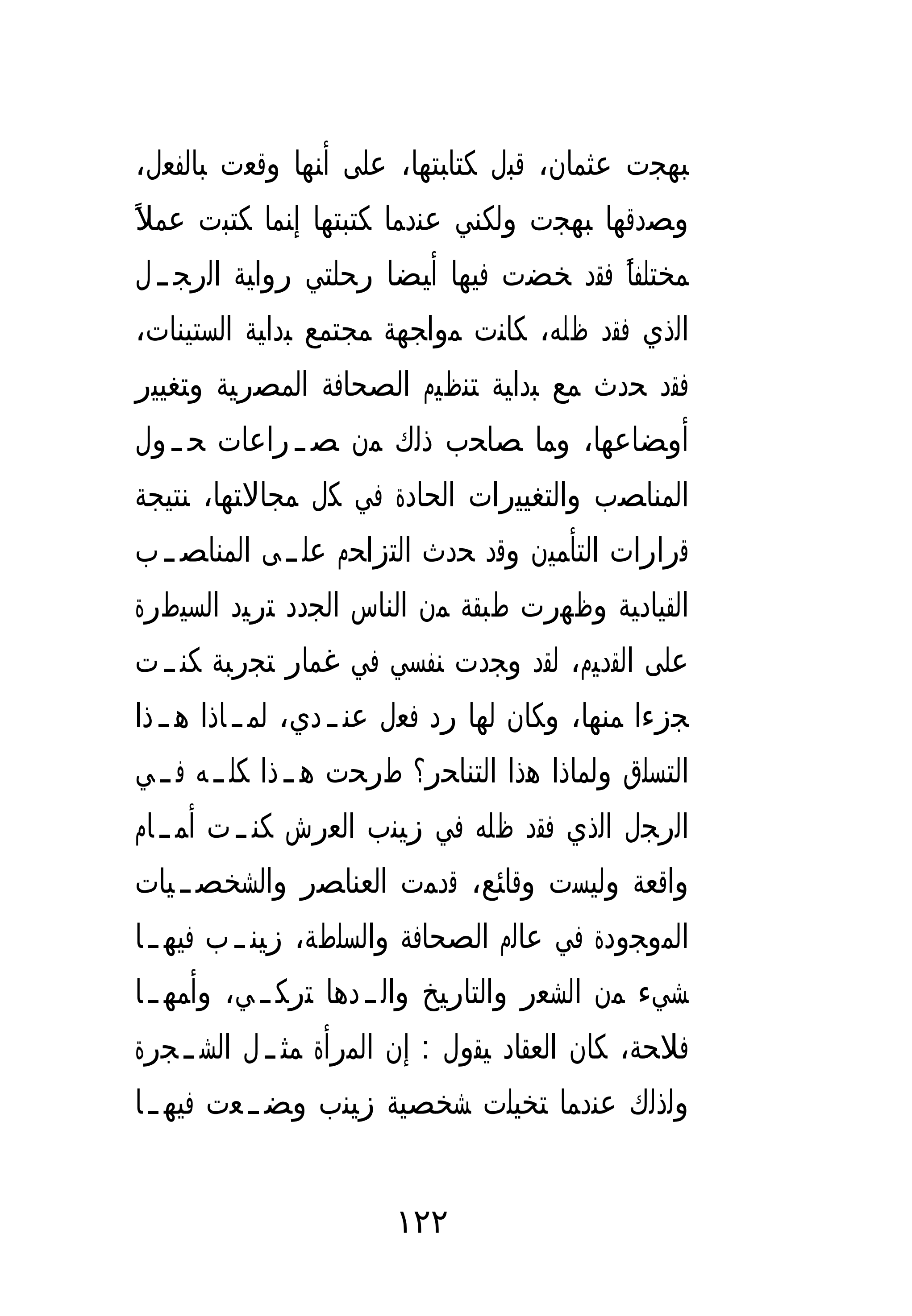
- نعم ولا، عملت بالفعل في هذه الإدارة مع أحمد بهاء الدين وعبد الرحمن الشرقاوي، وكنا نجلس في غرفة واحدة ولكن توفيق الحكيم كان يرأس هذه الإدارة في فترة سابقة علينا، ولكنه لم يعمل معنا فيها.

- **يقال إن معظم أعمالك الروائية إنما تنطلـق مـن تجارب ذاتية؟**

- التجربة الذاتية عندما تتحول إلى عمل روائي تصبح معادلة لها، أي إنها لا تتكـرر بحـذافيرها، العمـل



الروائي بالمفهوم الذي أعمل به، هو رحلة أحمل فيها حقيبتي المليئة بذكرياتي وتجاربي وأنطلق لمواجهة قضية ما، هم من الهموم التي تؤرق الإنسان، شيء استكشفه قد يكون مكاناً، أو حادثة معينة، وهنا يحدث الفارق بين الكاتب الذي يريد تلخيص تجربة أو نقل كلمة أو رأي معين للقارئ، وبين الكاتب يخوض التجربة والمغامرة ولا يعرف على وجه التحديد إلى أي حد ينتهي، وفي كثير من الأحيان لا أدرك نهايات أعمالي وعندما ينضج العمل أفاجأ بأحداث لم أكن أتوقعها، وينتهي العمل بصورة لم أكن أتخيلها، أنا لا أضع أي تخطيط مسبق تكفيني المفاجأة أو مواجهة الموقف، رواياتي من أين – مثلا – بدأت من واقعتين، كنت في رحلة إلى الخارج واجهت فيها مجتمعاً جديداً، لم أستطع تبين العلاقات فيها، والثانية أن صديقي جمال كامل يعشق قراءة الرواية البوليسية وقد قلت له: سأكتب لك رواية مثيرة تجعلك تجلس لقراءتها ولا تتركها قبل أن تكملها وقد حكيت هذه الرواية لصديقي



بهجت عثمان، قبل كتابتها، على أنها وقعت بالفعل، وصدقها بهجت ولكني عندما كتبتها إنما كتبت عملاً مختلفاً فقد خضت فيها أيضا رحلتي رواية الرجـل الذي فقد ظله، كانت مواجهة مجتمع بداية الستينات، فقد حدث مع بداية تنظيم الصحافة المصرية وتغيير أوضاعها، وما صاحب ذلك من صـراعات حـول المناصب والتغييرات الحادة في كل مجالاتها، نتيجة قرارات التأمين وقد حدث التزاحم علـى المناصـب القيادية وظهرت طبقة من الناس الجدد تريد السيطرة على القديم، لقد وجدت نفسي في غمار تجربة كنـت جزءا منها، وكان لها رد فعل عنـدي، لمـاذا هـذا التسلق ولماذا هذا التناحر؟ طرحت هـذا كلـه فـي الرجل الذي فقد ظله في زينب العرش كنـت أمـام واقعة وليست وقائع، قدمت العناصر والشخصـيات الموجودة في عالم الصحافة والسلطة، زينـب فيهـا شيء من الشعر والتاريخ والـدها تركـي، وأمهـا فلاحة، كان العقاد يقول : إن المرأة مثـل الشـجرة ولذلك عندما تخيلت شخصية زينب وضـعت فيهـا

ملامح تاريخية ولكني أؤكد أني لم أصغها كرمـز، ولكن كامرأة من دم ولحم، تعيش وتتعذب، وتحـب وتتزوج.

الصحافة والأدب والتوفيق بينهم

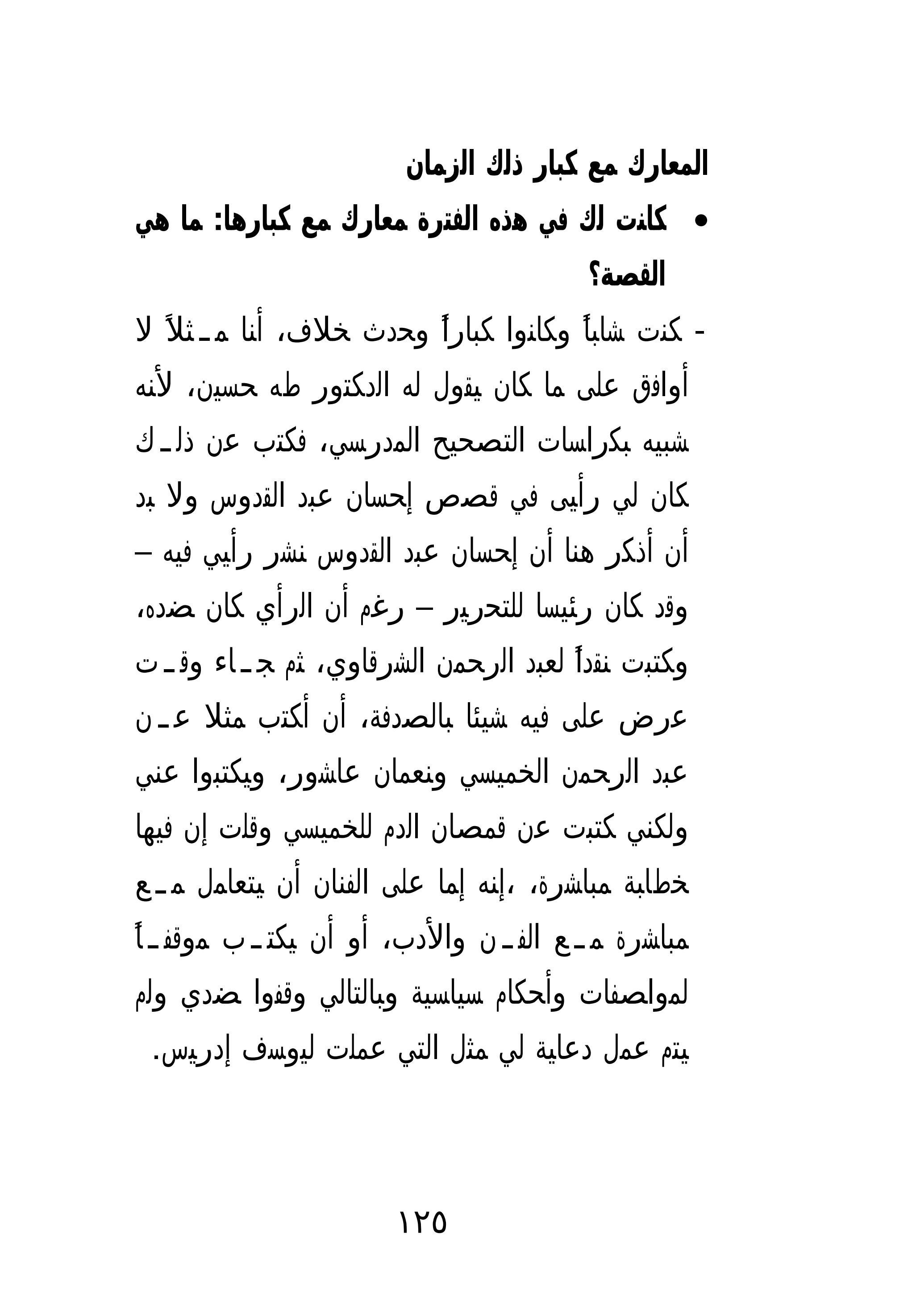
- **كيف يوفق فتحي غـانم بـين العمـل الصـحفي والأدبي؟**

- للأسف لا يستطيع الكاتب أن يعيش في مصر مـن الأدب فقط لا بد له أن يعمل وعمل الصحافة قريـب من الأدب وعندما قرأ أحمد بهاء الدين رواياتي فـي البداية تسائل: ولماذا لا تتفرغ للأدب فقط، ومع هذا فعملي الأدبي مرتبط تماما بعملي الصحفي، لم أكتب في السياسية سوى بعد هزيمة ١٩٦٧، وقد انطلـق هذا من الشعور بضرورة أن نعمل جميعا من أجـل رفع الروح المعنوية، وسواء كنت روائياً أم صحفياً، أو في أي وظيفة أخرى من الدنيا، فلا بد من الكتابة بهدف مواجهة الانهيار الشامل الذي حـدث، وبعـد ذلك، كنت رئيساً لتحرير روز اليوسف لمدة أربـع سنوات ولكني لم أكتب في السياسية مطلقاً، وحتـى

عندما أكتب الآن، فأنا لا أكتب في السياسة ولكنـي أكتب في أفكار وقضايا سياسية.

- **أين تضع نفسك فكرياً؟ يحتار الكثيرون في موقفك السياسي والفكري؟**

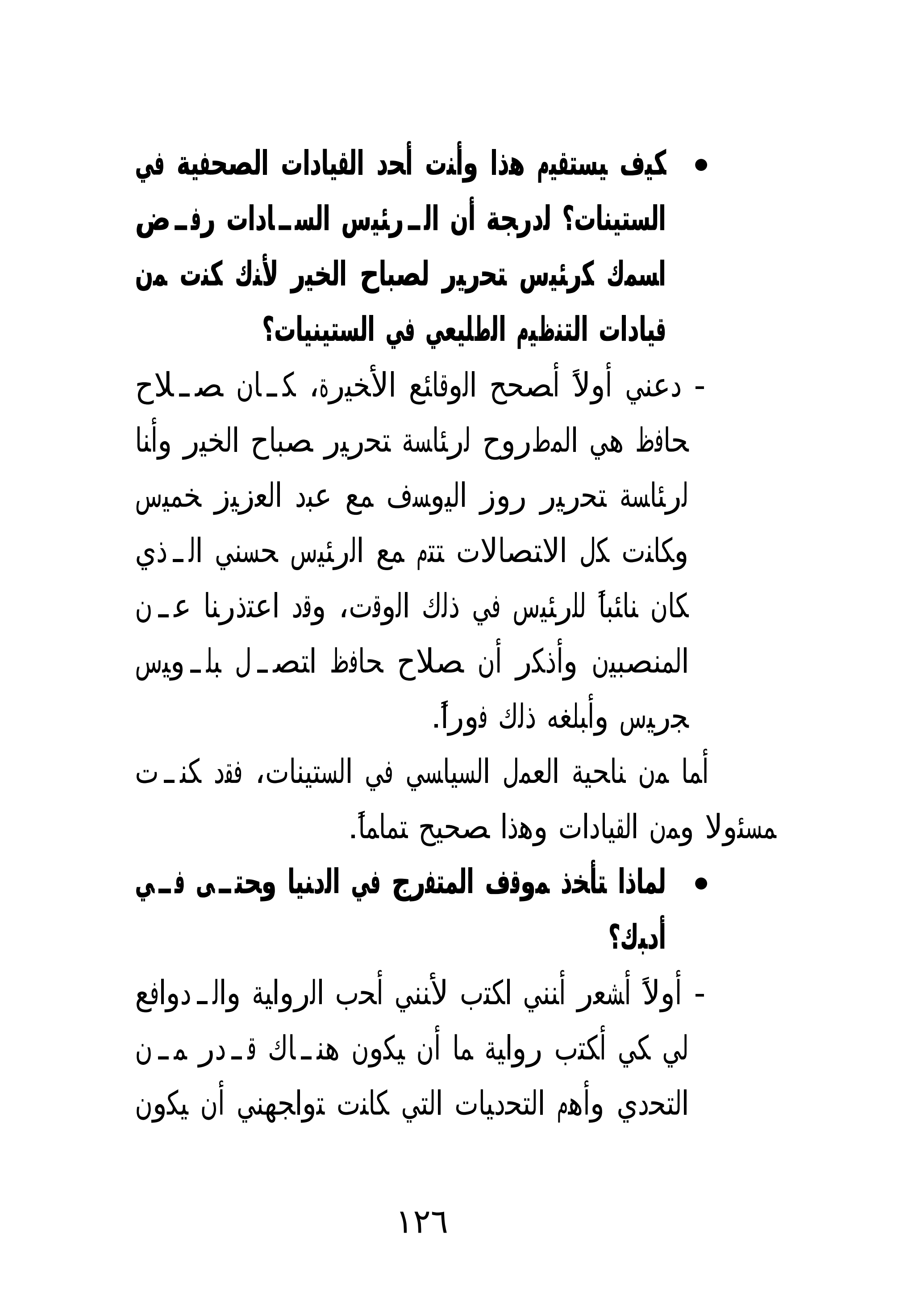
- أرفض الانتماء لأي حزب سياسي وقد ووجهت من قبل بضغوط من أصدقاء يساريين، وللأسف، أخـذ البعض هذه القضية بطريقة بعيدة عن الإنسان وبمبدأ غريب: من ليس معنا فهو ضدنا ولهذا تجاهلني تماماً بعض نقاد اليسار، وقالوا عن تصوراتي للأدب، إنها تصورات سوداء. وهناك مقال عنوانه: «فتحي غانم والأدب الأسود» وهو - أرفض الانتماء لأي حزب سياسي وقد وجهت من قبل بضغوط مـن أصـدقاء يساريين، وللأسف، أخذ البعض هذه القضية بطريقة بعيدة عن الإنسان وبمبدأ غريب: من ليس معنا فهو ضدنا ولهذا تجاهلني تماماً بعض نقاد اليسار، وقالوا عن تصوراتي للأدب، إنها تصورات سوداء. وهناك مقال عنوانه: «فتحي غانم والأدب الأسود» وهو عن تصوري لشعر الشاعر السوداني محمد الفيتوري.



المعارك مع كبار ذلك الزمان

- **كانت لك في هذه الفترة معارك مع كبارها: ما هي القصة؟**

- كنت شاباً وكانوا كباراً وحدث خلاف، أنا مـثلاً لا أوافق على ما كان يقول له الدكتور طه حسين، لأنه شبيه بكراسات التصحيح المدرسي، فكتب عن ذلـك كان لي رأيى في قصص إحسان عبد القدوس ولا بد أن أذكر هنا أن إحسان عبد القدوس نشر رأيي فيه – وقد كان رئيسا للتحرير – رغم أن الرأي كان ضده، وكتبت نقداً لعبد الرحمن الشرقاوي، ثم جـاء وقـت عرض على فيه شيئا بالصدفة، أن أكتب مثلا عـن عبد الرحمن الخميسي ونعمان عاشور، ويكتبوا عني ولكني كتبت عن قمصان الدم للخميسي وقلت إن فيها خطابة مباشرة، ،إنه إما على الفنان أن يتعامل مـع مباشرة مـع الفـن والأدب، أو أن يكتـب موقفـاً لمواصفات وأحكام سياسية وبالتالي وقفوا ضدي ولم يتم عمل دعاية لي مثل التي عملت ليوسف إدريس.



- **كيف يستقيم هذا وأنت أحد القيادات الصحفية في الستينات؟ لدرجة أن الـرئيس السـادات رفـض اسمك كرئيس تحرير لصباح الخير لأنك كنت من قيادات التنظيم الطليعي في الستينيات؟**

- دعني أولاً أصحح الوقائع الأخيرة، كـان صـلاح حافظ هي المطروح لرئاسة تحرير صباح الخير وأنا لرئاسة تحرير روز اليوسف مع عبد العزيز خميس وكانت كل الاتصالات تتم مع الرئيس حسني الـذي كان نائباً للرئيس في ذلك الوقت، وقد اعتذرنا عـن المنصبين وأذكر أن صلاح حافظ اتصـل بلـويس جريس وأبلغه ذلك فوراً.

أما من ناحية العمل السياسي في الستينات، فقد كنـت مسئولا ومن القيادات وهذا صحيح تماماً.

- **لماذا تأخذ موقف المتفرج في الدنيا وحتـى فـي أدبك؟**

- أولاً أشعر أنني اكتب لأنني أحب الرواية والـدوافع لي كي أكتب رواية ما أن يكون هنـاك قـدر مـن التحدي وأهم التحديات التي كانت تواجهني أن يكون

للإنسان مركز في هذا المجتمع، وسلطة يمارسـها، وهذا امتحان حقيقي للروائي، وصدقني أنا لا أبحـث عن سلطة ما، وقد تحديت نفسي وأنا أكتب «الرجل الذي فقط ظله» وبعد إن انتهيت من كتابتها وعنـدما طلب مني أن أتولى منصباً كان اعتراضي هو أنني لا أريد أن أكون تابعاً لأحد أو بوقاً لأحد، وعنـدما عرضوا على المنصب قلت لهم: سـآخذ إذنـاً مـن زوجتي، وأقارن بين قدرتي على العمـل كإنسـان عادي وبين وضعي في منصب إداري أي المرتدين أكبر، وهذا ما يهم البيت الذي تعود مسـئوليته لـي وحدي.

- **نعود إلى السؤال الذي لم تجب عنه: لماذا تلعـب دور المتفرج.**

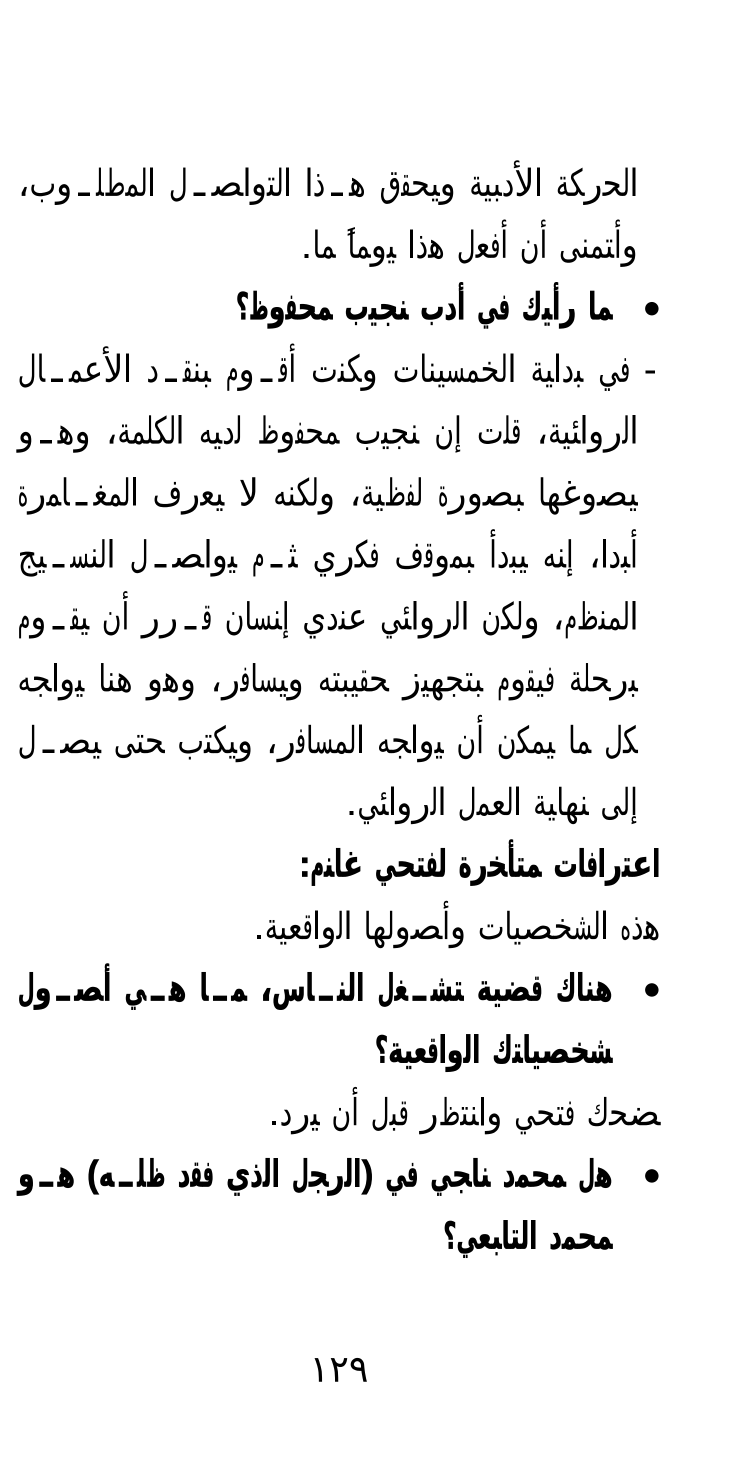
إذا كنت مصراً على الإجابة، أقول لك نعـم وسـأظل كذلك لأنه لا يوجد ما يدعوني إلى الخـروج مـن مقاعـد المتفرجين، والنزول إلى الملعب، وعمومـاً هـذا سـيفيدني كثيراً.

- **لماذا لم تخرج الصحافة أجيالاً جديدة؟**

- في أي مجتمع، الأجيال الجديد تمر بفترة حضانة، أو تدريب مع الأجيال التي سبقتها، الأجيال الحالية تمر فعلاً بفترة الحضانة هذه لأن الجيل السابق تعرض لهزائم مستمرة، وحدث له نوع من الإحباط، لقد هزموا أنفسهم، ولم يقدروا على المواجهة مع القضايا الأساسية لمصر حتى يصبح لها مستقبل واضح، ووصلوا بالبلاد إلى هزيمة ٦٧ وصلوا بالبدء إلى الفوضى التي انتهت إليها العلاقات الاجتماعية وما يصاحبها، وما يترتب عليها من الأزمات الاقتصادية وزيادة النشاط الطفيلي. وهذا هو الحاصل الآن، ولذلك فإن القيادات الصحفية لا تستطيع احتضان الأجيال التي جاءت من بعدها، الأجيال الجديدة حرمت من فترة الحضانة.

- **لماذا تبدو بعيداً عن الناس وحتى عن الأدباء؟ إن نجيب محفوظ يلتقي أسبوعياً بالأدباء، ماذا تفعل أنت حتى يعرفك الناس وتعرفهم؟**

- نجيب محفوظ عندما يلتقي بالأدباء وخاصة الأجيال الشابة منهم، إنما يقوم بعمل جليل له تأثير كبير في


الحركة الأدبية ويحقق هـذا التواصـل المطلـوب، وأتمنى أن أفعل هذا يوماً ما.

- **ما رأيك في أدب نجيب محفوظ؟**

- في بداية الخمسينات وكنت أقـوم بنقـد الأعمـال الروائية، قلت إن نجيب محفوظ لديه الكلمة، وهـو يصوغها بصورة لفظية، ولكنه لا يعرف المغـامرة أبدا، إنه يبدأ بموقف فكري ثـم يواصـل النسـيج المنظم، ولكن الروائي عندي إنسان قـرر أن يقـوم برحلة فيقوم بتجهيز حقيبته ويسافر، وهو هنا يواجه كل ما يمكن أن يواجه المسافر، ويكتب حتى يصـل إلى نهاية العمل الروائي.

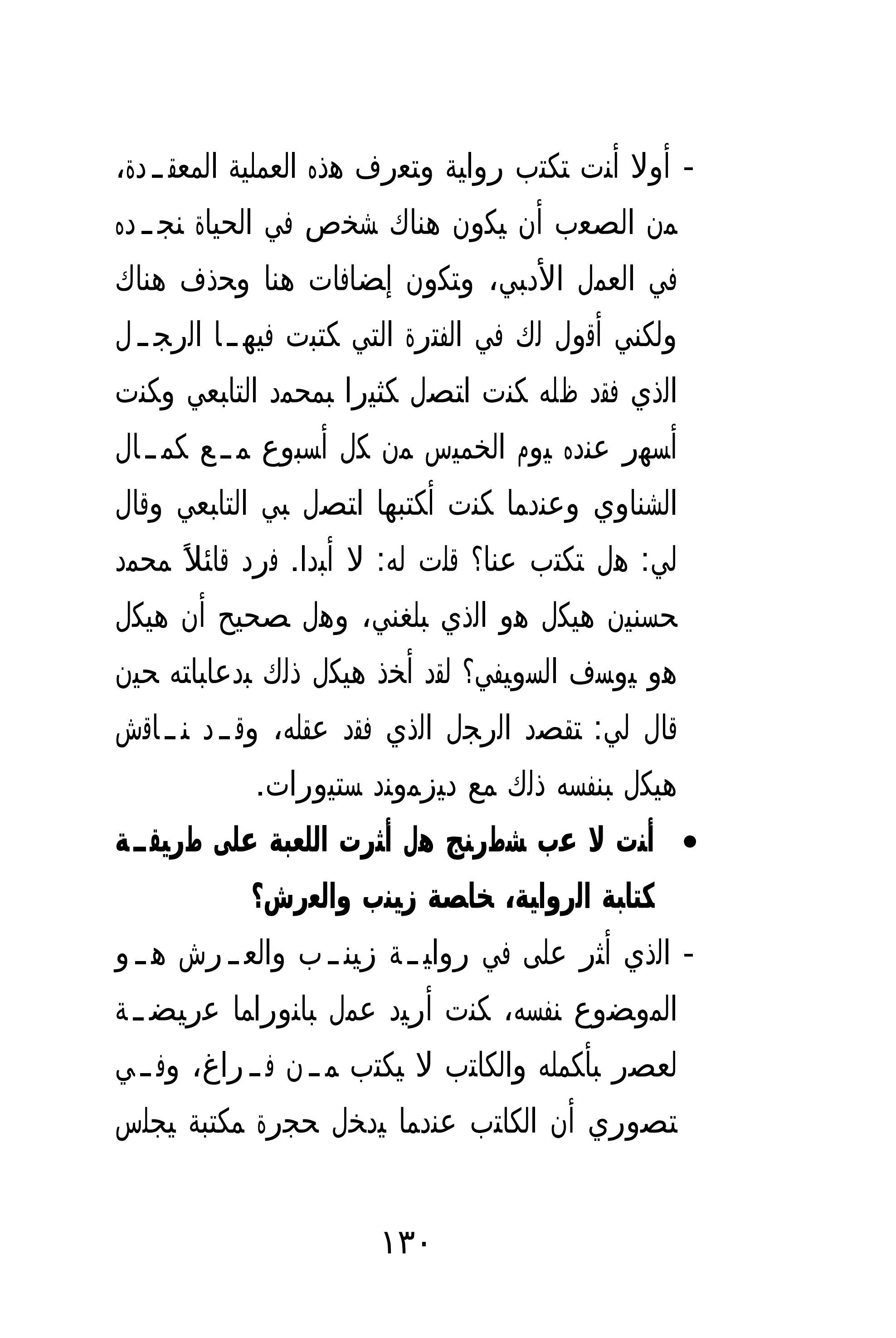
اعترافات متأخرة لفتحي غانم:

هذه الشخصيات وأصولها الواقعية.

- **هناك قضية تشـغل النـاس، مـا هـي أصـول شخصياتك الواقعية؟**

ضحك فتحي وانتظر قبل أن يرد.

- **هل محمد ناجي في (الرجل الذي فقد ظلـه) هـو محمد التابعي؟**



- أولا أنت تكتب رواية وتعرف هذه العملية المعقـدة، من الصعب أن يكون هناك شخص في الحياة نجـده في العمل الأدبي، وتكون إضافات هنا وحذف هناك ولكني أقول لك في الفترة التي كتبت فيهـا الرجـل الذي فقد ظله كنت اتصل كثيرا بمحمد التابعي وكنت أسهر عنده يوم الخميس من كل أسبوع مـع كمـال الشناوي وعندما كنت أكتبها اتصل بي التابعي وقال لي: هل تكتب عنا؟ قلت له: لا أبدا. فرد قائلاً محمد حسنين هيكل هو الذي بلغني، وهل صحيح أن هيكل هو يوسف السويفي؟ لقد أخذ هيكل ذلك بدعاباته حين قال لي: تقصد الرجل الذي فقد عقله، وقـد نـاقش هيكل بنفسه ذلك مع ديزموند ستيورات.

- **أنت لا عب شطرنج هل أثرت اللعبة على طريقـة كتابة الرواية، خاصة زينب والعرش؟**

- الذي أثر على في روايـة زينـب والعـرش هـو الموضوع نفسه، كنت أريد عمل بانوراما عريضـة لعصر بأكمله والكاتب لا يكتب مـن فـراغ، وفـي تصوري أن الكاتب عندما يدخل حجرة مكتبة يجلس

معه فيها كل الكتاب الذين كتبوا في نفس الموضوع، أذكر أنني عندما بدأت أكتب زينب والعـرش قلـت لنفسي أنا أرغب في كتابة رواية أضع فيها الصورة الكاملة للمجتمع وهذا لا يتحقق إلا إذا أخذت حريـة الكاتب في القرن التاسع عشر أي أن أجلس وأحكي، كنت أتمني استخدام نفس الحرية التـي اسـتخدمها بلزاك، وأستخدمها ديستوفيسكي وهو يكتب الأخـوة كرامازوف بالذات.

- **نعود إلى الشطرنج.**

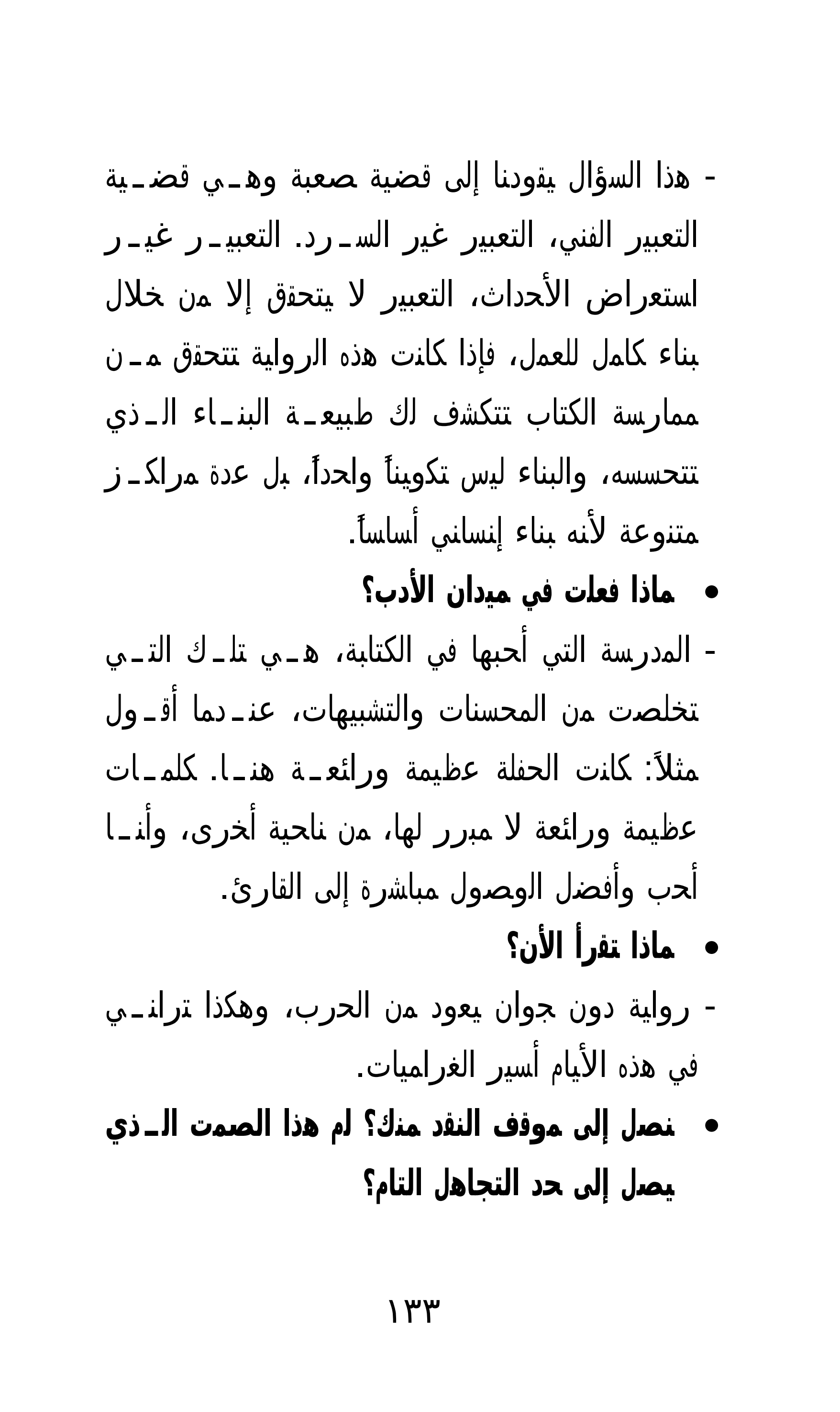
- الشطرنج يعطني الوعي، ويعرفني أصول اللعبـة، ولكن أحب إعادة ذلك إلى التحدي وقصته معي، من أول رواية كنت أتحدى التجربة، التي كنت أعـيش فيها، في رواية الجبل ذهبت إلى مجتمع بعيد بـدائي كانوا كمن يعيش في كهف، ومع ذلـك رفضـوا أن ينقلهم حسن فتحي إلى مدينة مفتوحة وإلـى النـور، وتلك أصبحت مشكلة حياتي بعد هذا، وعندما كتبت كنت أحاول معرفة من أين يأتي كل هذا الرفض في «الرجل الذي فقد ظله» كان الصراع الرهيب علـى

المناصب في «زينب والعرش» كانت القـيم التـي تنهار في المجتمع، وقد دخلت في هذه المعمعة لكي أراها من الداخل، وفي «الأفيال» كانت رحلة الموت لكل هذا العالم فهي رواية تبدو بالموت.

- **لك رواية لم تنشر بعد في كتاب هي «حكاية تو»؟**

- «حكاية تو» رواية مستقلة صغيرة وهي عن الجيل الجديد وصلته بأبائه وماهية صلته بالقيم التي كانـت سائدة، فيها شخص شيوعي، ورجل شرطة، طرفـا التناقض الرئيسي في المجتمـع وأقـدم حكايـة: إن الشيوعي يموت في السجن، عنـدما دخـل السـجن أقاموا له الحفلة المعروفة حفلة التعذيب ويموت فيها، وقد استفدت من ذلك من حادث شـهدي عطيـة إن الرواية تتطور وينتظر رجل البوليس نهايتـه فـي مواجهة ابن الشيوعي، إنه يموت في مواجهة الشاب ولا أعرف إن كان قد مات خوفاً وذعراً أم أن الشاب قد قتله.

- **لماذا يحدث لك توهج فنـي وأنـت تكتـب عـن الشخصيات المكررة؟**



- هذا السؤال يقودنا إلى قضية صعبة وهي قضية التعبير الفني، التعبير غير السرد. التعبير غير استعراض الأحداث، التعبير لا يتحقق إلا من خلال بناء كامل للعمل، فإذا كانت هذه الرواية تتحقق من ممارسة الكتاب تتكشف لك طبيعة البناء الذي تتحسسه، والبناء ليس تكويناً واحداً، بل عدة مراكز متنوعة لأنه بناء إنساني أساساً.

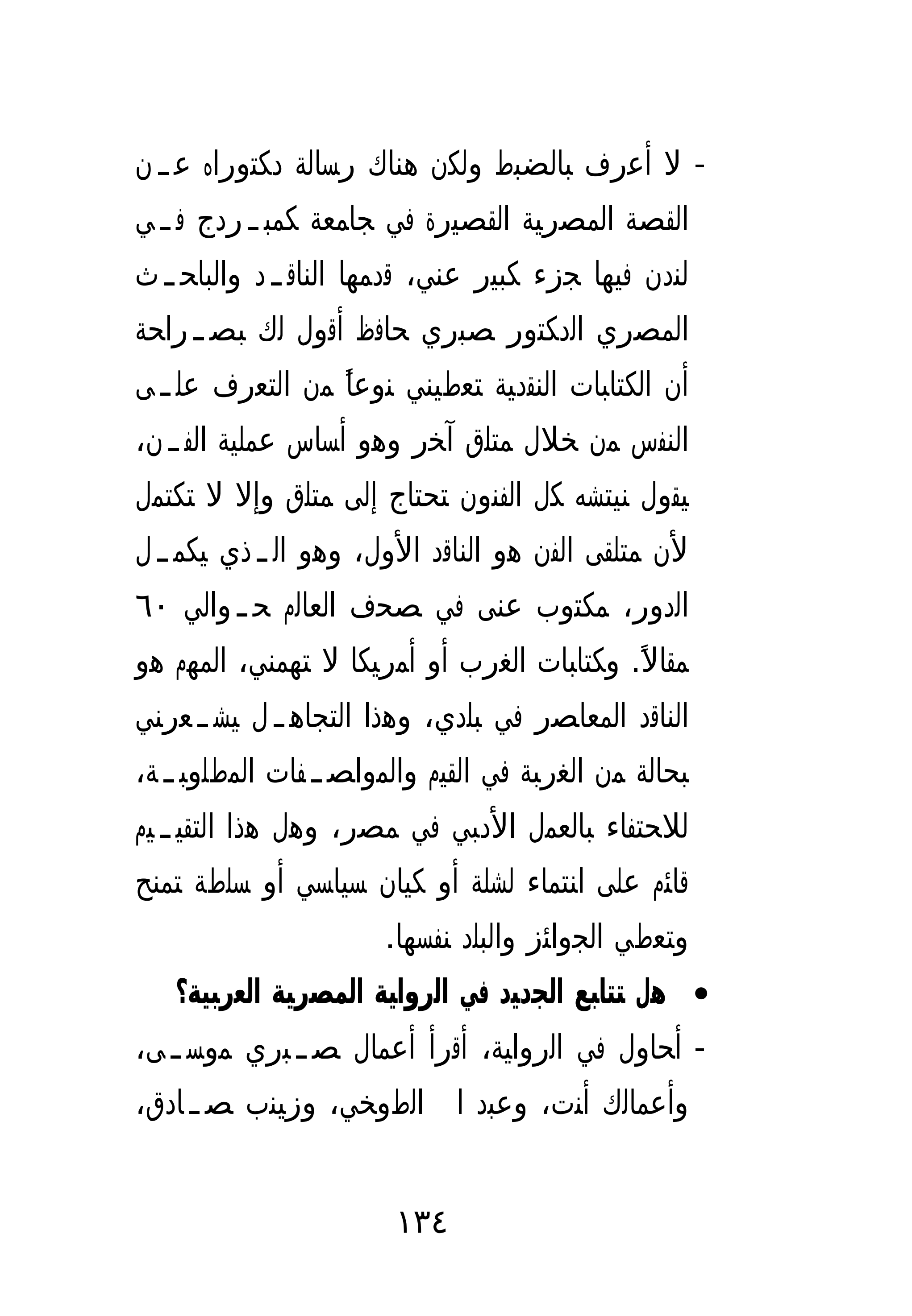
- **ماذا فعلت في ميدان الأدب؟**

- المدرسة التي أحبها في الكتابة، هي تلك التي تخلصت من المحسنات والتشبيهات، عندما أقول مثلاً: كانت الحفلة عظيمة ورائعة هنا. كلمات عظيمة ورائعة لا مبرر لها، من ناحية أخرى، وأنا أحب وأفضل الوصول مباشرة إلى القارئ.

- **ماذا تقرأ الأن؟**

- رواية دون جوان يعود من الحرب، وهكذا تراني في هذه الأيام أسير الغراميات.

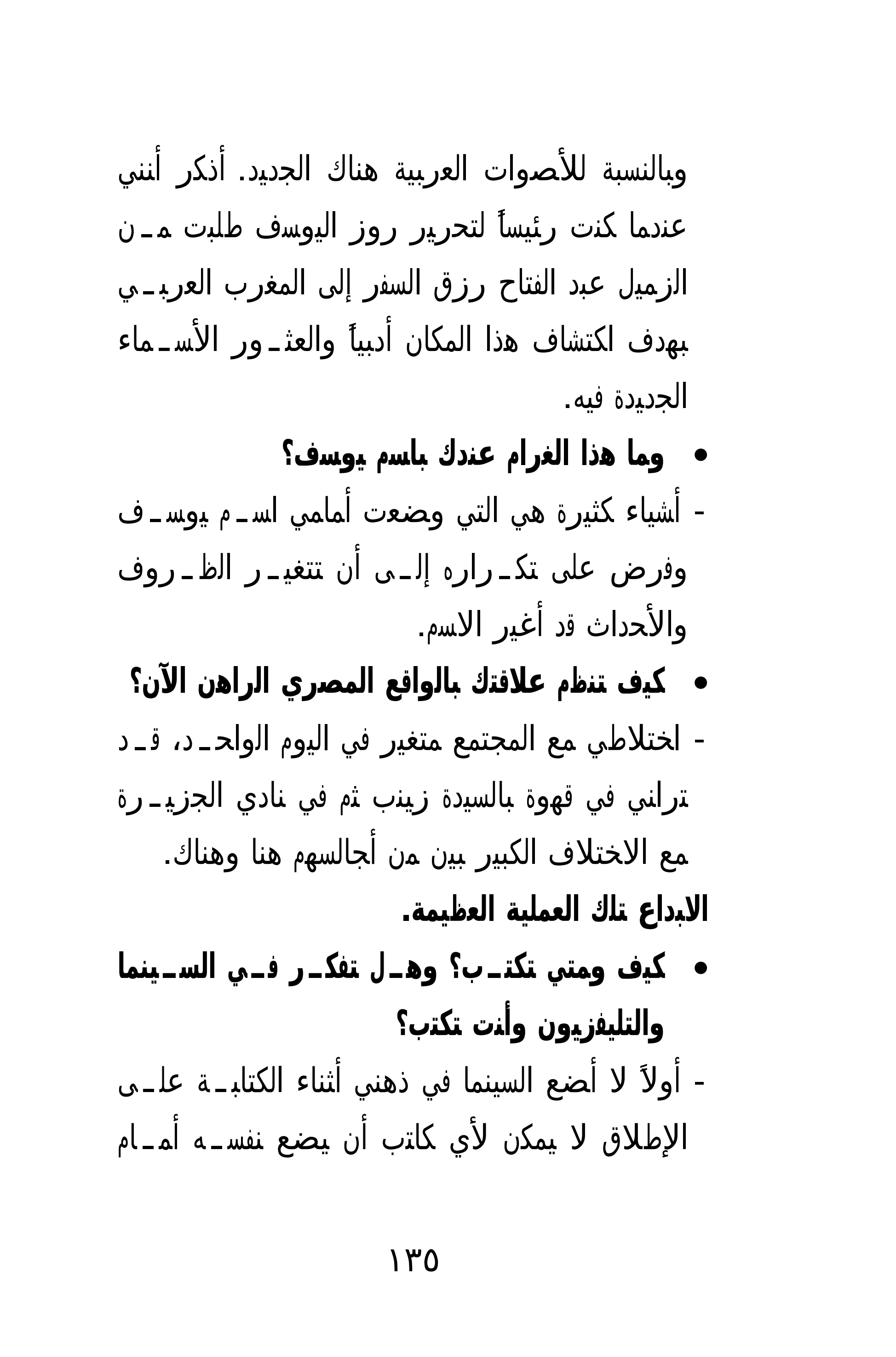
- **نصل إلى موقف النقد منك؟ لم هذا الصمت الذي يصل إلى حد التجاهل التام؟**



- لا أعرف بالضبط ولكن هناك رسالة دكتوراه عن القصة المصرية القصيرة في جامعة كمبردج في لندن فيها جزء كبير عني، قدمها الناقد والباحث المصري الدكتور صبري حافظ أقول لك بصراحة أن الكتابات النقدية تعطيني نوعاً من التعرف على النفس من خلال متلق آخر وهو أساس عملية الفن، يقول نيتشه كل الفنون تحتاج إلى متلق وإلا لا تكتمل لأن متلقى الفن هو الناقد الأول، وهو الذي يكمل الدور، مكتوب عنى في صحف العالم حوالي ٦٠ مقالاً. وكتابات الغرب أو أمريكا لا تهمني، المهم هو الناقد المعاصر في بلدي، وهذا التجاهل يشعرني بحالة من الغربة في القيم والمواصفات المطلوبة، للاحتفاء بالعمل الأدبي في مصر، وهل هذا التقييم قائم على انتماء لشلة أو كيان سياسي أو سلطة تمنح وتعطي الجوائز والبلاد نفسها.

- **هل تتابع الجديد في الرواية المصرية العربية؟**

- أحاول في الرواية، أقرأ أعمال صبري موسى، وأعمالك أنت، وعبد ا الطوخي، وزينب صادق،


وبالنسبة للأصوات العربية هناك الجديد. أذكر أنني عندما كنت رئيساً لتحرير روز اليوسف طلبت مـن الزميل عبد الفتاح رزق السفر إلى المغرب العربـي بهدف اكتشاف هذا المكان أدبياً والعثـور الأسـماء الجديدة فيه.

- **وما هذا الغرام عندك باسم يوسف؟**

- أشياء كثيرة هي التي وضعت أمامي اسـم يوسـف وفرض على تكـراره إلـى أن تتغيـر الظـروف والأحداث قد أغير الاسم.

- **كيف تنظم علاقتك بالواقع المصري الراهن الآن؟**

- اختلاطي مع المجتمع متغير في اليوم الواحـد، قـد تراني في قهوة بالسيدة زينب ثم في نادي الجزيـرة مع الاختلاف الكبير بين من أجالسهم هنا وهناك.

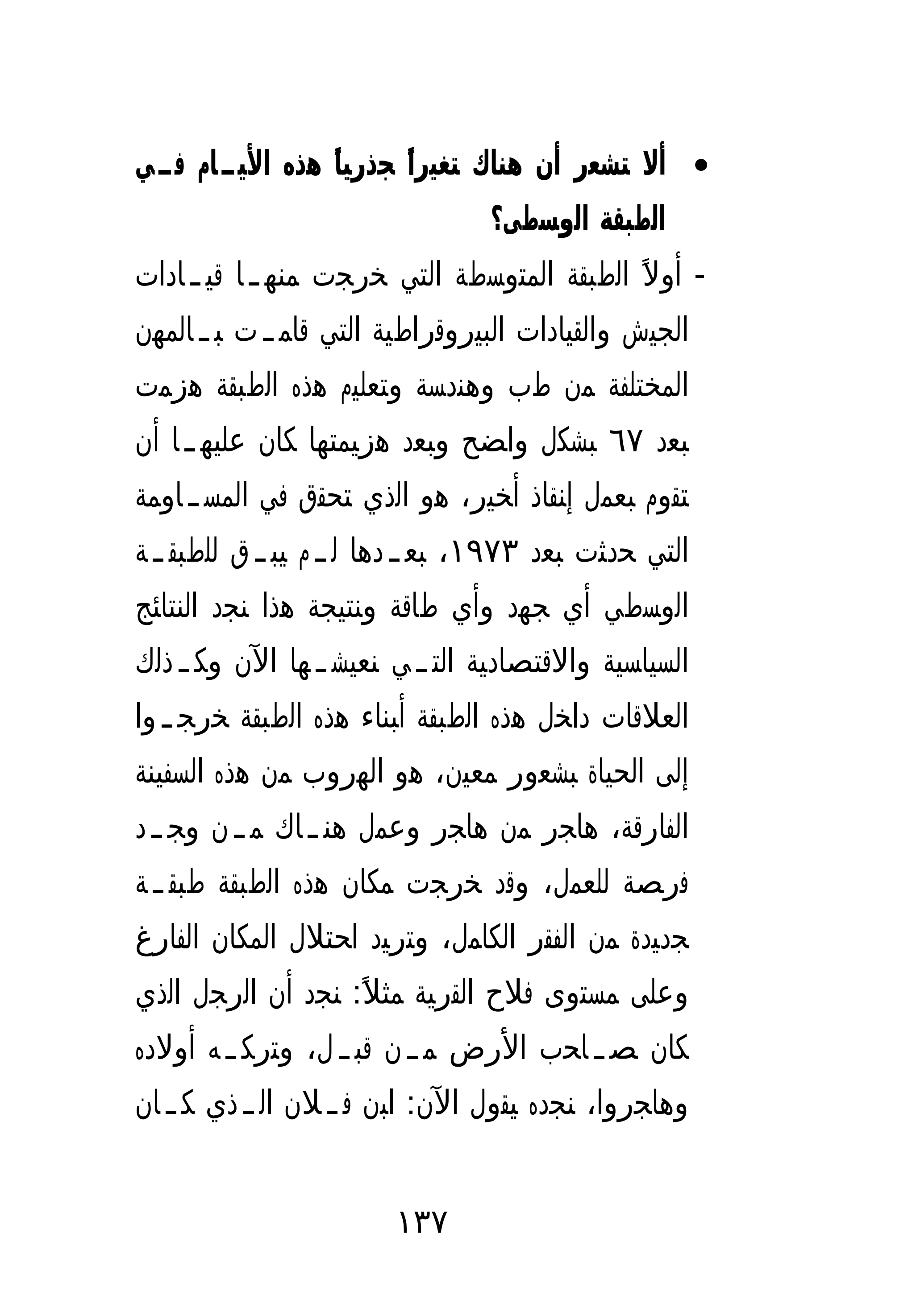
الابداع تلك العملية العظيمة.

- **كيف ومتي تكتـب؟ وهـل تفكـر فـي السـينما والتليفزيون وأنت تكتب؟**

- أولاً لا أضع السينما في ذهني أثناء الكتابـة علـى الإطلاق لا يمكن لأي كاتب أن يضع نفسـه أمـام

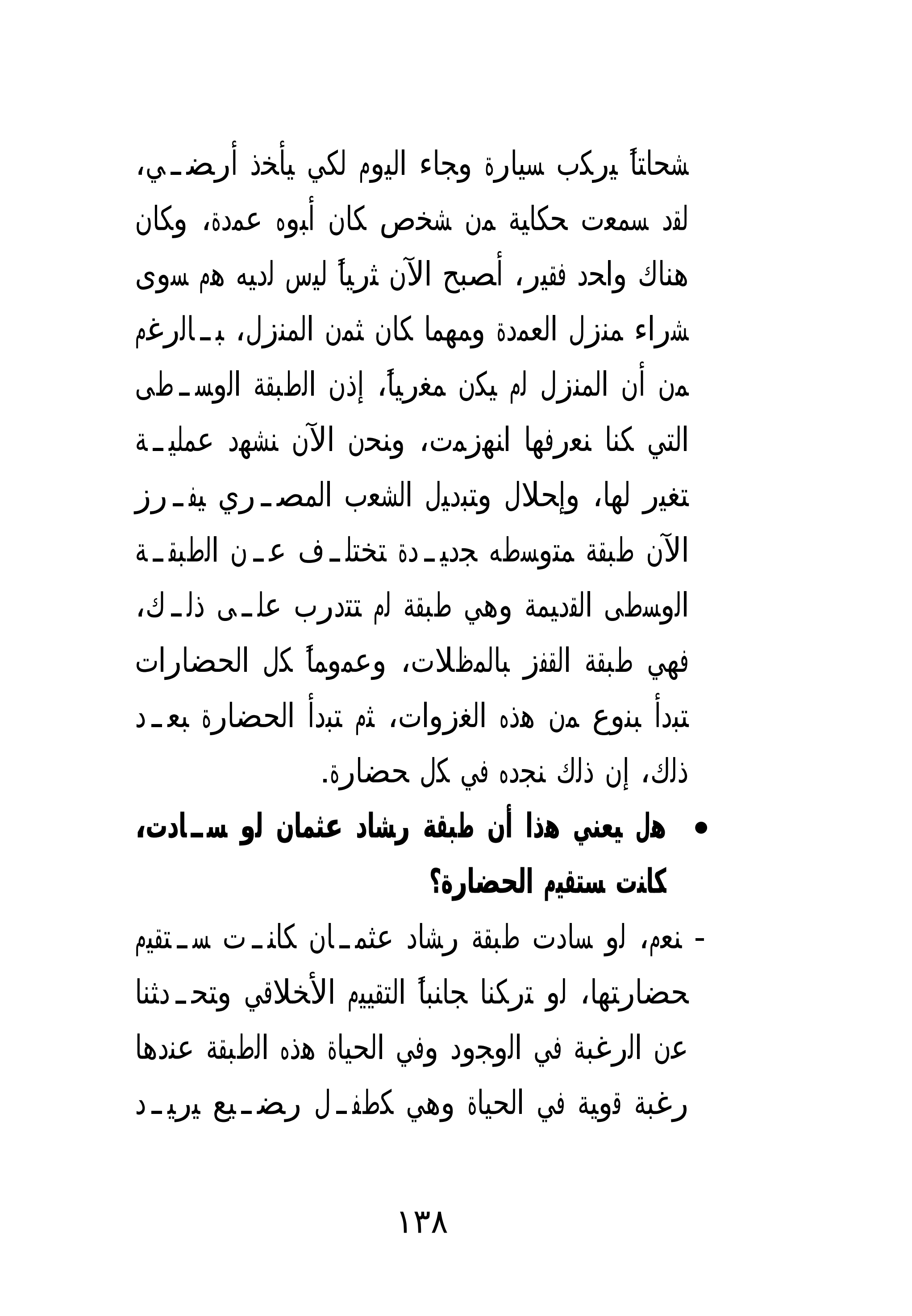
وحش السينما أبداً، أما من ناحية الكتابة، فليس لدي أي تخطيط مسبق للرواية، يحـدث أحيانـاً أن أدون بعض الملاحظات، عبد الهادي النجـار مـثلاً فـي «زينب والعرش» كتبت عنه العديد من الملاحظـات لم يخرج منها للنور أي شيء، في بعـض الأحيـان تتعذر على الكتابة، وفي هذه الحالة أمسـك بـالقلم وأكتب أي شيئ. بسرعة وبقلم رصاص كنت أكتب، يا فتحي يا غانم أنت متعطل عن الكتابـة، السـيارة فيها عطل وتتطلب التصليح هكذا حتى أدخل في جو الكتابة، ليس لي في البيت مكتب أو مكـان محـدود لأكتب فيه. أكتب في أي مكان، منضدة في حجـرة الجلوس مكتب ابني وأنا أكتب الرواية مرة واحـدة وإن حدث وتعطلت عن مواصلة الكتابة ثـم عـدت لمواصلتها فإنني أكتب من جديد وفي الغالب أكتـب ابتداء من منتصف الليل، في زينب والعرش قضيت شهوراً وأنا أري الصباح كل يوم فأتوقف عن الكتابة وأنام حتى الظهر.

الطبقة الوسطى وما فعلته بمصر



- **ألا تشعر أن هناك تغيراً جذرياً هذه الأيـام فـي الطبقة الوسطى؟**

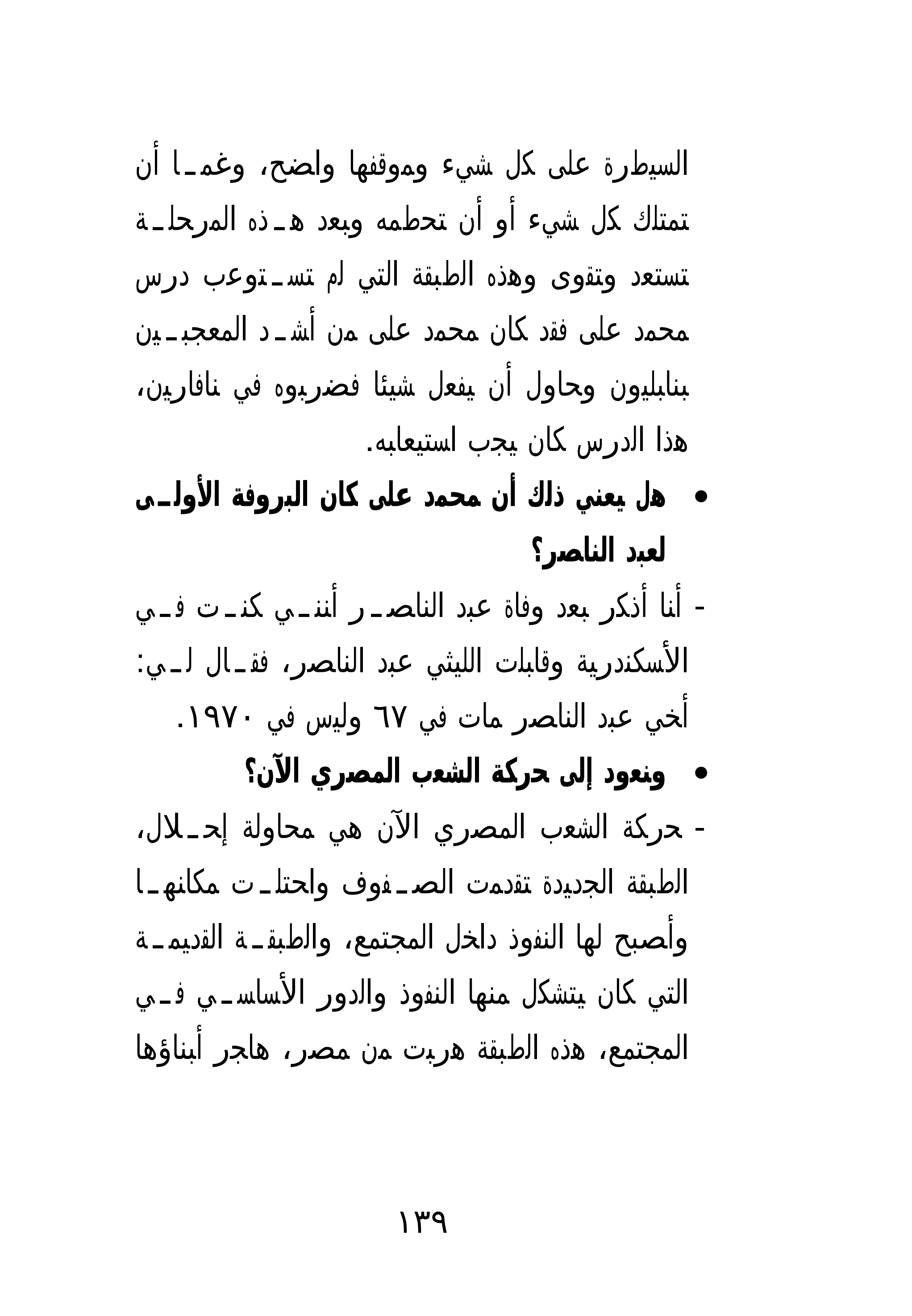
- أولاً الطبقة المتوسطة التي خرجت منهـا قيـادات الجيش والقيادات البيروقراطية التي قامـت بـالمهن المختلفة من طب وهندسة وتعليم هذه الطبقة هزمت بعد ٦٧ بشكل واضح وبعد هزيمتها كان عليهـا أن تقوم بعمل إنقاذ أخير، هو الذي تحقق في المسـاومة التي حدثت بعد ١٩٧٣، بعـدها لـم يبـق للطبقـة الوسطي أي جهد وأي طاقة ونتيجة هذا نجد النتائج السياسية والاقتصادية التـي نعيشـها الآن وكـذلك العلاقات داخل هذه الطبقة أبناء هذه الطبقة خرجـوا إلى الحياة بشعور معين، هو الهروب من هذه السفينة الفارقة، هاجر من هاجر وعمل هنـاك مـن وجـد فرصة للعمل، وقد خرجت مكان هذه الطبقة طبقـة جديدة من الفقر الكامل، وتريد احتلال المكان الفارغ وعلى مستوى فلاح القرية مثلاً: نجد أن الرجل الذي كان صـاحب الأرض مـن قبـل، وتركـه أولاده وهاجروا، نجده يقول الآن: ابن فـلان الـذي كـان



شحاتاً يركب سيارة وجاء اليوم لكي يأخذ أرضـي، لقد سمعت حكاية من شخص كان أبوه عمدة، وكان هناك واحد فقير، أصبح الآن ثرياً ليس لديه هم سوى شراء منزل العمدة ومهما كان ثمن المنزل، بـالرغم من أن المنزل لم يكن مغرياً، إذن الطبقة الوسـطى التي كنا نعرفها انهزمت، ونحن الآن نشهد عمليـة تغير لها، وإحلال وتبديل الشعب المصـري يفـرز الآن طبقة متوسطه جديـدة تختلـف عـن الطبقـة الوسطى القديمة وهي طبقة لم تتدرب علـى ذلـك، فهي طبقة القفز بالمظلات، وعموماً كل الحضارات تبدأ بنوع من هذه الغزوات، ثم تبدأ الحضارة بعـد ذلك، إن ذلك نجده في كل حضارة.

- **هل يعني هذا أن طبقة رشاد عثمان لو سـادت، كانت ستقيم الحضارة؟**

- نعم، لو سادت طبقة رشاد عثمـان كانـت سـتقيم حضارتها، لو تركنا جانباً التقييم الأخلاقي وتحـدثنا عن الرغبة في الوجود وفي الحياة هذه الطبقة عندها رغبة قوية في الحياة وهي كطفـل رضـيع يريـد



السيطرة على كل شيء وموقفها واضح، وغمـا أن تمتلك كل شيء أو أن تحطمه وبعد هـذه المرحلـة تستعد وتقوى وهذه الطبقة التي لم تسـتوعب درس محمد على فقد كان محمد على من أشـد المعجبـين بنابليون وحاول أن يفعل شيئا فضربوه في نافارين، هذا الدرس كان يجب استيعابه.

- **هل يعني ذلك أن محمد على كان البروفة الأولـى لعبد الناصر؟**

- أنا أذكر بعد وفاة عبد الناصـر أننـي كنـت فـي الأسكندرية وقابلت الليثي عبد الناصر، فقـال لـي: أخي عبد الناصر مات في ٦٧ وليس في ١٩٧٠.

- **ونعود إلى حركة الشعب المصري الآن؟**

- حركة الشعب المصري الآن هي محاولة إحـلال، الطبقة الجديدة تقدمت الصـفوف واحتلـت مكانهـا وأصبح لها النفوذ داخل المجتمع، والطبقـة القديمـة التي كان يتشكل منها النفوذ والدور الأساسـي فـي المجتمع، هذه الطبقة هربت من مصر، هاجر أبناؤها

فروا من البلاد، وفي نفس الوقت فإن الطبقة الجديدة تحتل هذا المكان بقوة وعنف وغشم.

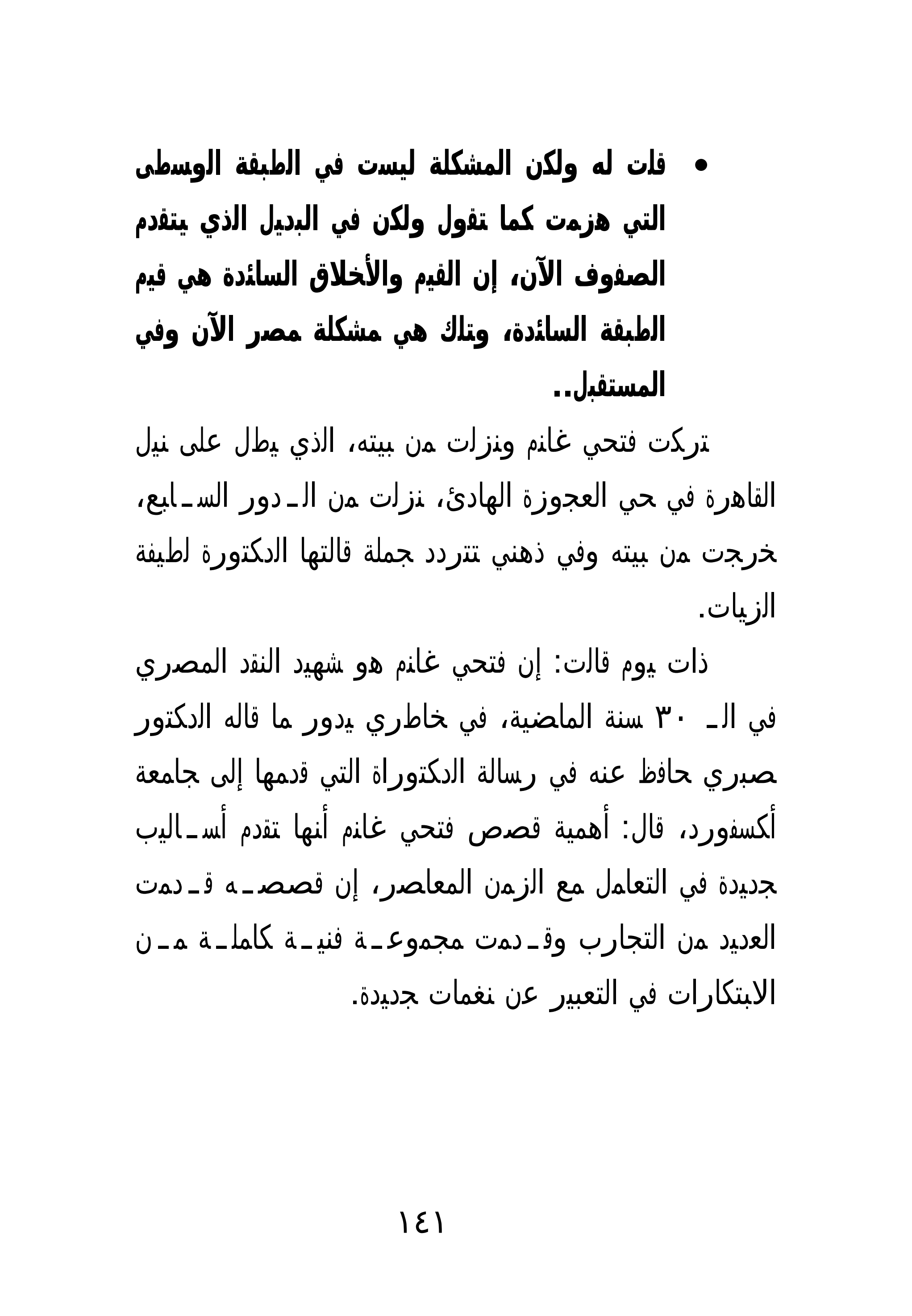
يوليو.. ومقبرة الأفيال: لم؟

قلت لفتحي غانم:

- **هذا يضعني مباشرة أمام السؤال التالي: هل هـذا ما قصدته في روايتك مقبرة الأفيال؟ هل قصـدت أن عصر يوليو كله لم يعد له سوى الذهاب إلـى القبر، تماماً كما تفعل الأفيال عندما ينتهي دورها في الحياة؟**

اسمع ، الحياة الحقيقية هي الوجه الآخر للموت، الأمان يقتل الحياة وهذا معنى يتكرر عندنا باسـتمرار ، إن قـدرة الإنسان على أن يتصدى للأخطار – بالتحديد أخطار الموت – هي التي تصنع حياته. إنه الوجه الآخر من العمـل. فـي رواية «الأفيال» أخذت معظم الأبطال جميعاً ونـذهب إلـى مكان مجهول في غابات إفريقيا.

- إن بطل الرواية يبدأ بالموت، إن الأفيال كلها رحلة الموت لمن ساروا في الثلاثين سنة الماضية.



- **قلت له ولكن المشكلة ليست في الطبقة الوسطى التي هزمت كما تقول ولكن في البديل الذي يتقدم الصفوف الآن، إن القيم والأخلاق السائدة هي قيم الطبقة السائدة، وتلك هي مشكلة مصر الآن وفي المستقبل..**

تركت فتحي غانم ونزلت من بيته، الذي يطل على نيل القاهرة في حي العجوزة الهادئ، نزلت من الـدور السـابع، خرجت من بيته وفي ذهني تتردد جملة قالتها الدكتورة لطيفة الزيات.

ذات يوم قالت: إن فتحي غانم هو شهيد النقد المصري في الـ ٣٠ سنة الماضية، في خاطري يدور ما قاله الدكتور صبري حافظ عنه في رسالة الدكتوراة التي قدمها إلى جامعة أكسفورد، قال: أهمية قصص فتحي غانم أنها تقدم أسـاليب جديدة في التعامل مع الزمن المعاصر، إن قصصـه قـدمت العديد من التجارب وقـدمت مجموعـة فنيـة كاملـة مـن الابتكارات في التعبير عن نغمات جديدة.

الدكتور محمد مصطفى

أعطى ابن إياس ٥٤ سنة من عمره

ويتساءل: متى تستعيد مصر أعظم مؤرخيها؟

يصدر قريباً، في الأسواق الطبعة الثانية من الجزء الأول ، السفر الضخم العظيم «بدائع الزهور في وقائع الدهور» لابن إياس، فصدور هذه الطبعة أحد الأحداث الثقافية الهامة والعظيمة والتي لا تتكرر كثيرا، فكتاب ابن إياس – الذي صدر من قبل – في طبعة واحدة – من ستة مجلدات طبعت في القاهرة عند عيس البابي الحلبي، يعد من أكثر الكتب التي ترصد فترة هامة في تاريخ مصر كله وهي فترة الاضطراب الأخير في حياة المماليك، والتى انتهت باحتلال العثماني لمصر، وكتاب ابن إياس هو الكتاب التاريخي الوحيد النابض بروح الواقع، وحضوره وحيويتيه، وهو الوحيد الذي حاول أن يرصد حركة الناس العاديين في الشوارع والبيوت والأسواق، وكتبها ابن إياس بروح قريبة من الفن بدائع الزهور، يقع في ثلاثة آلاف من القطع الكبيرة، ومؤلفه هو محمد بن أحمد بن إياس المصري الحنفي، وهو أول كاتب في تاريخ مصر، وربما العالم يهتدي

إلى ضرورة أن يتفرغ الكاتب للكتابة وحدها، لم يكن من الحكام ولا التجار، ولم يكن من الذين يعملون في ديوان الحكومة والسلطان، اعتصم بالقلم، واحتمى بالأوراق، ومن أرضية المراقب راح يرصد عصره كله، وناسه وأهله، وعندما جلس ليكتب الحوادث العجيبة والوقائع الغريبة لهذا العصر، لم يكن له من هدف سوى تثبيت لحظات ذلك العصر في وجه النسيان ولكي تبقى اللحظات الهاربة من ذاكرة البشرية ولا تفنى أبداً.

ابن إياس يتكلم

(اليوم أشيعت هذه الكاينة العظيمة، التي طمت وعمت، وزلزلت لها الأقطار، وما ذاك ألا أن أخبار السلطان والعسكر انقطعت مدة طويلة، ثم حضر كتاب على يد ساع مطرود من عند الأمير علان، الدودار الثاني، أحد الأمراء المقدمين فذكر أن السلطان كان يكذب في أمر سليم شاه بن عثمان إلى أن حضر مغلباي داودار سكيم وهو في حال النحس بزمط أقرع على رأسه، وهو لا بس كبر عتيق، وراكب على أكديش هزيل، وقد نهب بركه، وأخذت خيوله..

وقماشه، وأخيرا أن ابن عثمان أبي من الصلح، وقال له: قل لأستاذك يلاقيني عند مرج دابق).

هذا ما يقوله ابن إياس عن الاحتلال العثماني لمصـر ويصفح ويحكيه من واقع المعاصرة والمعايشة.

ويصفه ويحكيه من واقع المعاصرة والمعايشة.

يقول عن الأشرف قنصوه الغوري في المعركة: وطق رأسه فرخ حمير، وهو ينادي عساكره يا أغوات يـا أمـراء هذا وقت المروءة.

ويصل ابن إياس إلى النهايـة، ويقـول معلقـاً علـى الاحتلال الذي جرى: (لم يقع لمصر من قبل هـذه الكاينـة العظمى والحادثة المهولة)

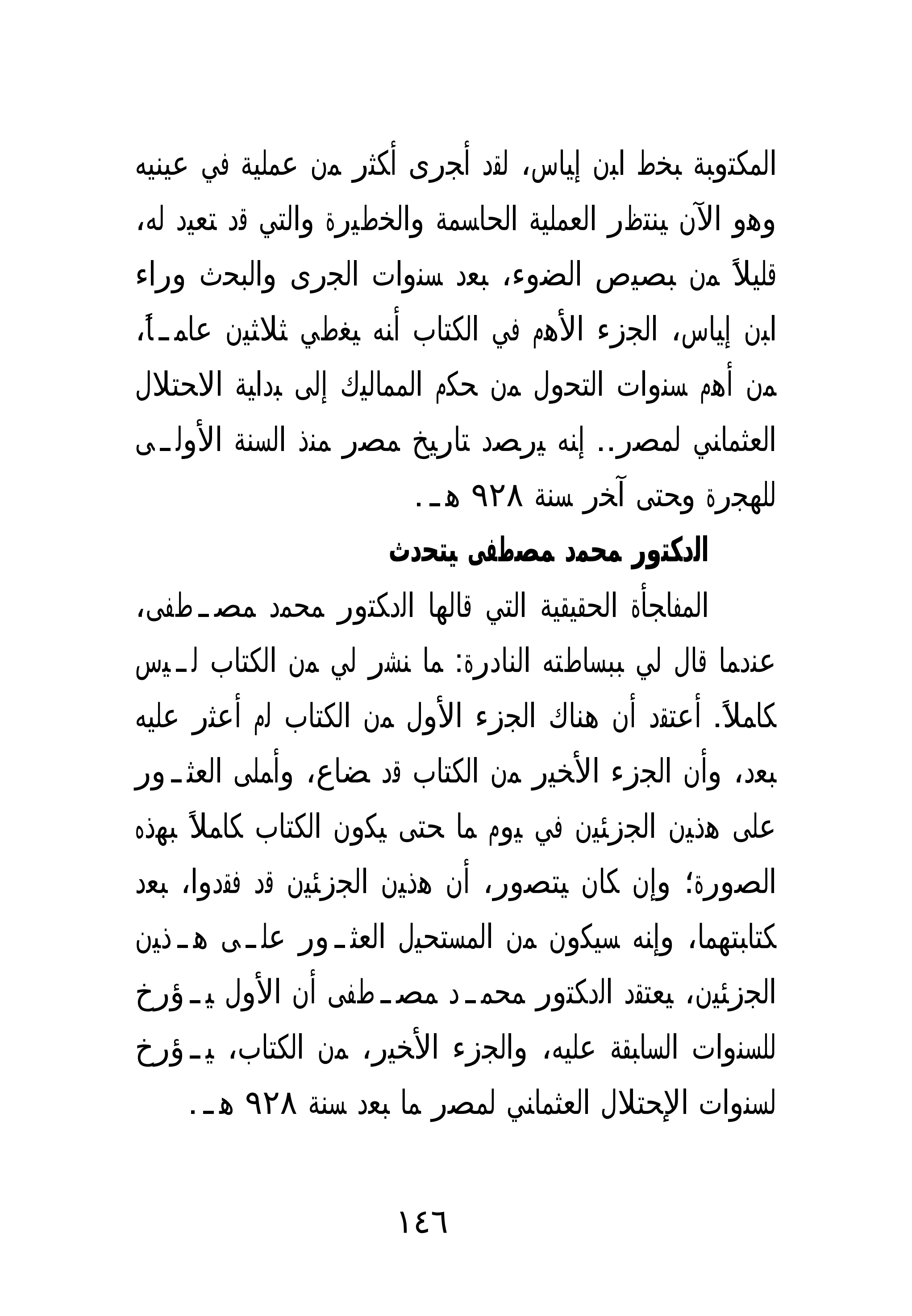
هذا ما يقوله ابن إياس، في كتابـه الهـام والخطيـر، الطبعة التي تصدر، يعود الفضل في إصدارها إلـى قـرار اتخذه صلاح عبد الصبور، منذ عامين بصدورها والبروفـة الأخيرة للجزء الأول روجعت بصورة نهائيـة والكـل فـي انتظارها.

غير أن الفضل الأساسي في تعريف أجيال هذا العصر على ابن إياس إنما يعود إلى شخص أهملنـاه طـويلاً، إنـه

الأستاذ الدكتور محمد مصطفى وهو الرجل الذي اكتشف ابن إياس وقدمه لنا جميعاً، ولولاه ولولا الجهد الذي قام به لظـل ابن إياس مجهولاً لنا جميعاً.

أعرف أن هناك طبعة صدرت في أوائل هذا القرن – من مطبعة بولاق- ولكنها كانت طبعة صـغيرة ومحـدودة وصدرت عن بعض المخطوطات القليلة والنادرة في مصر، أما الدكتور محمد مصطفى فقد تمكن من العثور على عـدد كبير من المخطوطات الموجودة في عواصم عديدة من العالم اليوم وإصدار بالفعل النص الكامل لهذا الكتاب الهام.

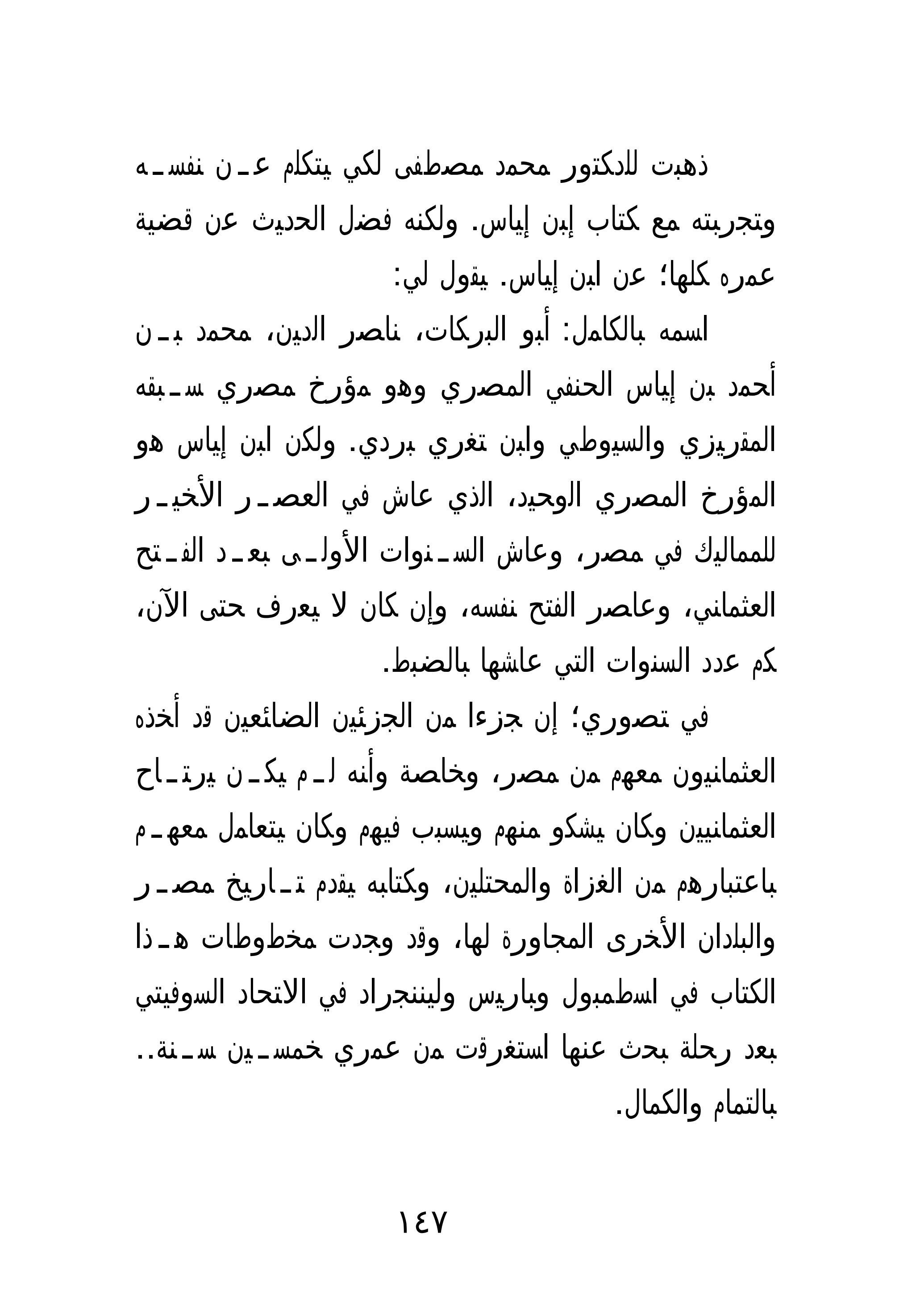
والدكتور محمد مصـطفى، اسـمه بالكامـل محمـد مصطفى العجمي؛ وهو نسـبة إلـى حـي العجمـي فـي الأسكندرية؛ الذي يحمل اسمه، والرجل يعيش هذه الأيام في شارع السوق بحي المعادي وتعيش معه زوجتـه الألمانيـة الأصل، وابنتاه، أما ابنته الثالثة فقد تزوجت وعاشـت مـع زوجها وهو يعاني من هم واحد في عينيه، فقد ضعف بصره بصورة رهيبة، بعد نصف قرن قضاه من عمره وهو يجرى وراء المخطوطات الخاصة، بابن إياس في بعض عواصـم العالم، ليال بأكملها قضاها وهو يحـاول اسـتنطاق الأوراق



المكتوبة بخط ابن إياس، لقد أجرى أكثر من عملية في عينيه وهو الآن ينتظر العملية الحاسمة والخطيرة والتي قد تعيد له، قليلاً من بصيص الضوء، بعد سنوات الجرى والبحث وراء ابن إياس، الجزء الأهم في الكتاب أنه يغطي ثلاثين عامـاً، من أهم سنوات التحول من حكم المماليك إلى بداية الاحتلال العثماني لمصر.. إنه يرصد تاريخ مصر منذ السنة الأولـى للهجرة وحتى آخر سنة ٩٢٨ هـ.

الدكتور محمد مصطفى يتحدث

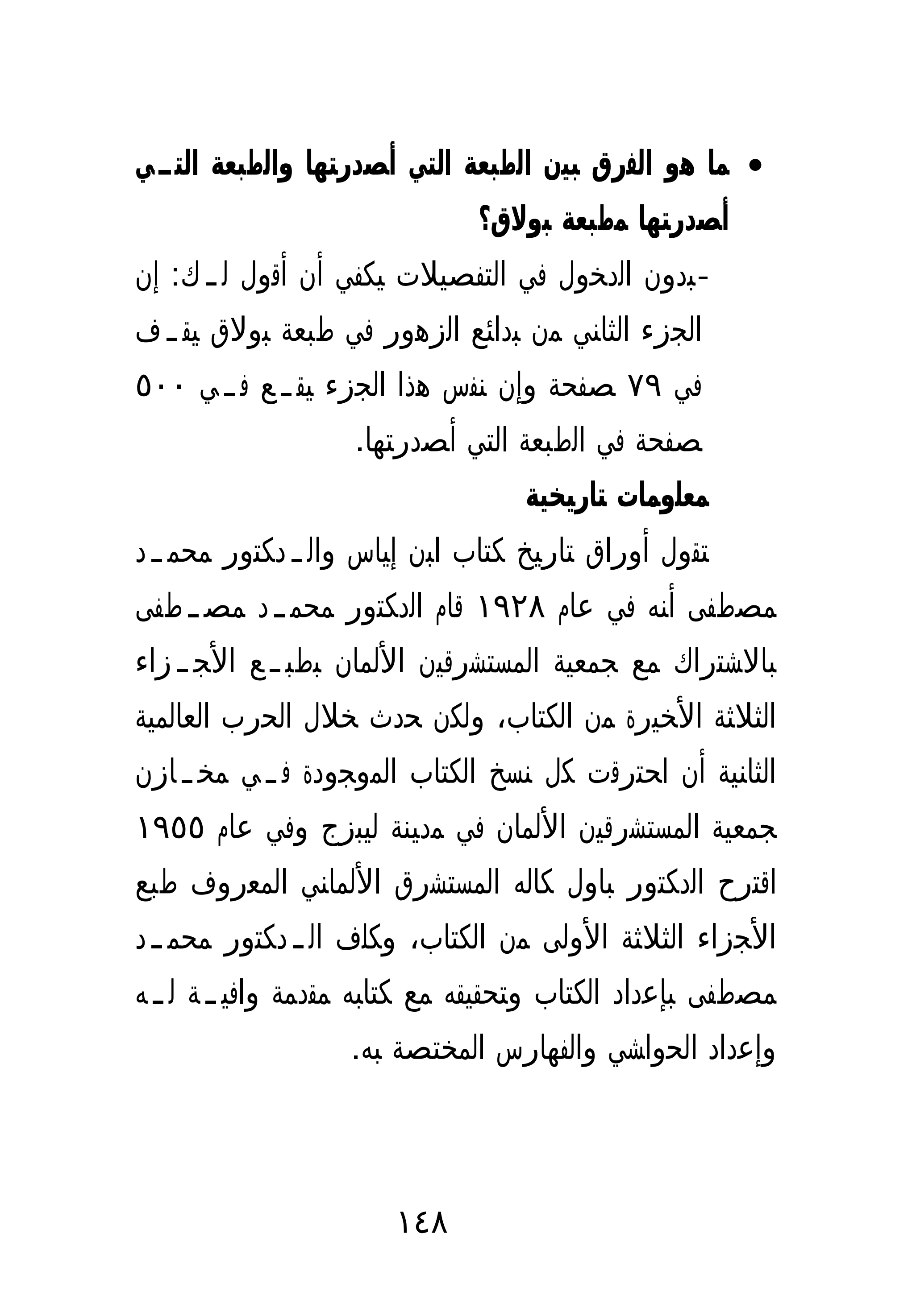
المفاجأة الحقيقية التي قالها الدكتور محمد مصـطفى، عندما قال لي ببساطته النادرة: ما نشر لي من الكتاب لـيس كاملاً. أعتقد أن هناك الجزء الأول من الكتاب لم أعثر عليه بعد، وأن الجزء الأخير من الكتاب قد ضاع، وأملى العثـور على هذين الجزئين في يوم ما حتى يكون الكتاب كاملاً بهذه الصورة؛ وإن كان يتصور، أن هذين الجزئين قد فقدوا، بعد كتابتهما، وإنه سيكون من المستحيل العثـور علـى هـذين الجزئين، يعتقد الدكتور محمـد مصـطفى أن الأول يـؤرخ للسنوات السابقة عليه، والجزء الأخير، من الكتاب، يـؤرخ لسنوات الإحتلال العثماني لمصر ما بعد سنة ٩٢٨ هـ.



ذهبت للدكتور محمد مصطفى لكي يتكلم عن نفسه وتجربته مع كتاب إبن إياس. ولكنه فضل الحديث عن قضية عمره كلها؛ عن ابن إياس. يقول لي:

اسمه بالكامل: أبو البركات، ناصر الدين، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري وهو مؤرخ مصري سبقه المقريزي والسيوطي وابن تغري بردي. ولكن ابن إياس هو المؤرخ المصري الوحيد، الذي عاش في العصر الأخير للمماليك في مصر، وعاش السنوات الأولى بعد الفتح العثماني، وعاصر الفتح نفسه، وإن كان لا يعرف حتى الآن، كم عدد السنوات التي عاشها بالضبط.

في تصوري؛ إن جزءا من الجزئين الضائعين قد أخذه العثمانيون معهم من مصر، وخاصة وأنه لم يكن يرتاح العثمانيين وكان يشكو منهم ويسبب فيهم وكان يتعامل معهم باعتبارهم من الغزاة والمحتلين، وكتابه يقدم تاريخ مصر والبلدان الأخرى المجاورة لها، وقد وجدت مخطوطات هذا الكتاب في اسطمبول وباريس ولييننجراد في الاتحاد السوفيتي بعد رحلة بحث عنها استغرقت من عمري خمسين سنة.. بالتمام والكمال.

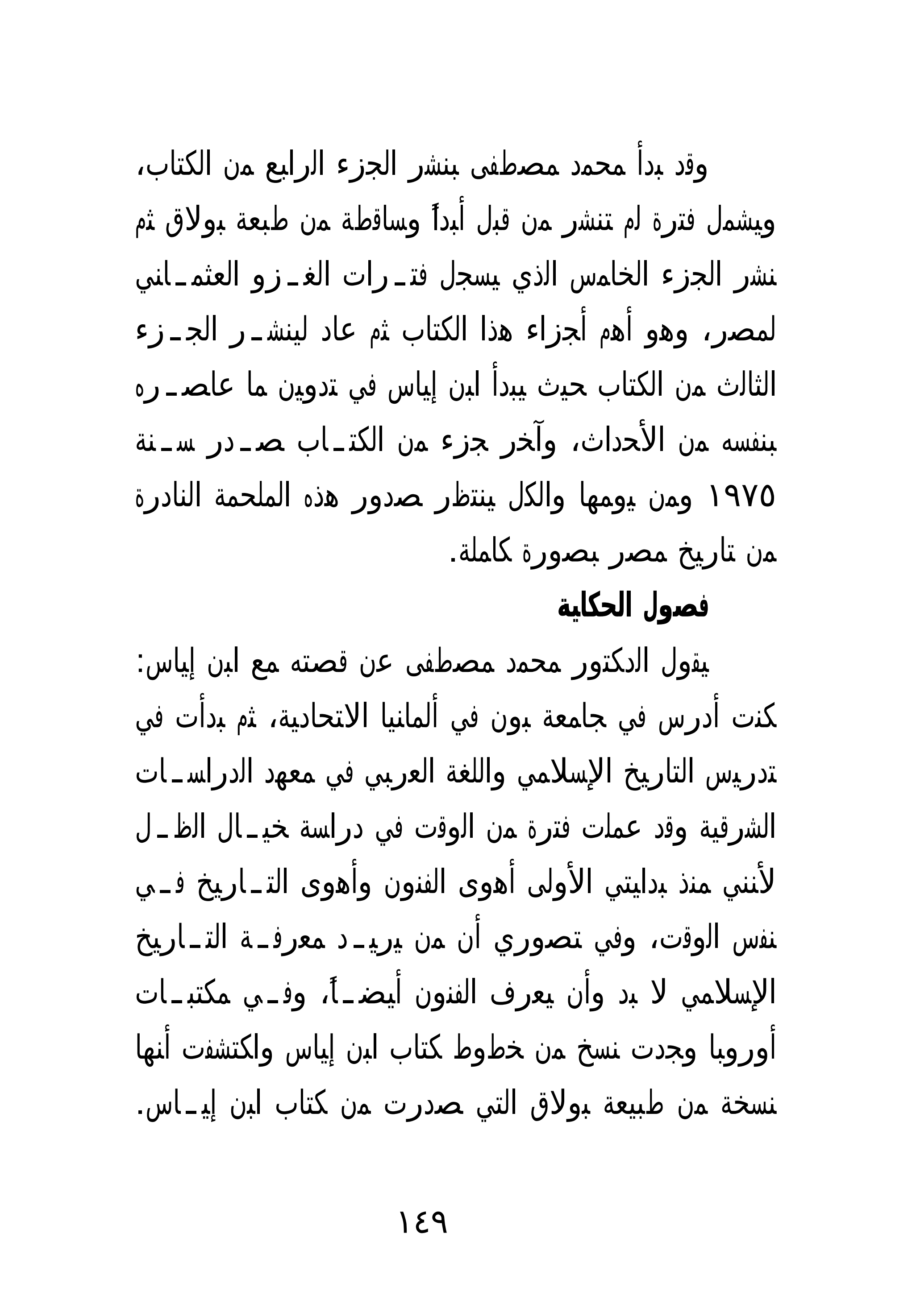


- **ما هو الفرق بين الطبعة التي أصدرتها والطبعة التـي أصدرتها مطبعة بولاق؟**

-بدون الدخول في التفصيلات يكفي أن أقول لـك: إن الجزء الثاني من بدائع الزهور في طبعة بولاق يقـف في ٧٩ صفحة وإن نفس هذا الجزء يقـع فـي ٥٠٠ صفحة في الطبعة التي أصدرتها.

معلومات تاريخية

تقول أوراق تاريخ كتاب ابن إياس والـدكتور محمـد مصطفى أنه في عام ١٩٢٨ قام الدكتور محمـد مصـطفى بالاشتراك مع جمعية المستشرقين الألمان بطبـع الأجـزاء الثلاثة الأخيرة من الكتاب، ولكن حدث خلال الحرب العالمية الثانية أن احترقت كل نسخ الكتاب الموجودة فـي مخـازن جمعية المستشرقين الألمان في مدينة ليبزج وفي عام ١٩٥٥ اقترح الدكتور باول كاله المستشرق الألماني المعروف طبع الأجزاء الثلاثة الأولى من الكتاب، وكلف الـدكتور محمـد مصطفى بإعداد الكتاب وتحقيقه مع كتابه مقدمة وافيـة لـه وإعداد الحواشي والفهارس المختصة به.



وقد بدأ محمد مصطفى بنشر الجزء الرابع من الكتاب، ويشمل فترة لم تنشر من قبل أبداً وساقطة من طبعة بولاق ثم نشر الجزء الخامس الذي يسجل فتـرات الغـزو العثمـاني لمصر، وهو أهم أجزاء هذا الكتاب ثم عاد لينشـر الجـزء الثالث من الكتاب حيث يبدأ ابن إياس في تدوين ما عاصـره بنفسه من الأحداث، وآخر جزء من الكتـاب صـدر سـنة ١٩٧٥ ومن يومها والكل ينتظر صدور هذه الملحمة النادرة من تاريخ مصر بصورة كاملة.

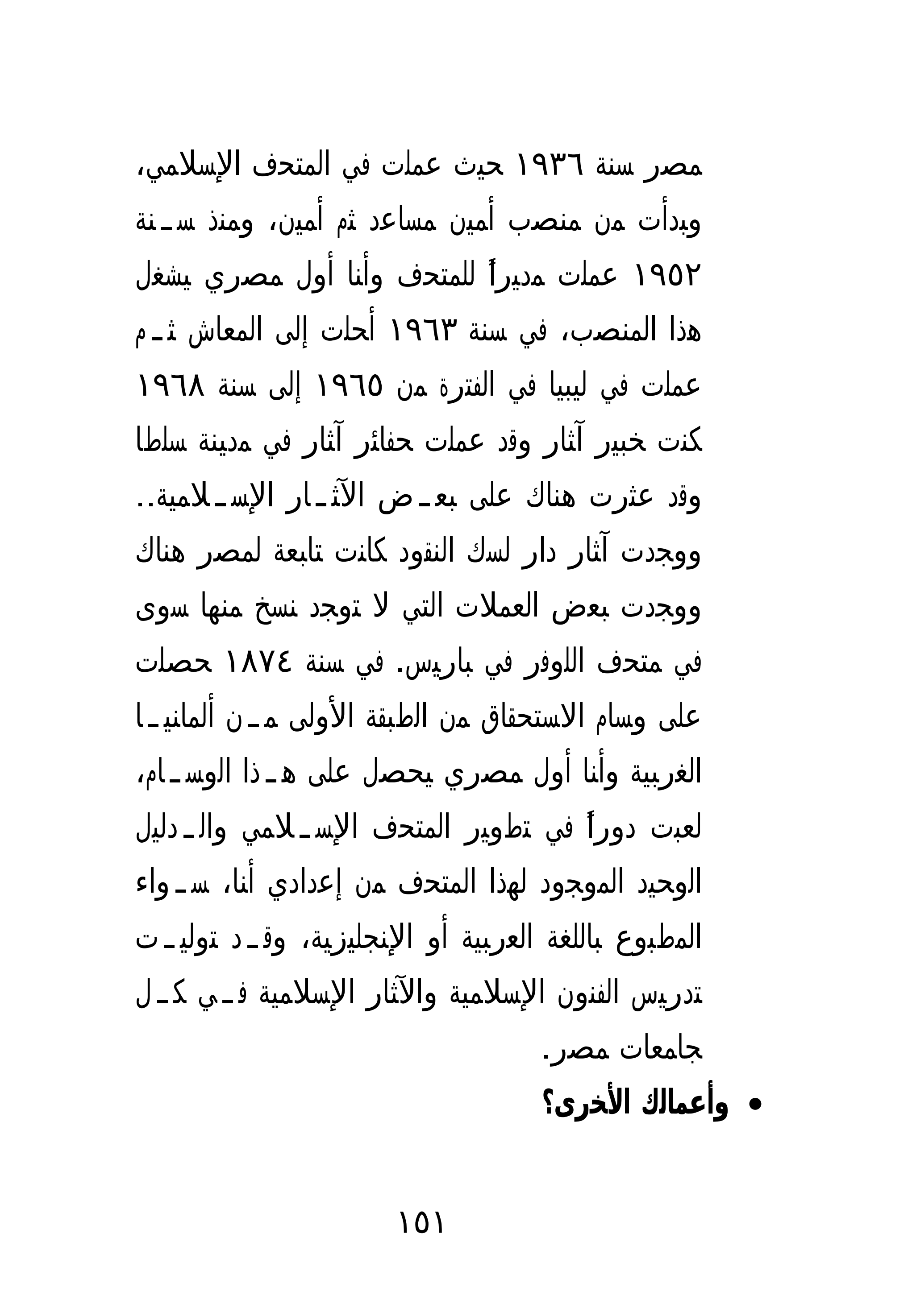
فصول الحكاية

يقول الدكتور محمد مصطفى عن قصته مع ابن إياس: كنت أدرس في جامعة بون في ألمانيا الاتحادية، ثم بدأت في تدريس التاريخ الإسلامي واللغة العربي في معهد الدراسـات الشرقية وقد عملت فترة من الوقت في دراسة خيـال الظـل لأنني منذ بدايتي الأولى أهوى الفنون وأهوى التـاريخ فـي نفس الوقت، وفي تصوري أن من يريـد معرفـة التـاريخ الإسلامي لا بد وأن يعرف الفنون أيضـاً، وفـي مكتبـات أوروبا وجدت نسخ من خطوط كتاب ابن إياس واكتشفت أنها نسخة من طبيعة بولاق التي صدرت من كتاب ابن إيـاس.

الجزء الرابع وجدته في مكتبة لينيجراد والخامس وجدته في اسطمبول وهو جزء هام لأنه يغطى عصر الأشراف قنصوه الغورى، وعصر الغوري كان من العصور الهامة في تاريخ الفنون في مصر لأن الأشراف قنصوه كان يعرف العديد من اللغات وكان فناناً وكان يهتم بالعديد من الفنون وكان يشـجع الفنانين، ومن شدة إعجابي به ألقيت عنـه محاضـرة فـي المجتمع العلمي المصري الذي أنا عضو فيه، كانـت هـذه المحاضرة عنوانها التصوير في مصر فـي أوائـل عصـر المماليك الجراكسة، وهذا الفن معروف لـدي العديـد مـن العلماء.

- **من أنت؟**

-ولدت في مدينة الأسكندرية وينتمي نسبي إلى سيدي العجمي، في ديسمبر سـنة ١٩٠٣ حصـلت علـى البكالوريا من الأسكندرية ثم سـافرت إلـى ألمانيـا وأكملت تعليمي فيها، رسالة الدكتوراة مكتوبة باللغـة الألمانية ولم تترجم حتى الآن إلى اللغة العربية وكان موضوعها «الفتح العثمـاني لمصـر» عملـت فـي التدريس في معهد الدراسات الشرقية، وعـدت إلـى



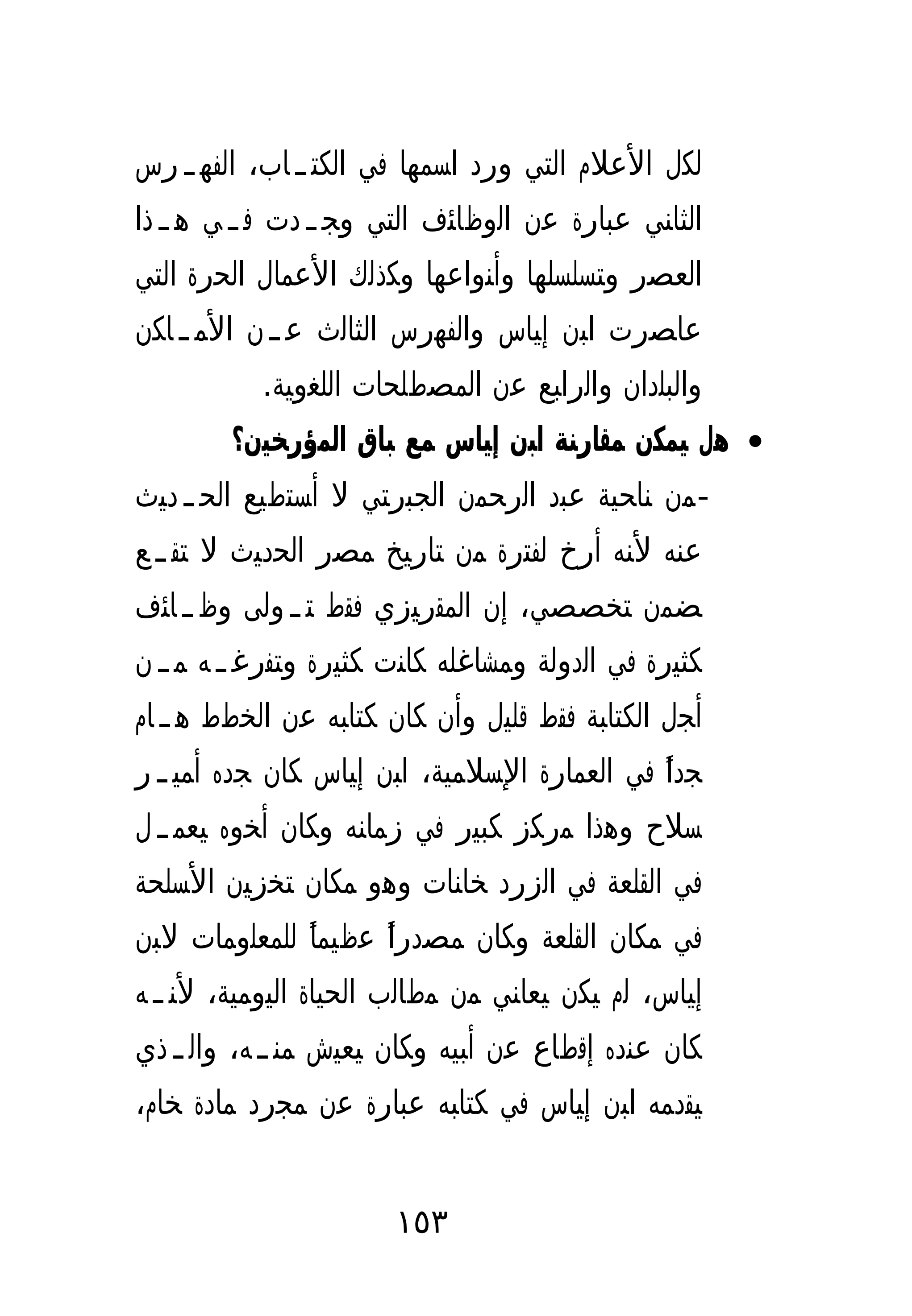
مصر سنة ١٩٣٦ حيث عملت في المتحف الإسلامي، وبدأت من منصب أمين مساعد ثم أمين، ومنذ سـنة ١٩٥٢ عملت مديراً للمتحف وأنا أول مصري يشغل هذا المنصب، في سنة ١٩٦٣ أحلت إلى المعاش ثـم عملت في ليبيا في الفترة من ١٩٦٥ إلى سنة ١٩٦٨ كنت خبير آثار وقد عملت حفائر آثار في مدينة سلطا وقد عثرت هناك على بعـض الآثـار الإسـلامية.. ووجدت آثار دار لسك النقود كانت تابعة لمصر هناك ووجدت بعض العملات التي لا توجد نسخ منها سوى في متحف اللوفر في باريس. في سنة ١٨٧٤ حصلت على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى مـن ألمانيـا الغربية وأنا أول مصري يحصل على هـذا الوسـام، لعبت دوراً في تطوير المتحف الإسـلامي والـدليل الوحيد الموجود لهذا المتحف من إعدادي أنا، سـواء المطبوع باللغة العربية أو الإنجليزية، وقـد توليـت تدريس الفنون الإسلامية والآثار الإسلامية فـي كـل جامعات مصر.

- **وأعمالك الأخرى؟**

-حققت كتاباً تاريخياً آخر وأصدرته ولم تصـدر لـه طبعة من قبل هو كتاب مفاكهة الخلان فـي حـوادث الزمان لابن طولون وهو يرصد تاريخ الشام في نفس الفترة التي يرصدها ابن إياس في مصر، لي دراسـة منشورة باللغة العربية سنة ١٩٥٣ حـول سـجاجيد الصلاة ودراسة الوحدة في الفن الإسلامي وهو صادر بالعربية والإنجليزية في وقت واحد، حالياً أنـا أمـين الصندوق وأمين المكتبة في المجمع العلمي المصري وعضو شرف جمعية المستشرقين الألمان.

قصتي مع ابن إياس

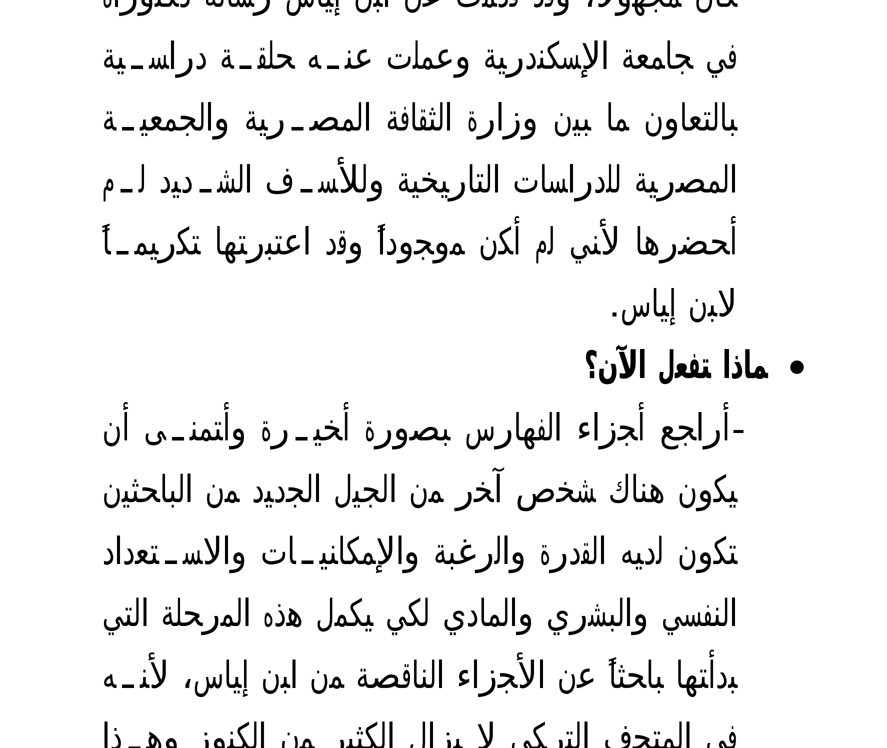
-منذ سنة ١٩٢٨ وأنا أعيش مع ابن إياس، ٥٤ سـنة قضيتها معه، ولدي يقين أن هنـاك أجـزاء أخـرى ضائعة من ابن إياس لأن ابن إياس من المستحيل أن يقطع الحديث هكذا مرة واحدة لقد حققـت ٦٠ ألـف ورقة بخط ابن إياس أخرجت منها هـذه الأجـزاء، أعمل حالياً في الفهارس، ومن المفروض أن يصـدر كتاب ابن إياس في ٦ أجزاء لدي الآن أربعة أجـزاء عبارة عن فهارس، فهرس أعلام عبارة عن تراجـع



لكل الأعلام التي ورد اسمها في الكتاب، الفهرس الثاني عبارة عن الوظائف التي وجدت في هذا العصر وتسلسلها وأنواعها وكذلك الأعمال الحرة التي عاصرت ابن إياس والفهرس الثالث عن الأماكن والبلدان والرابع عن المصطلحات اللغوية.

- **هل يمكن مقارنة ابن إياس مع باق المؤرخين؟**

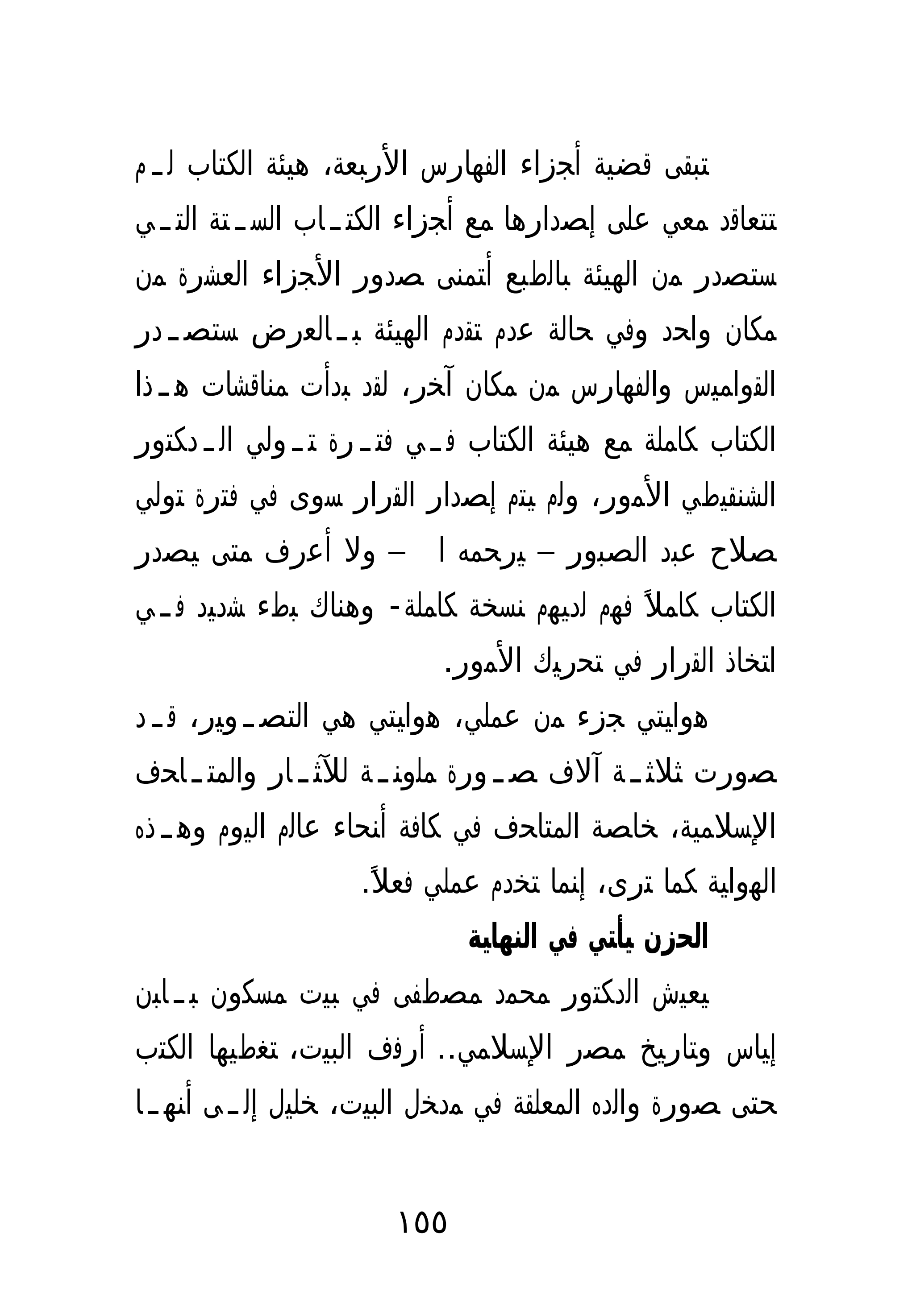
-من ناحية عبد الرحمن الجبرتي لا أستطيع الحديث عنه لأنه أرخ لفترة من تاريخ مصر الحديث لا تقع ضمن تخصصي، إن المقريزي فقط تولى وظائف كثيرة في الدولة ومشاغله كانت كثيرة وتفرغه من أجل الكتابة فقط قليل وأن كان كتابه عن الخطط هام جداً في العمارة الإسلامية، ابن إياس كان جده أمير سلاح وهذا مركز كبير في زمانه وكان أخوه يعمل في القلعة في الزرد خانات وهو مكان تخزين الأسلحة في مكان القلعة وكان مصدراً عظيماً للمعلومات لابن إياس، لم يكن يعاني من مطالب الحياة اليومية، لأنه كان عنده إقطاع عن أبيه وكان يعيش منه، والذي يقدمه ابن إياس في كتابه عبارة عن مجرد مادة خام،



أستغلها كثير من الدارسين والباحثين لأن هذا العصر كان مجهولاً، وقد قدمت عن ابن إياس رسالة دكتوراة في جامعة الإسكندرية وعملت عنه حلقة دراسية بالتعاون ما بين وزارة الثقافة المصرية والجمعية المصرية للدراسات التاريخية وللأسف الشديد لم أحضرها لأني لم أكن موجوداً وقد اعتبرتها تكريماً لابن إياس.

- **ماذا تفعل الآن؟**

-أراجع أجزاء الفهارس بصورة أخيرة وأتمنى أن يكون هناك شخص آخر من الجيل الجديد من الباحثين تكون لديه القدرة والرغبة والإمكانيات والاستعداد النفسي والبشري والمادي لكي يكمل هذه المرحلة التي بدأتها باحثاً عن الأجزاء الناقصة من ابن إياس، لأنه في المتحف التركي لا يزال الكثير من الكنوز وهذا المتحف اسمه «توب كابي سراي» وهم هناك يقدمون أكبر قدر من الخدمة لمن يلجأ إليهم طالباً المعونة العلمية.

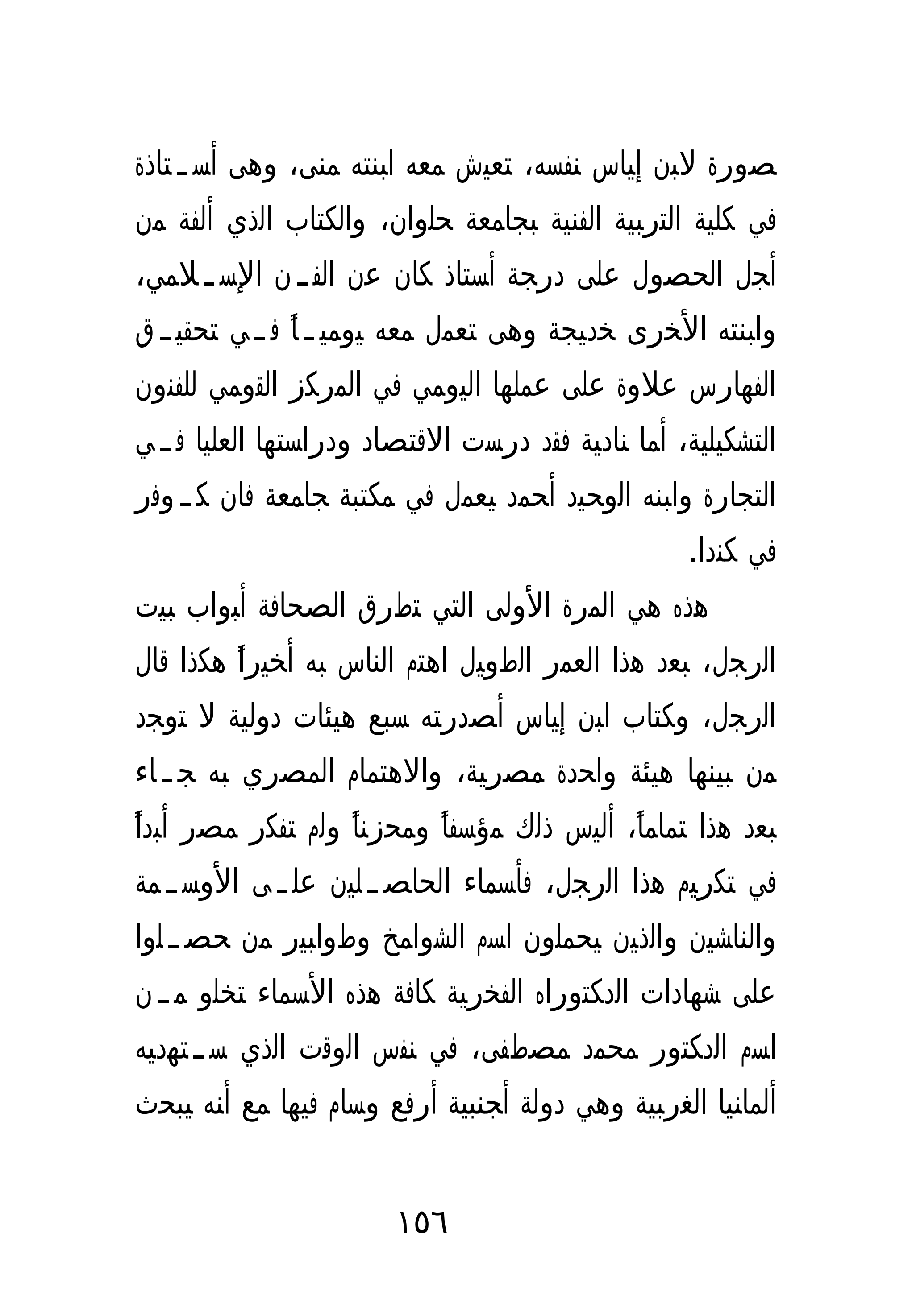


تبقى قضية أجزاء الفهارس الأربعة، هيئة الكتاب لـم تتعاقد معي على إصدارها مع أجزاء الكتـاب السـتة التـي ستصدر من الهيئة بالطبع أتمنى صدور الأجزاء العشرة من مكان واحد وفي حالة عدم تقدم الهيئة بـالعرض ستصـدر القواميس والفهارس من مكان آخر، لقد بدأت مناقشات هـذا الكتاب كاملة مع هيئة الكتاب فـي فتـرة تـولي الـدكتور الشنقيطي الأمور، ولم يتم إصدار القرار سوى في فترة تولي صلاح عبد الصبور – يرحمه ا – ولا أعرف متى يصدر الكتاب كاملاً فهم لديهم نسخة كاملة- وهناك بطء شديد فـي اتخاذ القرار في تحريك الأمور.

هوايتي جزء من عملي، هوايتي هي التصـوير، قـد صورت ثلاثـة آلاف صـورة ملونـة للآثـار والمتـاحف الإسلامية، خاصة المتاحف في كافة أنحاء عالم اليوم وهـذه الهواية كما ترى، إنما تخدم عملي فعلاً.

الحزن يأتي في النهاية

يعيش الدكتور محمد مصطفى في بيت مسكون بـابن إياس وتاريخ مصر الإسلامي.. أرفف البيت، تغطيها الكتب حتى صورة والده المعلقة في مدخل البيت، خليل إلـى أنهـا



صورة لابن إياس نفسه، تعيش معه ابنته منى، وهى أسـتاذة في كلية التربية الفنية بجامعة حلوان، والكتاب الذي ألفة من أجل الحصول على درجة أستاذ كان عن الفـن الإسـلامي، وابنته الأخرى خديجة وهى تعمل معه يوميـاً فـي تحقيـق الفهارس علاوة على عملها اليومي في المركز القومي للفنون التشكيلية، أما نادية فقد درست الاقتصاد ودراستها العليا فـي التجارة وابنه الوحيد أحمد يعمل في مكتبة جامعة فان كـوفر في كندا.

هذه هي المرة الأولى التي تطرق الصحافة أبواب بيت الرجل، بعد هذا العمر الطويل اهتم الناس به أخيراً هكذا قال الرجل، وكتاب ابن إياس أصدرته سبع هيئات دولية لا توجد من بينها هيئة واحدة مصرية، والاهتمام المصري به جـاء بعد هذا تماماً، أليس ذلك مؤسفاً ومحزناً ولم تفكر مصر أبداً في تكريم هذا الرجل، فأسماء الحاصـلين علـى الأوسـمة والناشين والذين يحملون اسم الشوامخ وطوابير من حصـلوا على شهادات الدكتوراه الفخرية كافة هذه الأسماء تخلو مـن اسم الدكتور محمد مصطفى، في نفس الوقت الذي سـتهديه ألمانيا الغربية وهي دولة أجنبية أرفع وسام فيها مع أنه يبحث

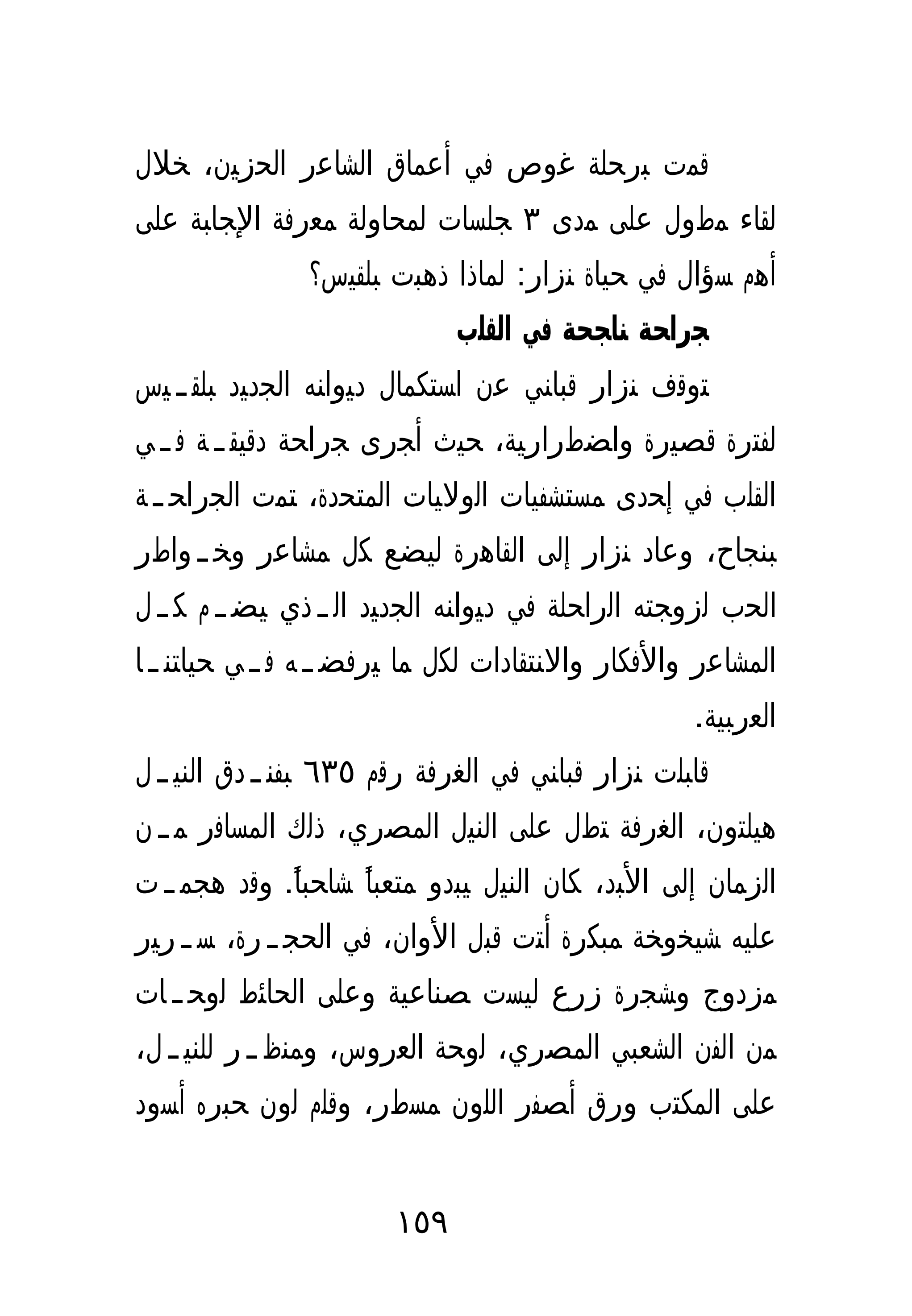
في تاريخ مصر واسم مصر وآثار مصر الإسلامية!! ألـيس ذلك محزناً لحد الرغبة في البكاء! كم أهدرت مصـر مـن الطاقات والأسماء المبدعة والخلاقة، إن الرجل يبحـث مـع هيئة الكتاب نشر كتاب عمره منذ أيام الـدكتور الشـنقيطي واليوم تولى أمور الهيئة ثالث رئيس لها وكتابه في المطبعـة ونحن نطلب من كل مصري مساعدة هذا العاشـق العظـيم لمصر ونشر كتابه، لأنني أخشى أن يجرى ورائه الآن ناشر أجنبي.

نزار في مرحلة ما بعد بلقيس أنا برئ من دم كل النساء

- أكتب الآن كتاباً عـن بلقـيس لأننـي فـي القصيدة لم أقل كل شيء.
- موقفي من المرأة لم يتضح بما فيه الكفاية..
- أكتب الآن لأتحدى الموت.
- بلقيس كانت امرأة استثنائية.
- لست شهريار القصيدة العربية.
- قطعت علاقتي بـالمرأة الدميـة والمـرأة الجارية.. منذ زمن طويل.

لكل شاعر مصدر إلهام، بلقيس كانـت نسـاء العـالم بالنسبة للشاعر (نزار قباني) الآن وبعد أن ذهبـت بلقـيس أصبح الشاعر يعيش مرحلة ما بعد الإلهام، ما بعد بلقيس في حياتيا، كانت حروف قصيدته واليوم بعد ذهابها، فـي ذلـك الانفجار المروع في بيروت، أصبحت هـي كـل قصـائده وسوف يذكر تاريخ الشعر العربي الحديث أن بلقيس كانـت أهم امرأة في حياة نزار.

- **كيف يعيش نزار مرحلة ما بعد بلقيس؟ وما هي خططه الشخصية والشعرية القادمة؟**

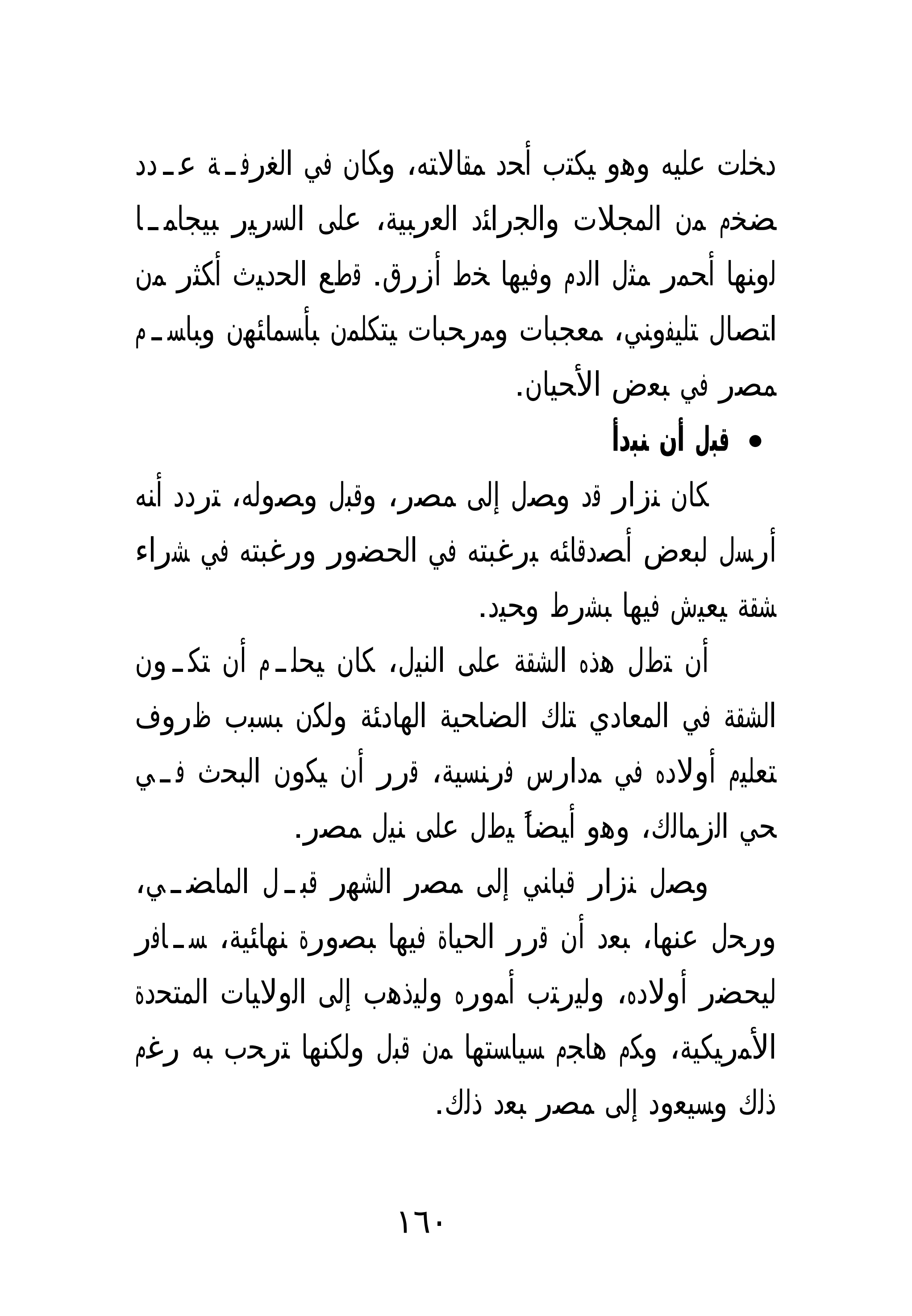


قمت برحلة غوص في أعماق الشاعر الحزين، خلال لقاء مطول على مدى ٣ جلسات لمحاولة معرفة الإجابة على أهم سؤال في حياة نزار: لماذا ذهبت بلقيس؟

جراحة ناجحة في القلب

توقف نزار قباني عن استكمال ديوانه الجديد بلقيس لفترة قصيرة واضطرارية، حيث أجرى جراحة دقيقة في القلب في إحدى مستشفيات الولايات المتحدة، تمت الجراحة بنجاح، وعاد نزار إلى القاهرة ليضع كل مشاعر وخواطر الحب لزوجته الراحلة في ديوانه الجديد الذي يضم كل المشاعر والأفكار والانتقادات لكل ما يرفضه في حياتنا العربية.

قابلت نزار قباني في الغرفة رقم ٦٣٥ بفندق النيل هيلتون، الغرفة تطل على النيل المصري، ذلك المسافر من الزمان إلى الأبد، كان النيل يبدو متعباً شاحباً. وقد هجمت عليه شيخوخة مبكرة أتت قبل الأوان، في الحجرة، سرير مزدوج وشجرة زرع ليست صناعية وعلى الحائط لوحات من الفن الشعبي المصري، لوحة العروس، ومنظر للنيل، على المكتب ورق أصفر اللون مسطر، وقلم لون حبره أسود



دخلت عليه وهو يكتب أحد مقالاته، وكان في الغرفة عدد ضخم من المجلات والجرائد العربية، على السرير بيجاما لونها أحمر مثل الدم وفيها خط أزرق. قطع الحديث أكثر من اتصال تليفوني، معجبات ومرحبات يتكلمن بأسمائهن وباسم مصر في بعض الأحيان.

- **قبل أن نبدأ**

كان نزار قد وصل إلى مصر، وقبل وصوله، تردد أنه أرسل لبعض أصدقائه برغبته في الحضور ورغبته في شراء شقة يعيش فيها بشرط وحيد.

أن تطل هذه الشقة على النيل، كان يحلم أن تكون الشقة في المعادي تلك الضاحية الهادئة ولكن بسبب ظروف تعليم أولاده في مدارس فرنسية، قرر أن يكون البحث في حي الزمالك، وهو أيضاً يطل على نيل مصر.

وصل نزار قباني إلى مصر الشهر قبل الماضي، ورحل عنها، بعد أن قرر الحياة فيها بصورة نهائية، سافر ليحضر أولاده، وليرتب أموره وليذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكم هاجم سياستها من قبل ولكنها ترحب به رغم ذلك وسيعود إلى مصر بعد ذلك.

قابله في المطار الدكتور يوسف إدريس وفتحت له صالة كبار الزوار في المطار، وفي المطار، كانت هناك مذيعة تسأله وجهاز التسجيل بينها وبينه:

- **لماذا عدت إلى مصر؟**

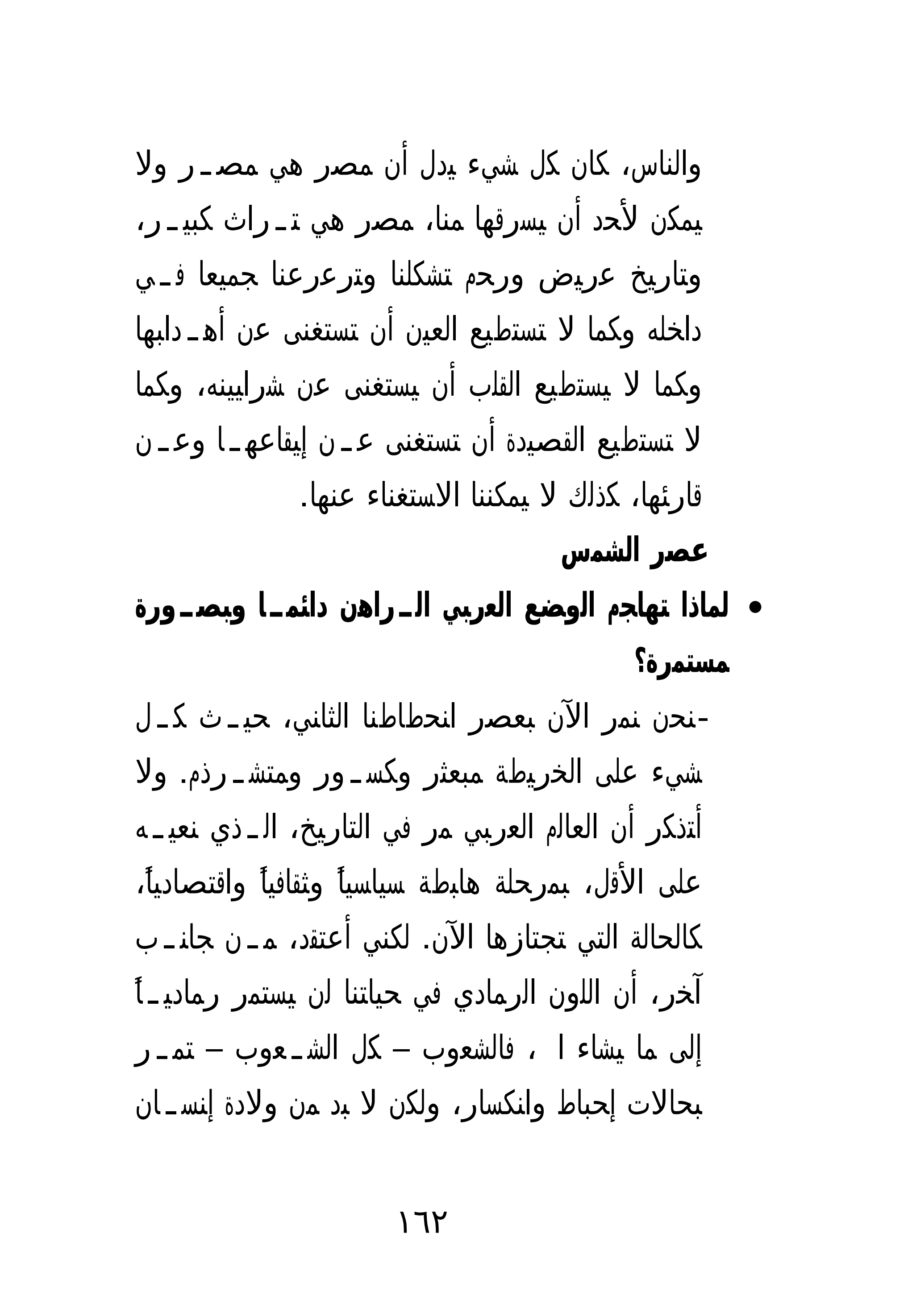
قال لها بتدفقه المعهود:

-لا يسأل العائد إلى بيته عن السبب في العودة أبدا. لقد عدت إلى بيتي ولا أتصور أن يكون هناك سبب لذلك.

من المطار ذهب مباشرة إلى صديقه الحاج محمد مدبولي.. صافحه وعانقه ومسح الغربة في أحضانه كان الحاج محمد مدبولي يقف في ميدان طلعت حرب، كعادته يبيع الكتب ويقدم الثقافة وكان العناق الحار مشهدا فريدا، ثم ذهب إلى فندق النيل هيلتون.

- **سألته: لحظة عودتك إلى مصر.. كيف وجدتها؟ وكيف كان استقبالها لك؟**

-قال: عندما حضرت إلى مصر، هذه المرة، لم يخب ظني، نزلت من الطائرة بعد خمس سنوات من الفراق، ومن البعاد الاضطراري عن مصر، استقبلت بالأحضان في المطار من قبل الضباط والموظفين



والناس، كان كل شيء يدل أن مصر هي مصـر ولا يمكن لأحد أن يسرقها منا، مصر هي تـراث كبيـر، وتاريخ عريض ورحم تشكلنا وترعرعنا جميعا فـي داخله وكما لا تستطيع العين أن تستغنى عن أهـدابها وكما لا يستطيع القلب أن يستغنى عن شرايينه، وكما لا تستطيع القصيدة أن تستغنى عـن إيقاعهـا وعـن قارئها، كذلك لا يمكننا الاستغناء عنها.

عصر الشمس

- **لماذا تهاجم الوضع العربي الـراهن دائمـا وبصـورة مستمرة؟**

-نحن نمر الآن بعصر انحطاطنا الثاني، حيـث كـل شيء على الخريطة مبعثر وكسـور ومتشـرذم. ولا أتذكر أن العالم العربي مر في التاريخ، الـذي نعيـه على الأقل، بمرحلة هابطة سياسياً وثقافياً واقتصادياً، كالحالة التي تجتازها الآن. لكني أعتقد، مـن جانـب آخر، أن اللون الرمادي في حياتنا لن يستمر رماديـاً إلى ما يشاء ا ، فالشعوب – كل الشـعوب – تمـر بحالات إحباط وانكسار، ولكن لا بد من ولادة إنسـان

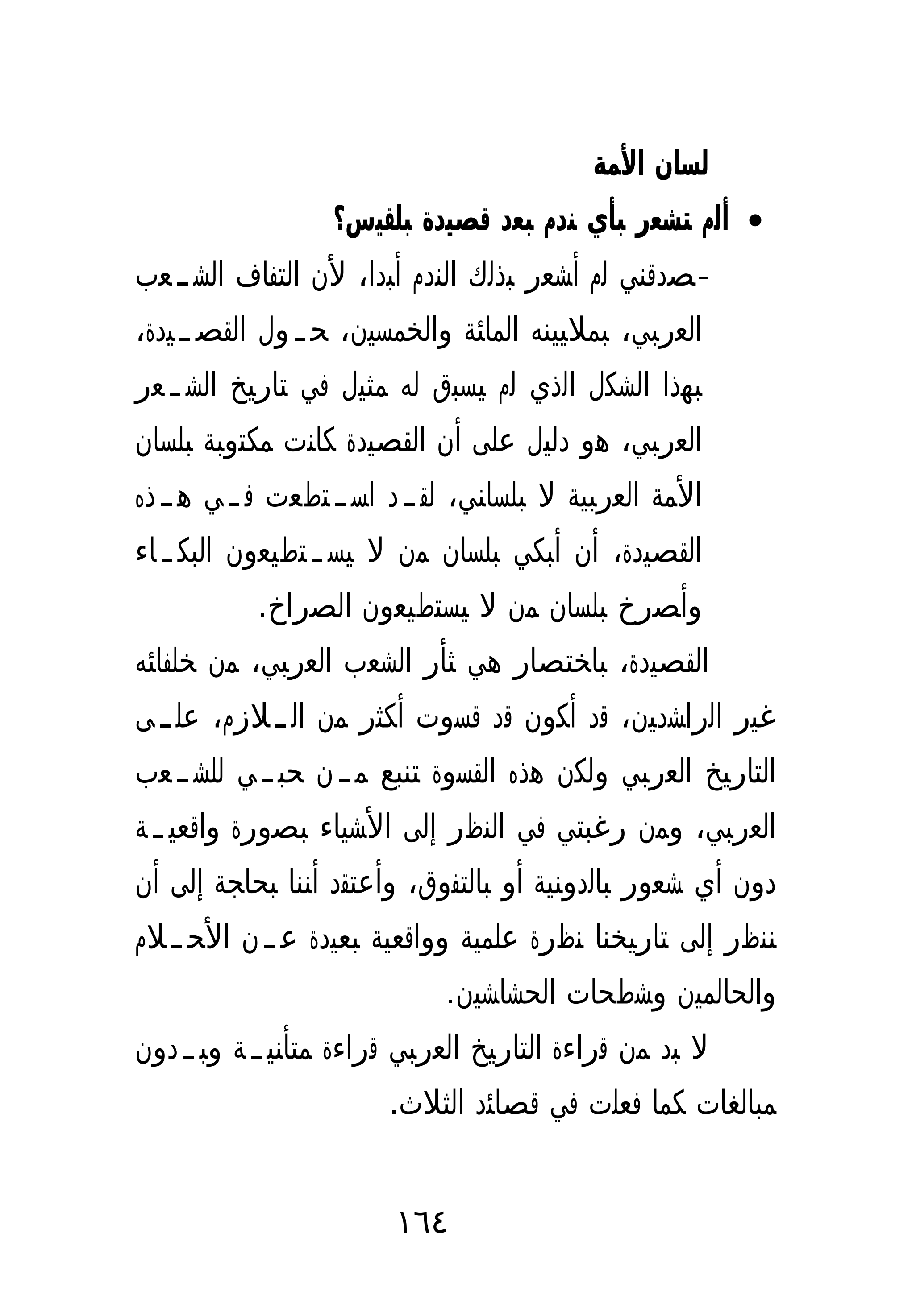
عربي يخرج من قارورة القمع والخوف والإرهـاب والتخلف، ليدخل عصر الشمس.

- **وكيف نبدأ؟**

-المهم كيف ننقذ الفكر العربي؟ يجب أن نخرجه مـن حالة اليأس والقرف التي يعيش فيها الآن. المهـم ألا يسقط المثقفون العرب في بئر الكفر لأنهم إن فقـدوا إيمانهم بأن الشمس ستشرق مرة أخرى فسوف تصبح الخريطة العربية مقبرة لا ينبت فيها ورد ولا حلم ولا أمل.

- **ومن هذه الأرضية خرجت بلقيس؟**

-أولا: أنا جزء من التجربة الرهيبة في العالم العربـي الآن، بلقيس جزء من ثلاثية، بدأت الثلاثية بقصيدتي: «خبز وحشيش وخمر» ثم «هـوامش علـى دفتـر النكسة» وأخيرا «بلقيس». ربما قد يكون في القصائد الثلاث نوع من الغضب الـذي لا عقـل لـه ولكـن القصائد الثلاث في نظري كانت لا تستهدف التحطـيم والتخريب بقدر ما تستهدف النقـد الـذاتي بمواجهـة العاهات العربية وما أكثرها.



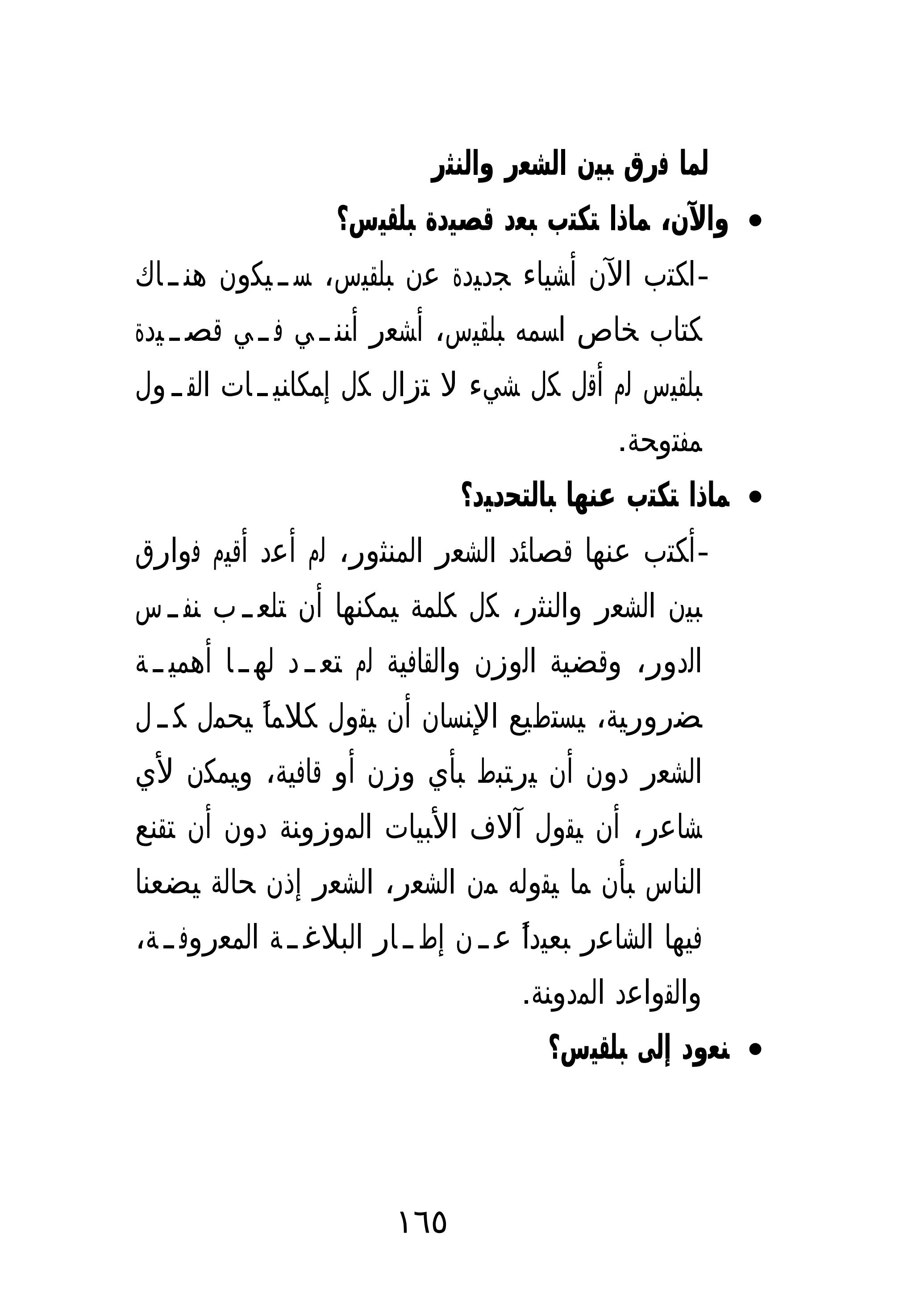
لسان الأمة

- **ألم تشعر بأي ندم بعد قصيدة بلقيس؟**

-صدقني لم أشعر بذلك الندم أبدا، لأن التفاف الشعب العربي، بملايينه المائة والخمسين، حول القصيدة، بهذا الشكل الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ الشعر العربي، هو دليل على أن القصيدة كانت مكتوبة بلسان الأمة العربية لا بلساني، لقد استطعت في هذه القصيدة، أن أبكي بلسان من لا يستطيعون البكاء وأصرخ بلسان من لا يستطيعون الصراخ.

القصيدة، باختصار هي ثأر الشعب العربي، من خلفائه غير الراشدين، قد أكون قد قسوت أكثر من اللازم، على التاريخ العربي ولكن هذه القسوة تنبع من حبي للشعب العربي، ومن رغبتي في النظر إلى الأشياء بصورة واقعية دون أي شعور بالدونية أو بالتفوق، وأعتقد أننا بحاجة إلى أن ننظر إلى تاريخنا نظرة علمية وواقعية بعيدة عن الأحلام والحالمين وشطحات الحشاشين.

لا بد من قراءة التاريخ العربي قراءة متأنية وبدون مبالغات كما فعلت في قصائد الثلاث.



لما فرق بين الشعر والنثر

- **والآن، ماذا تكتب بعد قصيدة بلقيس؟**

-اكتب الآن أشياء جديدة عن بلقيس، سـيكون هنـاك كتاب خاص اسمه بلقيس، أشعر أننـي فـي قصـيدة بلقيس لم أقل كل شيء لا تزال كل إمكانيـات القـول مفتوحة.

- **ماذا تكتب عنها بالتحديد؟**

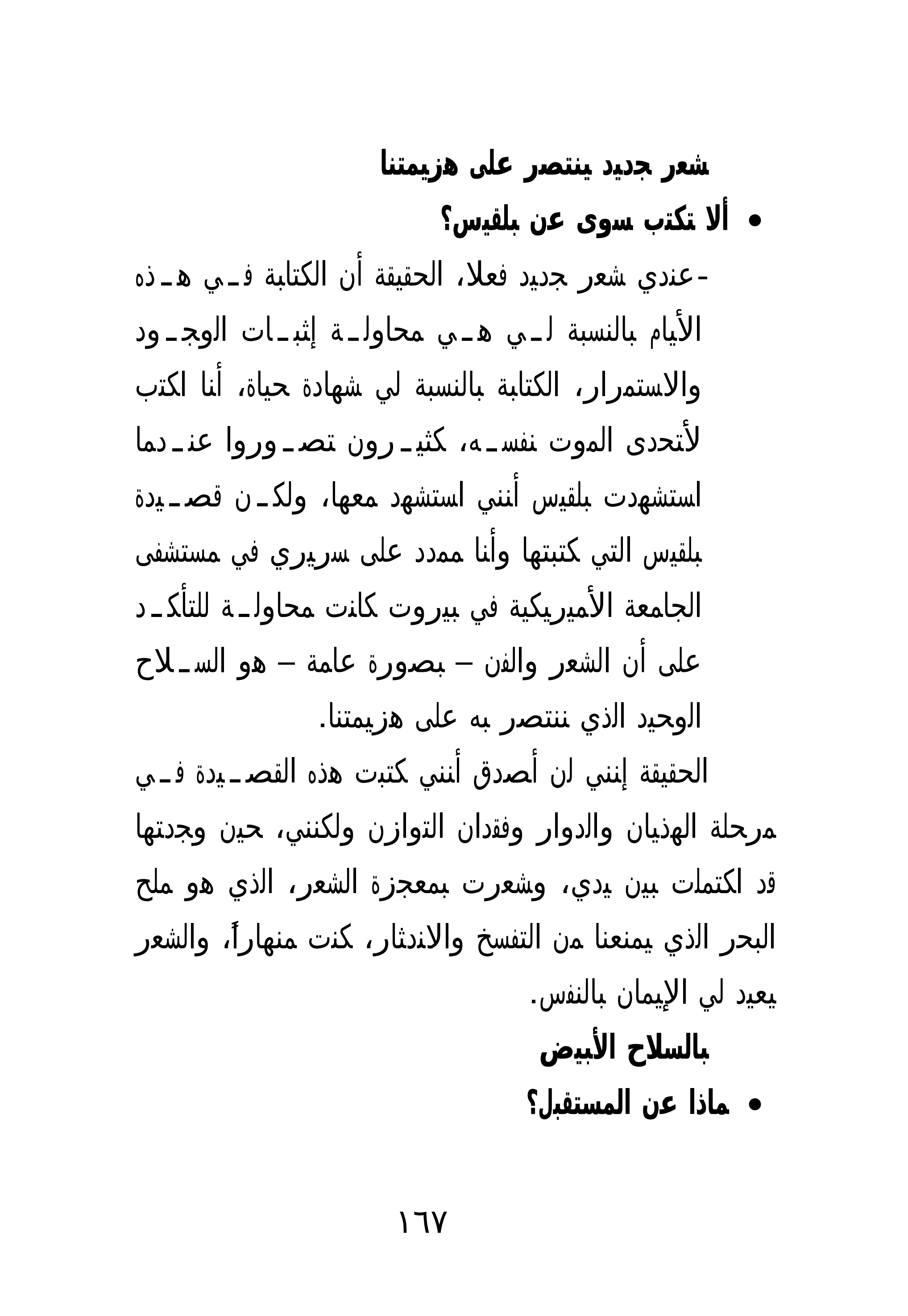
-أكتب عنها قصائد الشعر المنثور، لم أعد أقيم فوارق بين الشعر والنثر، كل كلمة يمكنها أن تلعـب نفـس الدور، وقضية الوزن والقافية لم تعـد لهـا أهميـة ضرورية، يستطيع الإنسان أن يقول كلاماً يحمل كـل الشعر دون أن يرتبط بأي وزن أو قافية، ويمكن لأي شاعر، أن يقول آلاف الأبيات الموزونة دون أن تقنع الناس بأن ما يقوله من الشعر، الشعر إذن حالة يضعنا فيها الشاعر بعيداً عـن إطـار البلاغـة المعروفـة، والقواعد المدونة.

- **نعود إلى بلقيس؟**

-هناك أشياء كتبتها عن العلاقة الحميمة التي لا يعرفها الناس بيني وبين بلقيس، كانت بلقيس امرأة اســتثنائية ولأنها كذلك لابد وأن يكون الكتاب الــذي سيصــدر عنها استثنائيا مثلها، طبعا من النادر أن تتحول امرأة إلى مصدر من مصادر الشعر، قبــل موتهــا وبعــد موتها، لكن بلقيس كانت مختلفــة. حضــورها معــي خلال ١٢ سنة كان حضوراً شعرياً بكل معنى الكلمة.

أما استشهادها فقد حولها إلى قضية كبــرى لا علــى الصعيد الأدبي ولكن على الصعيد السياســي، لقــد تحولــت بلقيس بعد استشهادها إلى زعيمة كبيرة للمعارضة، لم تستطع أي سلطة في العالم العربي أن تقف في وجهها.

في قصيدة بلقيس خرج الحزن من إطاره الخصوصي ليصبح حزناً يمتد من الخليج إلى المحيط، وليصــبح ثــورة بحجم العالم العربي، والحقيقة إن قصيدة بلقيس لم تكن قصيدة رثاء فكل المراثي العربية في الشعر العربي تضرب علــى وتر التفجيع والبكاء والاستبكاء وإنما كانت إعلانــاً سياســياً مستقراً للغضب، ينقله الشعب العربي من يد إلــى يــد كمــا يتناقل كرة من النار.



شعر جديد ينتصر على هزيمتنا

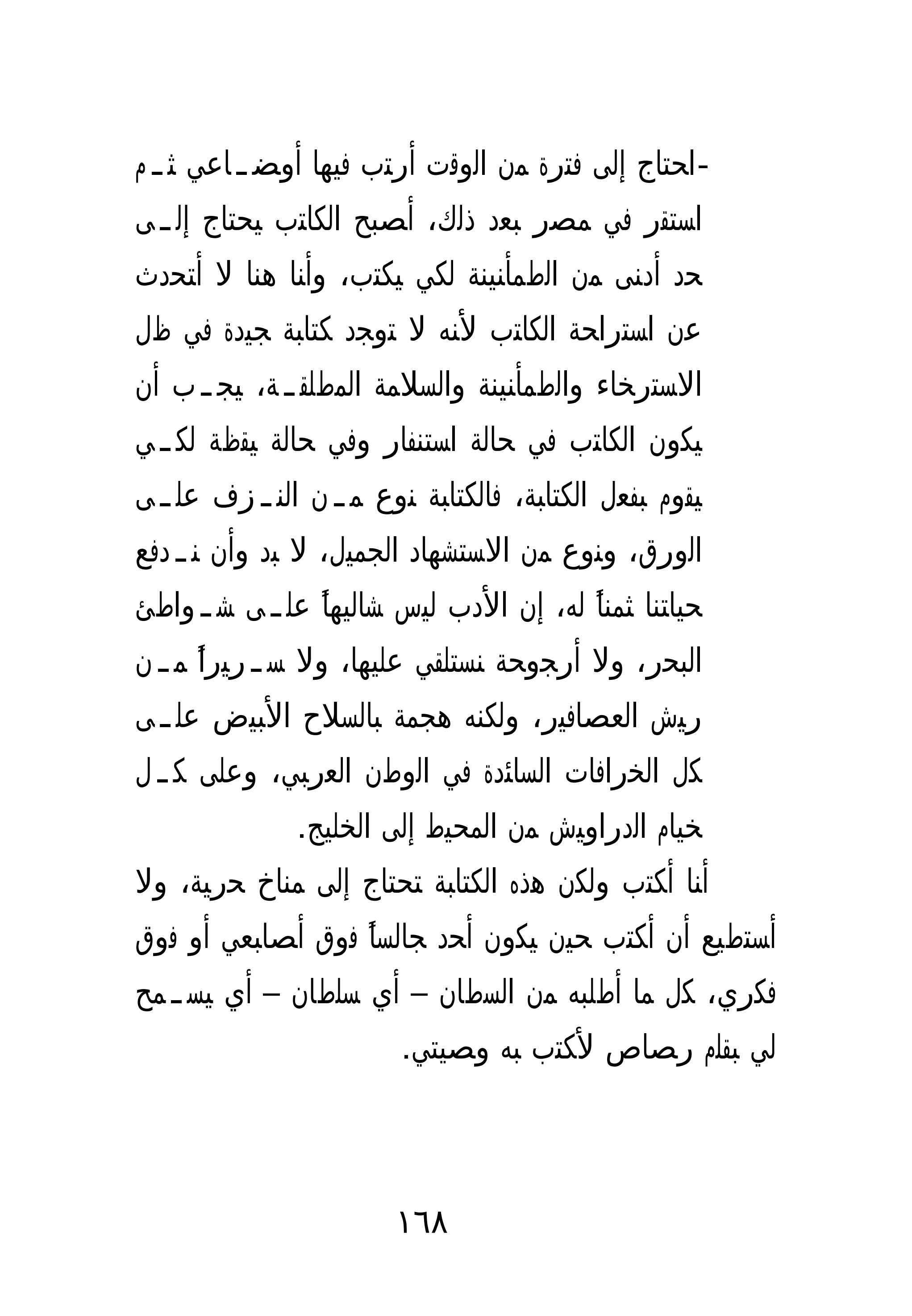
- **ألا تكتب سوى عن بلقيس؟**

-عندي شعر جديد فعلا، الحقيقة أن الكتابة في هذه الأيام بالنسبة لي هي محاولة إثبات الوجود والاستمرار، الكتابة بالنسبة لي شهادة حياة، أنا اكتب لأتحدى الموت نفسه، كثيرون تصوروا عندما استشهدت بلقيس أنني استشهد معها، ولكن قصيدة بلقيس التي كتبتها وأنا ممدد على سريري في مستشفى الجامعة الأميريكية في بيروت كانت محاولة للتأكد على أن الشعر والفن – بصورة عامة – هو السلاح الوحيد الذي ننتصر به على هزيمتنا.

الحقيقة إنني لن أصدق أنني كتبت هذه القصيدة في مرحلة الهذيان والدوار وفقدان التوازن ولكنني، حين وجدتها قد اكتملت بين يدي، وشعرت بمعجزة الشعر، الذي هو ملح البحر الذي يمنعنا من التفسخ والاندثار، كنت منهاراً، والشعر يعيد لي الإيمان بالنفس.

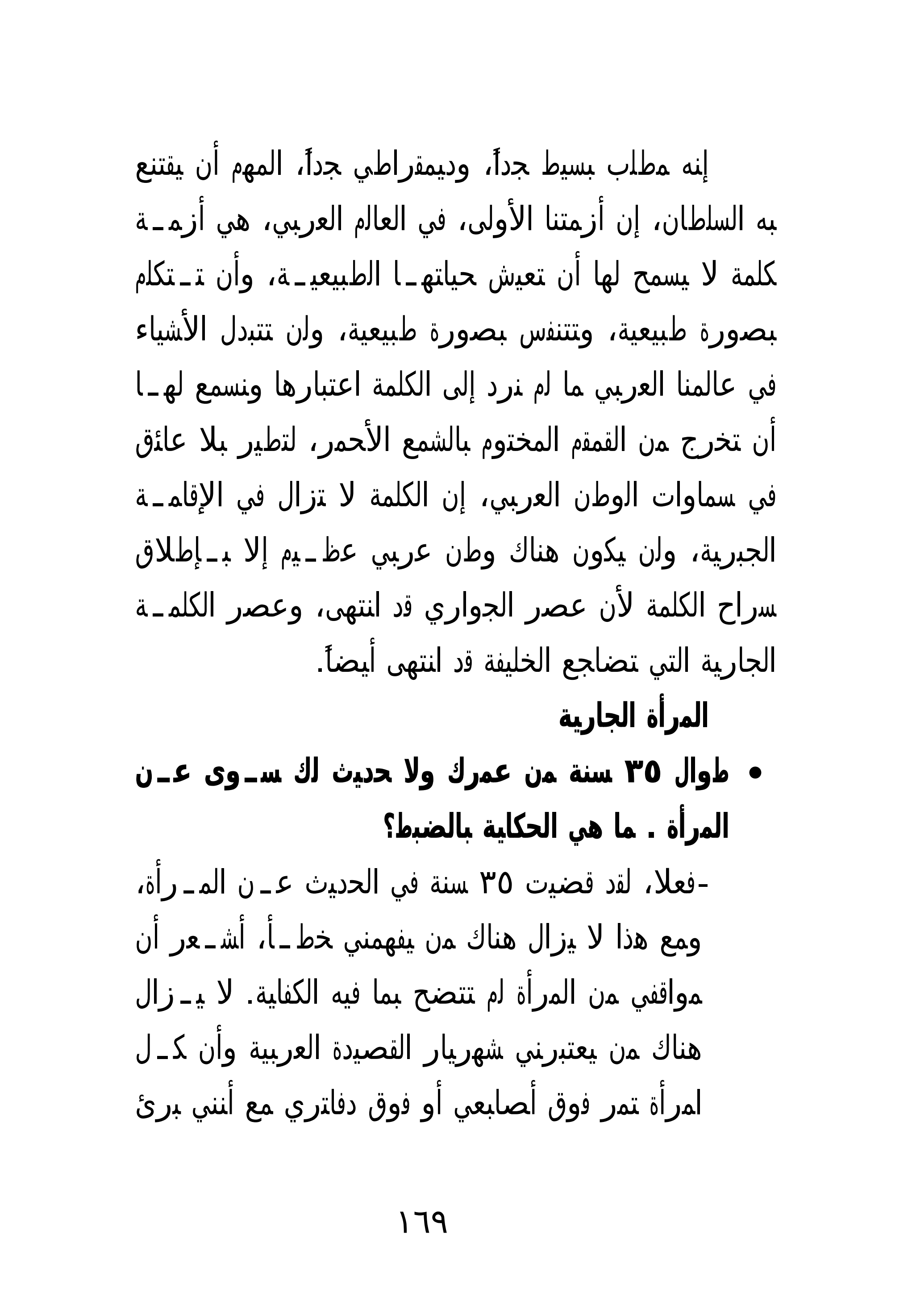
بالسلاح الأبيض

- **ماذا عن المستقبل؟**



-احتاج إلى فترة من الوقت أرتب فيها أوضـاعي ثـم استقر في مصر بعد ذلك، أصبح الكاتب يحتاج إلـى حد أدنى من الطمأنينة لكي يكتب، وأنا هنا لا أتحدث عن استراحة الكاتب لأنه لا توجد كتابة جيدة في ظل الاسترخاء والطمأنينة والسلامة المطلقـة، يجـب أن يكون الكاتب في حالة استنفار وفي حالة يقظة لكـي يقوم بفعل الكتابة، فالكتابة نوع مـن النـزف علـى الورق، ونوع من الاستشهاد الجميل، لا بد وأن نـدفع حياتنا ثمناً له، إن الأدب ليس شاليهاً علـى شـواطئ البحر، ولا أرجوحة نستلقي عليها، ولا سـريراً مـن ريش العصافير، ولكنه هجمة بالسلاح الأبيض علـى كل الخرافات السائدة في الوطن العربي، وعلى كـل خيام الدراويش من المحيط إلى الخليج.

أنا أكتب ولكن هذه الكتابة تحتاج إلى مناخ حرية، ولا أستطيع أن أكتب حين يكون أحد جالساً فوق أصابعي أو فوق فكري، كل ما أطلبه من السطان – أي سلطان – أي يسـمح لي بقلم رصاص لأكتب به وصيتي.



إنه مطلب بسيط جداً، وديمقراطي جداً، المهم أن يقتنع به السلطان، إن أزمتنا الأولى، في العالم العربي، هي أزمة كلمة لا يسمح لها أن تعيش حياتها الطبيعية، وأن تتكلم بصورة طبيعية، وتتنفس بصورة طبيعية، ولن تتبدل الأشياء في عالمنا العربي ما لم نرد إلى الكلمة اعتبارها ونسمع لها أن تخرج من القمقم المختوم بالشمع الأحمر، لتطير بلا عائق في سماوات الوطن العربي، إن الكلمة لا تزال في الإقامة الجبرية، ولن يكون هناك وطن عربي عظيم إلا بإطلاق سراح الكلمة لأن عصر الجواري قد انتهى، وعصر الكلمة الجارية التي تضاجع الخليفة قد انتهى أيضاً.

المرأة الجارية

- **طوال ٣٥ سنة من عمرك ولا حديث لك سوى عن المرأة . ما هي الحكاية بالضبط؟**

-فعلا، لقد قضيت ٣٥ سنة في الحديث عن المرأة، ومع هذا لا يزال هناك من يفهمني خطأ، أشعر أن مواقفي من المرأة لم تتضح بما فيه الكفاية. لا يزال هناك من يعتبرني شهريار القصيدة العربية وأن كل امرأة تمر فوق أصابعي أو فوق دفاتري مع أنني برئ

من دم النساء، ولم أكن في يوم مـن الأيـام جـامع فراشات، إنني أتعامل مع المرأة كقضية، أما المـرأة الدمية والمرأة الجارية، فقد قطعت صلتي بهـا منـذ زمان طويل، ومن أجل هذا رأيت أن أجمع كـل مـا كتبته عن المرأة، وعلاقتي بها ومواقفي منها، خـلال الثلاثين سنة الماضية في كتاب، هذا الكتـاب صـدر مؤخرا. وأنا أفعل هذا من أجل تصحيح الصورة، التي رسمها النقاد عني، مع أنها لا تشبهني أبداً.

عبد الوهاب البياتي يتحدث

- مشكلتي هي وقت الفراغ، التفكك هو سـمة الشخصية العربية.
- الكتاب العربي أسير الأسلاك الشائكة.
- المجلات الأدبية ميتة.
- السينما العربية متخلفة.

في مبنى وزارة الإعلام – الذي يطـل علـى سـاحة التحرير- حيث يوجد نصب الحرية للفنان العراقي العظـيم جواد سليم، شاهدت عبد الوهاب البياتي جالسا إلـى مكتـب بالدور الرابع، على العينين نظارة طبية وأمامه نسـخة مـن آخر دواوينه - «قمر شيراز» لم أصدق عيني، هذا الفنـان كثير السفر والترحال في بغداد!! ويجلس على مكتـب مثـل سائر خلق ا ! هل هذا معقول؟ قبل أن أقول لـه تسـاؤلاتي هذه، بانت دهشة على وجهي يبدو أنه قرأها، فبعـد السـلام والأحضان، قال لي موضحا، حتى دون سؤاله:

وفي نهاية سنة ١٩٧١ تركت مصر وحضـرت إلـى العراق، خلال هذه الفترة سافرت كثيرا إلى الخارج. مرة إلى الاتحاد السوفيتي كان هناك أسبوع ثقافي عراقـي، وأخـرى إلى تونس لحضور مؤتمر الأدباء وبدعوات شخصـية زرت يوغوسلافيا ورومانيا وليبيا ومررت فـي أحـدى شخصـية زرت يوغوسلافيا ورومانيا وليبيا ومررت في إحـدى هـذه السفريات بالعزيزة مصر، حيث كحلت العين برؤيا القاهرة.

كدت أن أسأله عن آخر أخباره وأحواله وما فعلته بـه الدنيا على الطريقة المصرية ولكني عدلت عن هذا، سـألته عن قراءته وكتاباته.

-في القراءة، آخر ما قرأت كتـاب الـدكتور ثـروت عكاشة «حضارة سومر وبابل وآشوره» وهو مجلـد ضخم وفيه بجانب المعلومـات القديمـة عـن هـذه الحضارات، صور مهمة جدا لكثير من الأعمال الفنية من الرسوم والتصاوير والأدوات التي كانت تسـتخدم في هذه الفترات، وأعتقد أن هذه هي أول مرة تضـم فيها المكتبة العربية مثل هذا السفر الضـخم العظـيم

وبجانب هذا الكتاب أقرأ ديوان الشعر للشاعر الفارسي سعدي شيرازي.

- **والكتابة؟.**

-صدر لي ديوان جديد من بغداد بين يدي الآن النسخة الأولى عنوانه «قمر شيراز» وهو يضم القصائد التي كتبت بعد عودتي من القاهرة مباشرة بعنوان كتاب البحر وكان من المفروض أن يصدر من بيروت وأتمنى أن يصدر في القريب العاجل.

عن اللقاء

اتفقنا على اللقاء، حضر إلى في فندق بغداد الواقع بشارع السعدون، وقت الغروب كان حضوره، وبغداد كلها تغطيها تلك الطبقة اللينة من ضباب المساء والتي تجعل المدينة وكأنها تنام خلف ستارة من المنى والأحلام الجميلة، بعد أن انتهى الحديث خرجت معه، كان الليل قد أتى وبدت لي الكلمات التي قلناها كضربات وطرقات فوق ليل العرب الطويل ذلك الليل الذي لا بد وأن ينتهي إن عاجلاً أو آجلاً بل أن نهايته أصبحت في ظل الظروف الحاضرة هي الممكن الوحيد.

- **سؤالي الأول له كان عن النقد وحكايته معـه، بمعنـى آخر هل أوفته الحركة النقدية حقه كشاعر؟**

قال البياتي:

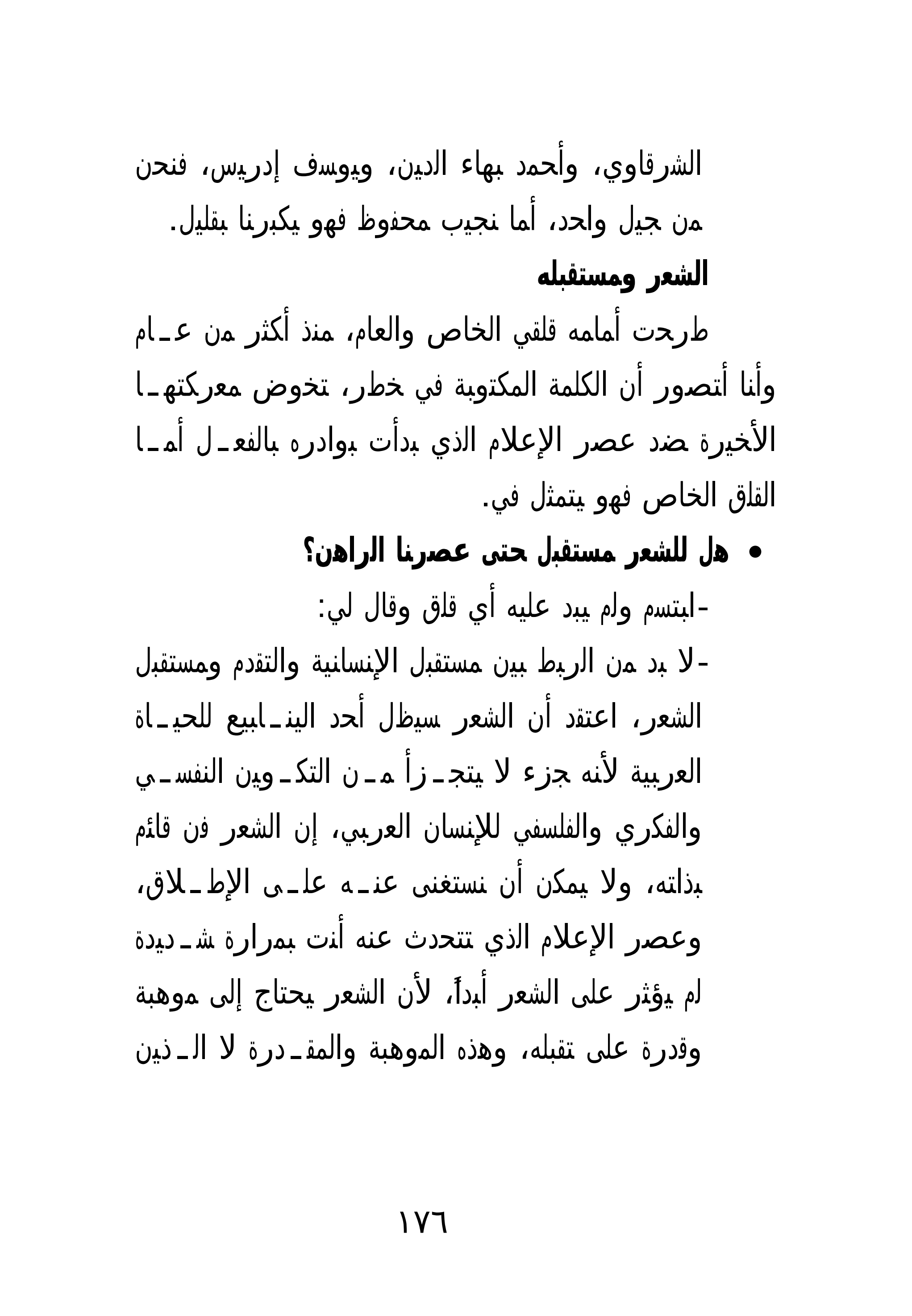
-هناك الكثير من الدراسات، أبـدأ بدراسـة الـدكتور إحسان عباس عبد الوهاب البياتي والشـعر العراقـي الحديث والتي صدرت في سنة ١٩٥٤ وهي تعد مـن أهم وأنضج الدراسات المبكرة والتي كتبت عن الشعر العربي الحديث، من الدراسات الأخـرى، «المنفـى والملكوت» لشوقي خميس «الرحيل إلى مدن الحلـم» لصبري حافظ «الرؤيا الإبداعية في شـعر البيـاتي» لعبد العزيز شرف. «الأسطورة في شـعر البيـاتي» للناقد العراقي طراد الكبيسي والذي صدر عن وزارة الثقافة في سوريا، وهنـاك الكثيـر مـن الدراسـات المطولة الأخرى ولكنها لم تنشر حتى الآن.

- **قلت للبياتي:**

كل جيل أدبي يتنفس جوا ثقافياً عاماً، يشكل وجهـه الأدبي، طلبت منه أن يرسم لي لوحة هذا التيـار والمنـاخ

الثقافي العام الذي تشكلت موهبته في ظله، حيث عثر على منابعه الأولى.

-لأتحدث عن المنابع والجذور هنـا أولا. أنـا مـدان لجانب كبير من التراث العربي الكلاسيكي والحـديث وآداب الشرق الأوسط، خاصة شعر طاغور وجـلال الدين الرومي، وحافظ وسعدي شيرازي، وجلال الدين العطار بجانب التراث المعاصر للشـعراء الثـوريين الكبار في العالم، أمثال: نـاظم حكمـت، ومـا يـا كوفسكي، والوار، وأرجوان، ولوركا، وبابلو نيزودا، أعود إلى الثقافة العربية، أنا مدان للثقافة العربية فـي مصر على وجه الخصوص، أول ما فتحـت عينـي قرأت مؤلفات طه حسين، وعبـد القـادر المـازني، وتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ، ثم النتاج العربي في سوريا ولبنان، لقد استقيت من الينابيع العربية الحديثة، ولهذا بدأت بالمساهمة في هذه المنابر في وقت مبكر أيضا، حيث أنني منـذ ١٩٤٨ بـدأت بالكتابـة فـي المجلات المصرية والسورية واللبنانية، وكان أغلـب أبناء جيلي مثلى تلاميذ في الجامعة، عبـد الـرحمن


الشرقاوي، وأحمد بهاء الدين، ويوسف إدريس، فنحن من جيل واحد، أما نجيب محفوظ فهو يكبرنا بقليل.

الشعر ومستقبله

طرحت أمامه قلقي الخاص والعام، منذ أكثر من عـام وأنا أتصور أن الكلمة المكتوبة في خطر، تخوض معركتهـا الأخيرة ضد عصر الإعلام الذي بدأت بوادره بالفعـل أمـا القلق الخاص فهو يتمثل في.

- **هل للشعر مستقبل حتى عصرنا الراهن؟**

-ابتسم ولم يبد عليه أي قلق وقال لي:

-لا بد من الربط بين مستقبل الإنسانية والتقدم ومستقبل الشعر، اعتقد أن الشعر سيظل أحد الينـابيع للحيـاة العربية لأنه جزء لا يتجـزأ مـن التكـوين النفسـي والفكري والفلسفي للإنسان العربي، إن الشعر فن قائم بذاته، ولا يمكن أن نستغنى عنـه علـى الإطـلاق، وعصر الإعلام الذي تتحدث عنه أنت بمرارة شـديدة لم يؤثر على الشعر أبداً، لأن الشعر يحتاج إلى موهبة وقدرة على تقبله، وهذه الموهبة والمقـدرة لا الـذين

يمتلكون قول الشعر وموهبة تذوقه وتقبله هم قلة وهذا القلة موجودة في كل العصور.

وتجربة العراق

*** سألته عن رأيه في التجربة السياسية والاجتماعية في العراق الآن[١]**

- قال:

- لا أعتقد أن هناك مخاطر داخلية على هذه التجربـة العظيمة لأن شعب العراق حول هذه التجربة وهـي ليسـت تجربة شعب العراق بقدر ما هي تجربة كل الشعب العربي.

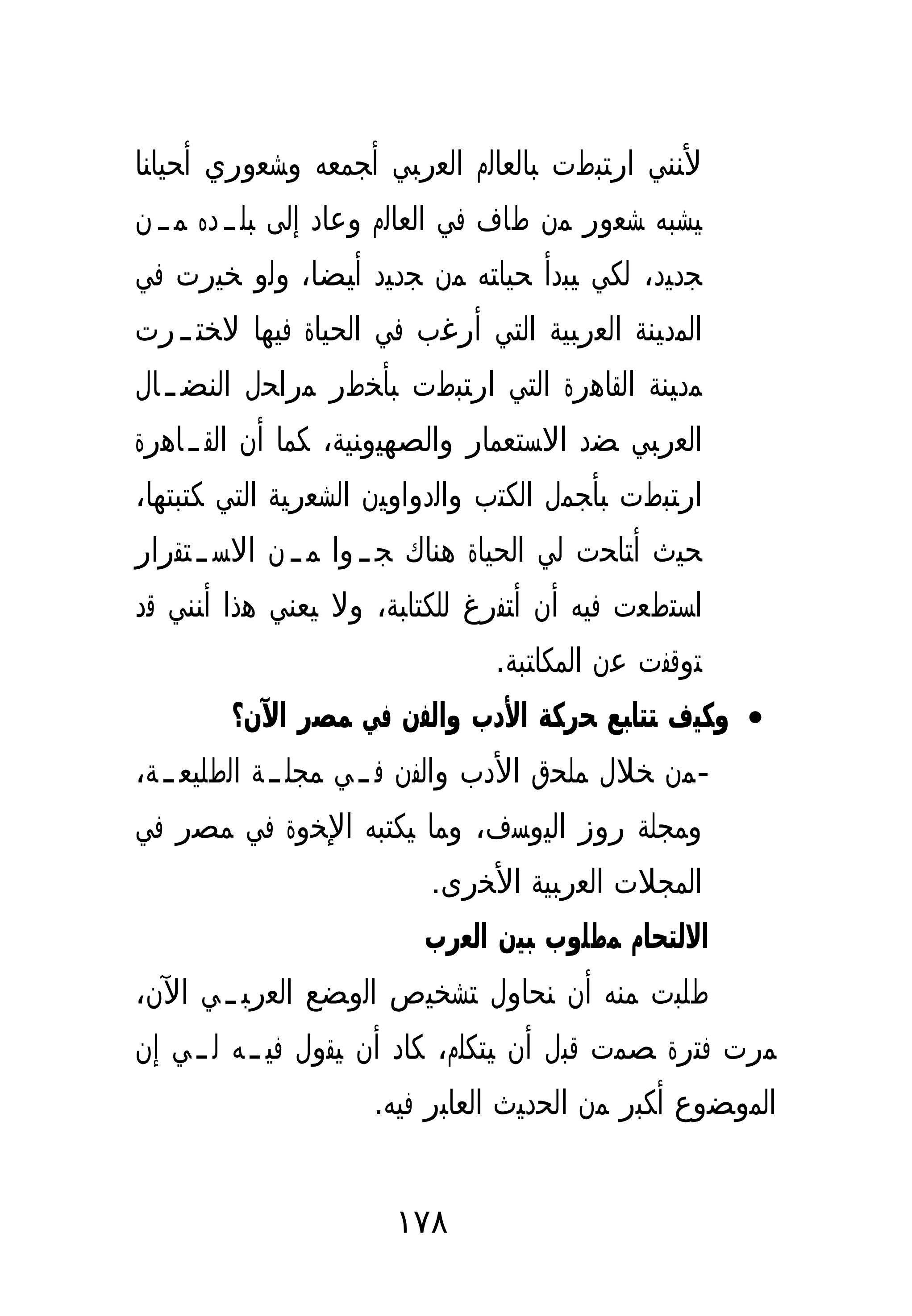
ولكن هناك أخطاراً خارجية وهذه المخاطر لا تستهدف العراق وحده وإنما تستهدف الوطن العربي، وكل دول العالم النامي، إن القوى الرجعية ما زالت تترصد لكـل التجـارب التقدمية في العالم، وهي تبحث عن الفرص لكي تضرب هذه التجارب.

- **ما هو شعورك عندما عدت إلى بغداد؟**

-شعوري أن هذا هو وطني، أخيرا شعرت أنني فـي بلادي وبين أهلي ولكن وجودي في بغداد فقط يقلقنـي

---

[١] جرى هذا الحديث في مارس سنة ١٩٩٧.


لأنني ارتبطت بالعالم العربي أجمعه وشعوري أحيانا يشبه شعور من طاف في العالم وعاد إلى بلـده مـن جديد، لكي يبدأ حياته من جديد أيضا، ولو خيرت في المدينة العربية التي أرغب في الحياة فيها لاختـرت مدينة القاهرة التي ارتبطت بأخطر مراحل النضـال العربي ضد الاستعمار والصهيونية، كما أن القـاهرة ارتبطت بأجمل الكتب والدواوين الشعرية التي كتبتها، حيث أتاحت لي الحياة هناك جـوا مـن الاسـتقرار استطعت فيه أن أتفرغ للكتابة، ولا يعني هذا أنني قد توقفت عن المكاتبة.

- **وكيف تتابع حركة الأدب والفن في مصر الآن؟**

-من خلال ملحق الأدب والفن فـي مجلـة الطليعـة، ومجلة روز اليوسف، وما يكتبه الإخوة في مصر في المجلات العربية الأخرى.

الالتحام مطلوب بين العرب

طلبت منه أن نحاول تشخيص الوضع العربـي الآن، مرت فترة صمت قبل أن يتكلم، كاد أن يقول فيـه لـي إن الموضوع أكبر من الحديث العابر فيه.

قال:

-إن ما أشعر به هو أن النضال العربي نضال قطري والمفروض أن يتم هذا النضال على المستوى القومي، الالتحام مطلوب بين العرب ، حتى الموارد لا بد وأن تصب كل أجزاء الوطن العربي في مصـب واحـد، ويجب أن نتعامل مع الوطن العربي على أنـه جسـد واحد.

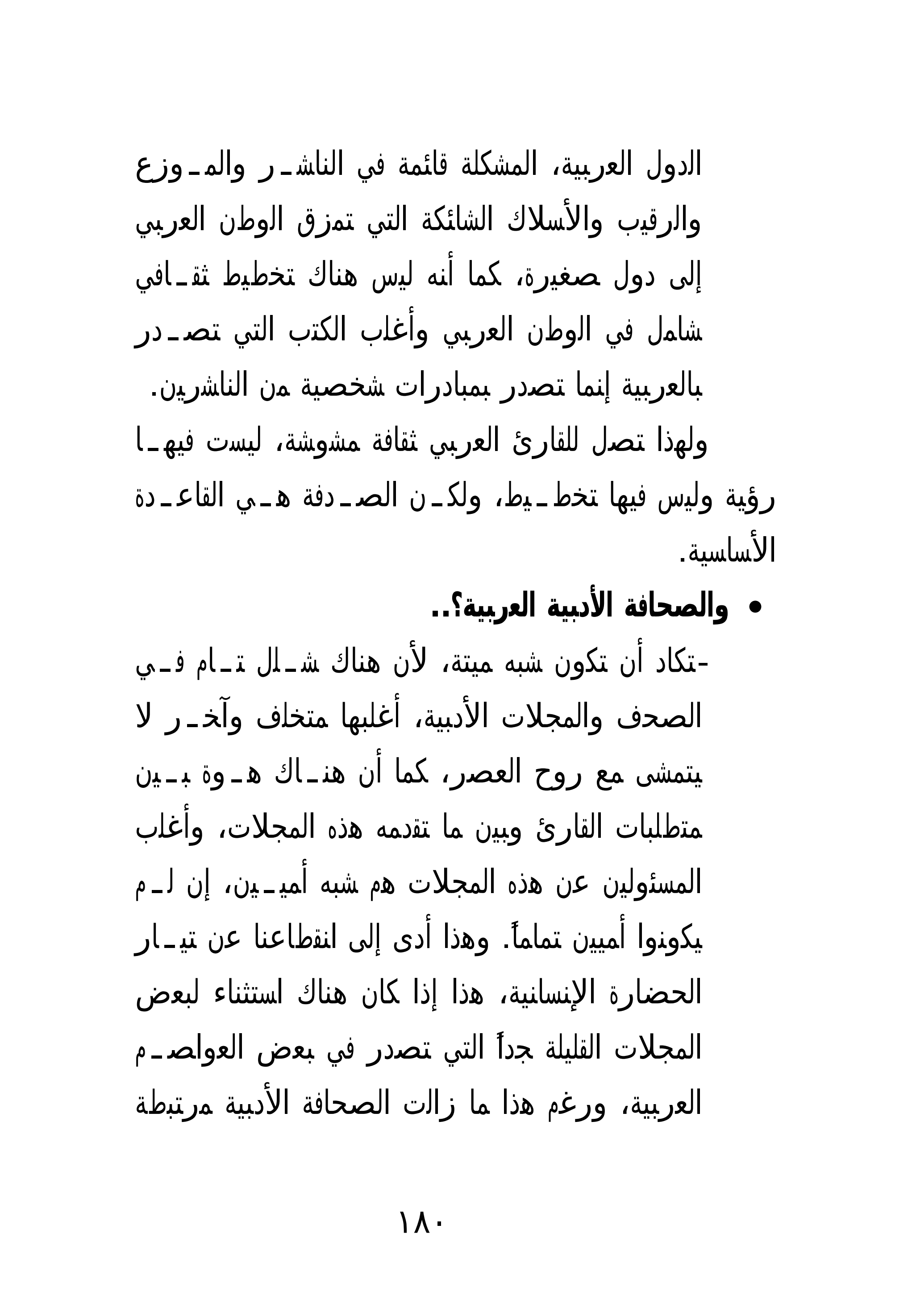
- **والشخصية العربية؟**

-التفكك هو أهم مظاهر واقع العرب، لا يوجـد عنـد الشخصية العربية الشعور بوحدة المصـير، القطيعـة والعزلة بين أبناء الوطن الواحد مـن أهـم ملامـح شخصية العربي.

ويكفي أن أقول لك عن المصاعب والمتاعـب التـي يلاقيها العربي في الانتقال من دولة عربية إلى أخرى وهـذا مجرد مثال بسيط.

- **والكتاب العربي؟..**

-أليست مأساة عدم توزيعه في كل الـدول العربيـة!! هناك ضرائب ورسوم جمركية، ثم الرقابة القائمة في

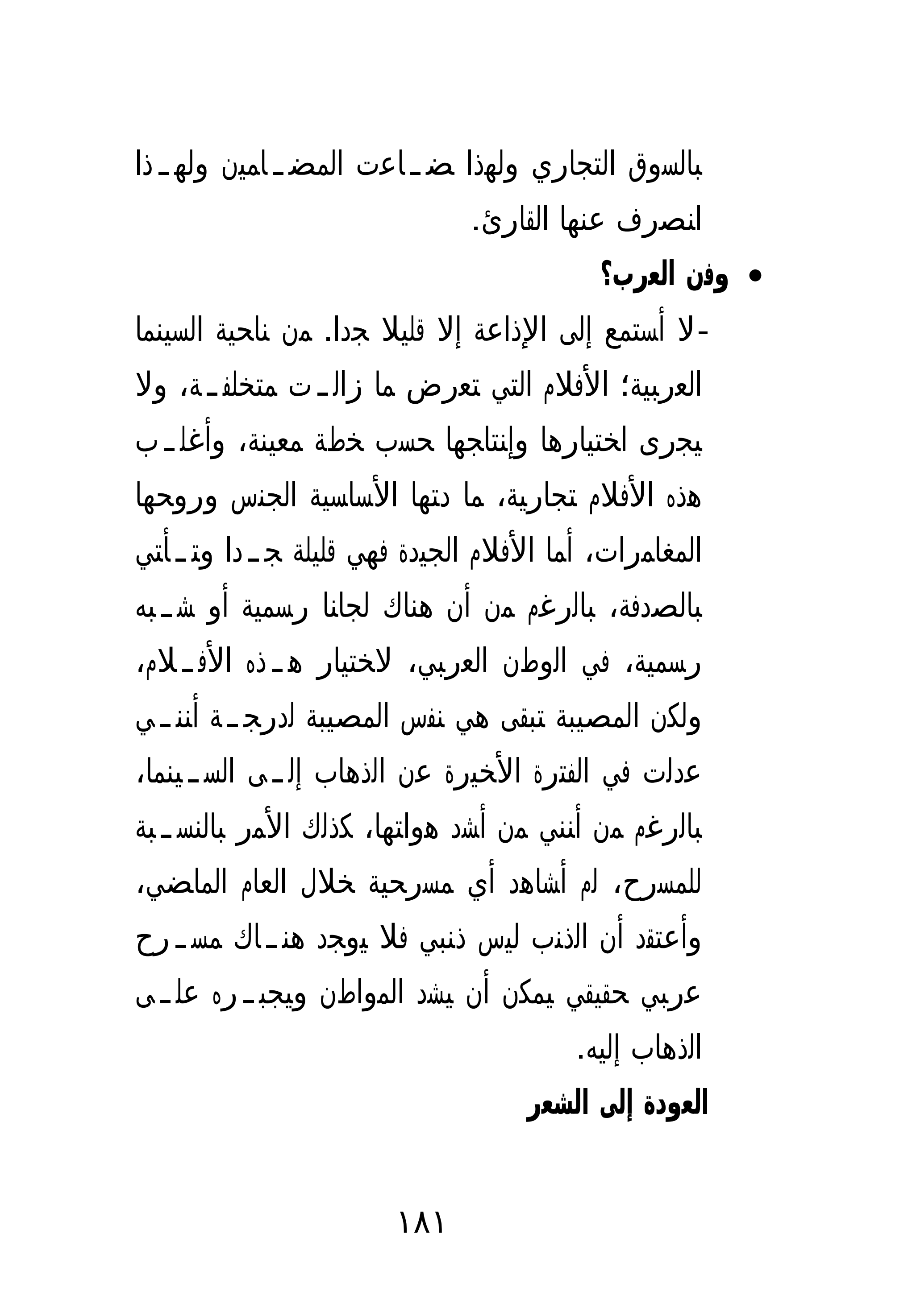


الدول العربية، المشكلة قائمة في الناشـر والمـوزع والرقيب والأسلاك الشائكة التي تمزق الوطن العربي إلى دول صغيرة، كما أنه ليس هناك تخطيط ثقـافي شامل في الوطن العربي وأغلب الكتب التي تصـدر بالعربية إنما تصدر بمبادرات شخصية من الناشرين.

ولهذا تصل للقارئ العربي ثقافة مشوشة، ليست فيهـا رؤية وليس فيها تخطـيط، ولكـن الصـدفة هـي القاعـدة الأساسية.

- **والصحافة الأدبية العربية؟..**

-تكاد أن تكون شبه ميتة، لأن هناك شـلل تـام فـي الصحف والمجلات الأدبية، أغلبها متخلف وآخـر لا يتمشى مع روح العصر، كما أن هنـاك هـوة بـين متطلبات القارئ وبين ما تقدمه هذه المجلات، وأغلب المسئولين عن هذه المجلات هم شبه أميـين، إن لـم يكونوا أميين تماماً. وهذا أدى إلى انقطاعنا عن تيـار الحضارة الإنسانية، هذا إذا كان هناك استثناء لبعض المجلات القليلة جداً التي تصدر في بعض العواصـم العربية، ورغم هذا ما زالت الصحافة الأدبية مرتبطة

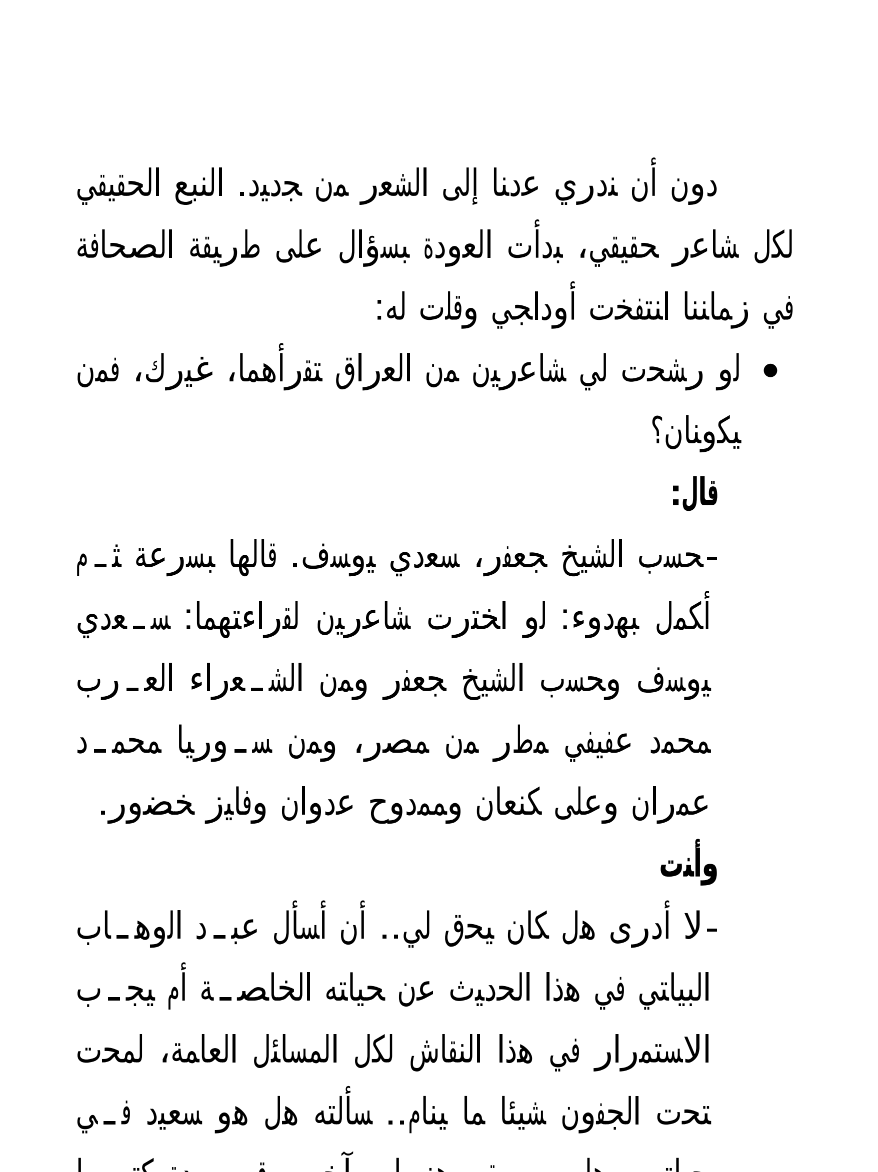


بالسوق التجاري ولهذا ضـاعت المضـامين ولهـذا انصرف عنها القارئ.

- **وفن العرب؟**

-لا أستمع إلى الإذاعة إلا قليلا جدا. من ناحية السينما العربية؛ الأفلام التي تعرض ما زالـت متخلفـة، ولا يجرى اختيارها وإنتاجها حسب خطة معينة، وأغلـب هذه الأفلام تجارية، ما دتها الأساسية الجنس وروحها المغامرات، أما الأفلام الجيدة فهي قليلة جـدا وتـأتي بالصدفة، بالرغم من أن هناك لجانا رسمية أو شـبه رسمية، في الوطن العربي، لاختيار هـذه الأفـلام، ولكن المصيبة تبقى هي نفس المصيبة لدرجـة أننـي عدلت في الفترة الأخيرة عن الذهاب إلـى السـينما، بالرغم من أنني من أشد هواتها، كذلك الأمر بالنسـبة للمسرح، لم أشاهد أي مسرحية خلال العام الماضي، وأعتقد أن الذنب ليس ذنبي فلا يوجد هنـاك مسـرح عربي حقيقي يمكن أن يشد المواطن ويجبـره علـى الذهاب إليه.

العودة إلى الشعر



دون أن ندري عدنا إلى الشعر من جديد. النبع الحقيقي لكل شاعر حقيقي، بدأت العودة بسؤال على طريقة الصحافة في زماننا انتفخت أوداجي وقلت له:

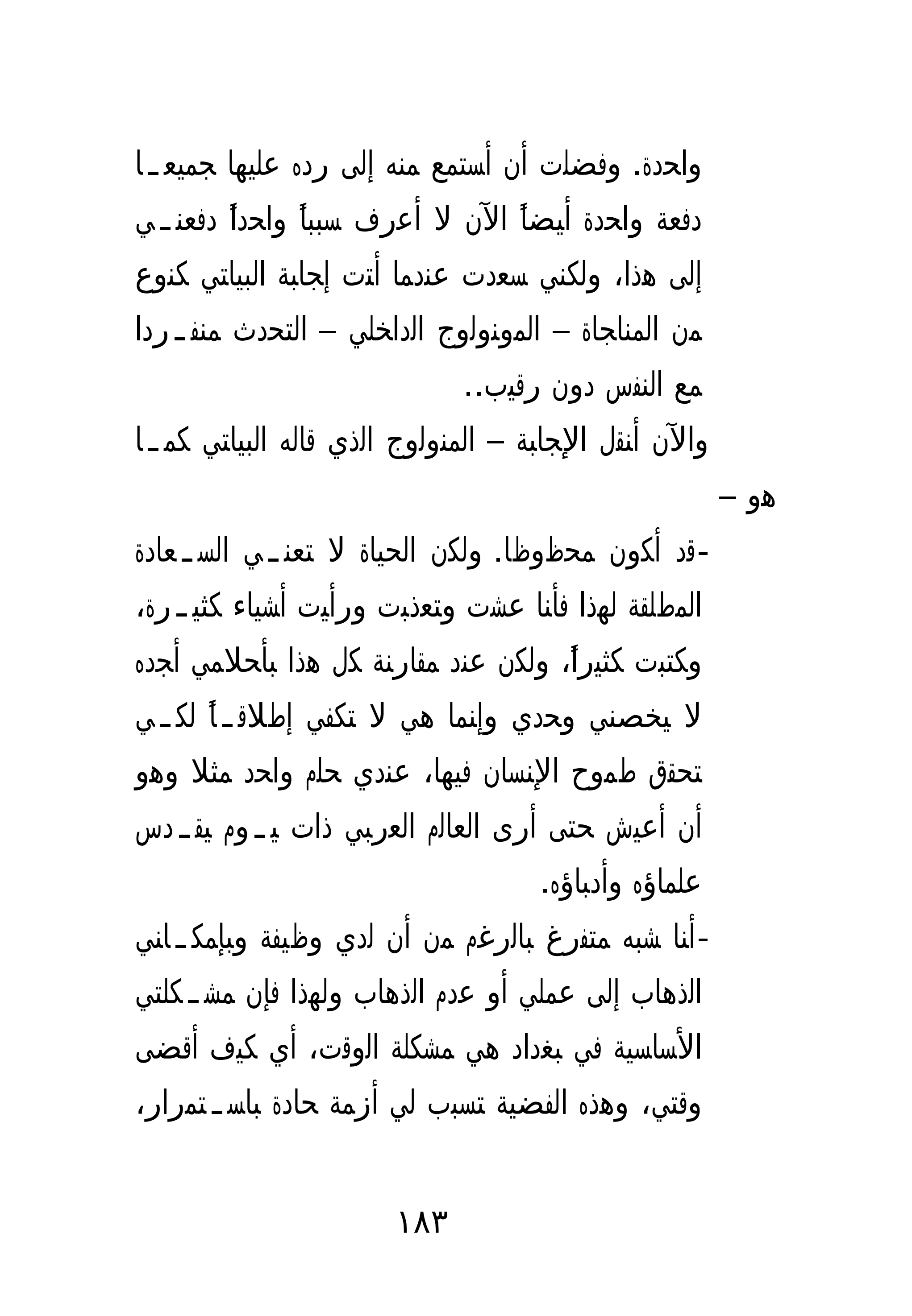
- لو رشحت لي شاعرين من العراق تقرأهما، غيرك، فمن يكونان؟

قال:

-حسب الشيخ جعفر، سعدي يوسف. قالها بسرعة ثم أكمل بهدوء: لو اخترت شاعرين لقراءتهما: سعدي يوسف وحسب الشيخ جعفر ومن الشعراء العرب محمد عفيفي مطر من مصر، ومن سوريا محمد عمران وعلى كنعان وممدوح عدوان وفايز خضور.

وأنت

-لا أدرى هل كان يحق لي.. أن أسأل عبد الوهاب البياتي في هذا الحديث عن حياته الخاصة أم يجب الاستمرار في هذا النقاش لكل المسائل العامة، لمحت تحت الجفون شيئا ما ينام.. سألته هل هو سعيد في حياته، وهل سيبقى هنا، وآخر قصيدة كتبها ومشروعات المستقبل، قلت كل هذه الأسئلة مرة



واحدة. وفضلت أن أستمع منه إلى رده عليها جميعـا دفعة واحدة أيضاً الآن لا أعرف سبباً واحداً دفعنـي إلى هذا، ولكني سعدت عندما أتت إجابة البياتي كنوع من المناجاة – المونولوج الداخلي – التحدث منفـردا مع النفس دون رقيب..

والآن أنقل الإجابة – المنولوج الذي قاله البياتي كمـا هو –

-قد أكون محظوظا. ولكن الحياة لا تعنـي السـعادة المطلقة لهذا فأنا عشت وتعذبت ورأيت أشياء كثيـرة، وكتبت كثيراً، ولكن عند مقارنة كل هذا بأحلامي أجده لا يخصني وحدي وإنما هي لا تكفي إطلاقـاً لكـي تحقق طموح الإنسان فيها، عندي حلم واحد مثلا وهو أن أعيش حتى أرى العالم العربي ذات يـوم يقـدس علماؤه وأدباؤه.

-أنا شبه متفرغ بالرغم من أن لدي وظيفة وبإمكـاني الذهاب إلى عملي أو عدم الذهاب ولهذا فإن مشـكلتي الأساسية في بغداد هي مشكلة الوقت، أي كيف أقضى وقتي، وهذه القضية تسبب لي أزمة حادة باسـتمرار،

أعاني دائماً من أزمة الوقت الفائض الذي أعتبره في نفس الوقت زمناً ضائعاً.

-أخر قصيدة لي هي: (حب تحت المطـر) وعنـوان القصيدة عنوان رواية لنجيب محفوظ، وأنـا أعـرف هذا، ولكني لم أجد للقصيدة عنواناً سوى هذا وأشـكر نجيب لأنه سبقني إلى هذا العنوان، والقصيدة قصـة رجل وامرأة ضائعين، يلتقيان فـي لنـدن ويتحابـان ويسيران ليلة كاملة تحت المطـر وهمـا يتهامسـان ويتحاوران ثم يفترقان إلى الأبد.

لا يمكن الحديث عن المستقبل وحتى لو تحدثت أفضل أن يكون هذا الحديث عن المستقبل العام.

مستقبل الشعر وهو مرتبط بعملية التحول الاجتمـاعي والثقافي والسياسي، الحديث عن المستقبل يعني أن نتكلم عن التجديد في الشعر وهذا لا يتطلب سنة أو عشر سنوات، بـل قد يحتاج إلى قرن من الزمان، وهذه قضية يؤكدها التـاريخ الأدبي العربي، أو تاريخ الآداب العالمية لأن التجديد في هذه المرحلة أو تلك قد يستوعب كل حركة التجديد خلال الفتـرة الزمنية وهذه الحقيقة أكدها كثير من الشعراء.

اعترافات مبكرة

للدكتور عبد الرحمن منيف

دون أن أدري تحول هذا الحديث إلى اعترافات مبكرة جداً. ربما أتت قبل أوانها من جانب الدكتور عبد الرحمن منيف، ويجب على بدوري أن أرتفع إلى مستوى الصدق الذي قدم به اعترافاته أن أقدم كل هذا باعتراف صغير يحدد موقفي منه، والذي أتذكره الآن أنني قابلت روايتي الأولى عندما صدرت بقدر من الفتور، وعند قراءتها كانت قراءة تنطلق ممن موقف عدائي مسبق، أي أنني كنت أبحث عن عيوبها وعما يشوبها، ولهذه الحالة أسبابها التي لا تمت إلى صاحب الرواية بأي صلة، والذي أتذكره الآن بوضوح تام أن التوقيت العام لصدور هذه الرواية هو السبب في موقفي منها ومن صاحبها، فقد صدرت رواية «الأشجار واغتيال مرزوق» في فترة صدرت فيها – ربما بالصدفة وحدها – أكثر من رواية عربية في أكثر من قطر عربي مما دفعت بأكثر من ناقد أن يكتب مرددا هذا المعنى، لقد انتهى عصر الرواية في مصر، وانتقلت الرواية إلى الوطن العربي، والروائيون العرب قادمون على الطريق، وعلى الرغم من

إيماني العميق بقومية الوطن العربي الواحـد، وإيمـاني أن مجرد قول: الرواية المصرية، والرواية العراقية هو مجـرد فخ منصوب لنا لتحول الوطن العربي إلى مجموعة من الدول المختلفة، أقول على الرغم من كل هذا، إلا أنني أحسست بضيق شديد من هذه الدعوى، وبدأت تحت تأثير هذه الحالة النفسية في قراءة رواية «الأشجار واغتيال مـرزوق» من الصعب الآن تذكر الأثر الذي تركته القراءة الأولى في نفسي فكل الجزئيات تفر هاربة إلـى النسـيان ولا يبقـى سـوى الانطباع العام، وأشهد أنه كان حسنا لدرجة أن كل المواقف السابقة ذابت وضاعت تحت حرارة اللقاء مع هذا الروائـي الجيد وبعد فترة قرأت لـه روايتـه الثانيـة «قصـة حـب مجوسية» وسافرت إلى بغداد وهناك أعطاني نسخة وحيـدة من عمله الثالث «شرق المتوسط» وقراءته بلهفة وأدركـت أني أمام روائي بالمعنى العريض لهذه الكلمة. لا أعرف مـا يجب قوله في هذه اللحظة لكي أنقل للقارئ الانطباع الـذي تركه في عبد الرحمن منيف ولكني لا اعتقد أن كلمة روائي تكفي فالوطن العربي الآن ملئ بآلاف ممن يكتبون الروايـة ولا يستحق الكثيرون منهم كلمة: روائي، أثناء وجودى فـي

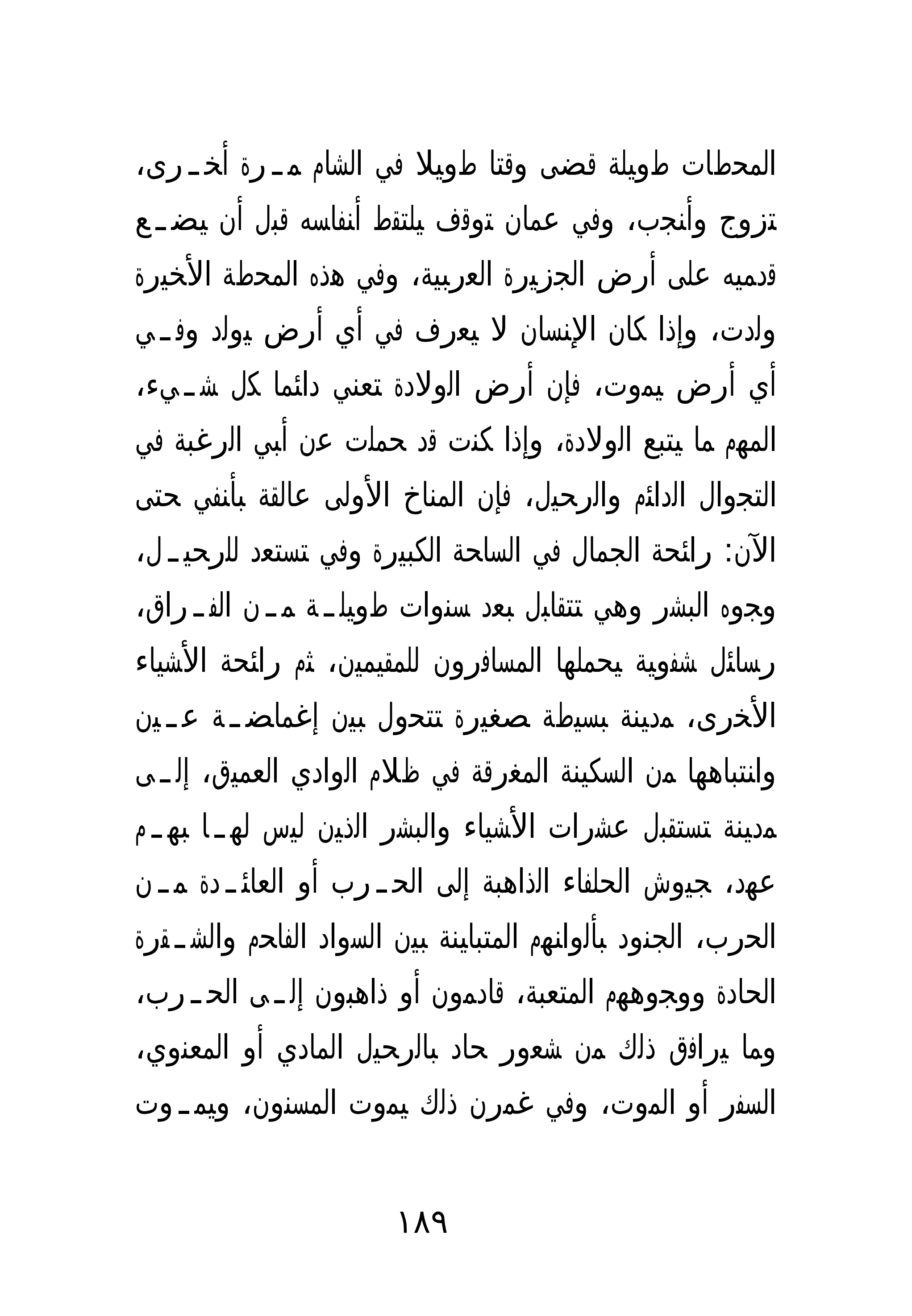
العراق قرأت له مقالا عن إحدى رواياتي «أيـام الجفـاف» أدركت منه أن الرجل قد مد جسوره إلـى الفـن الروائـي وأدرك أسراره الداخلية وخلال ثلاث لقاءات طويلة أذهلتنـي متابعته الدقيقة والرؤية لكل ما يمت إلى فن الرواية بصلة مع متابعة جيدة لإيقاع فنون العصر كله بشكل يثيـر الإعجـاب كان هذا هو اعترافي الصغير والآن إلـى اعترافـات عبـد الرحمن منيف الكبيرة والكثيرة.

الإنسان أولا

احترت أي الأسئلة أبدأ بها ولكن لفتت نظرى قضـية غريبة وهي موقفنا من شخصية الكاتب المبدع، نحن نتعامل فقط مع النص والعمل، وكأن مبدعه آلة في جهاز ضـخم لا يوجد فيه ما يميزه عن الآخرين، ذلك خطأ على طول الخط فشخصية المبدع، وظروفه الخاصة ورؤيته للعـالم وفهمـه الشخصي للأمور. كل هذا لا بد وأن يترك بصماته على مـا يقدمه الفنان في النهاية ولهذا بدأت بسؤال أساسي: قلت لـه: من أنت؟

ولأنه رجل حذر لم أعرف إن كان قد فوجئ بالسـؤال أم أنه كان يتوقعه وبدأ الإجابة، قال الدكتور منيف:

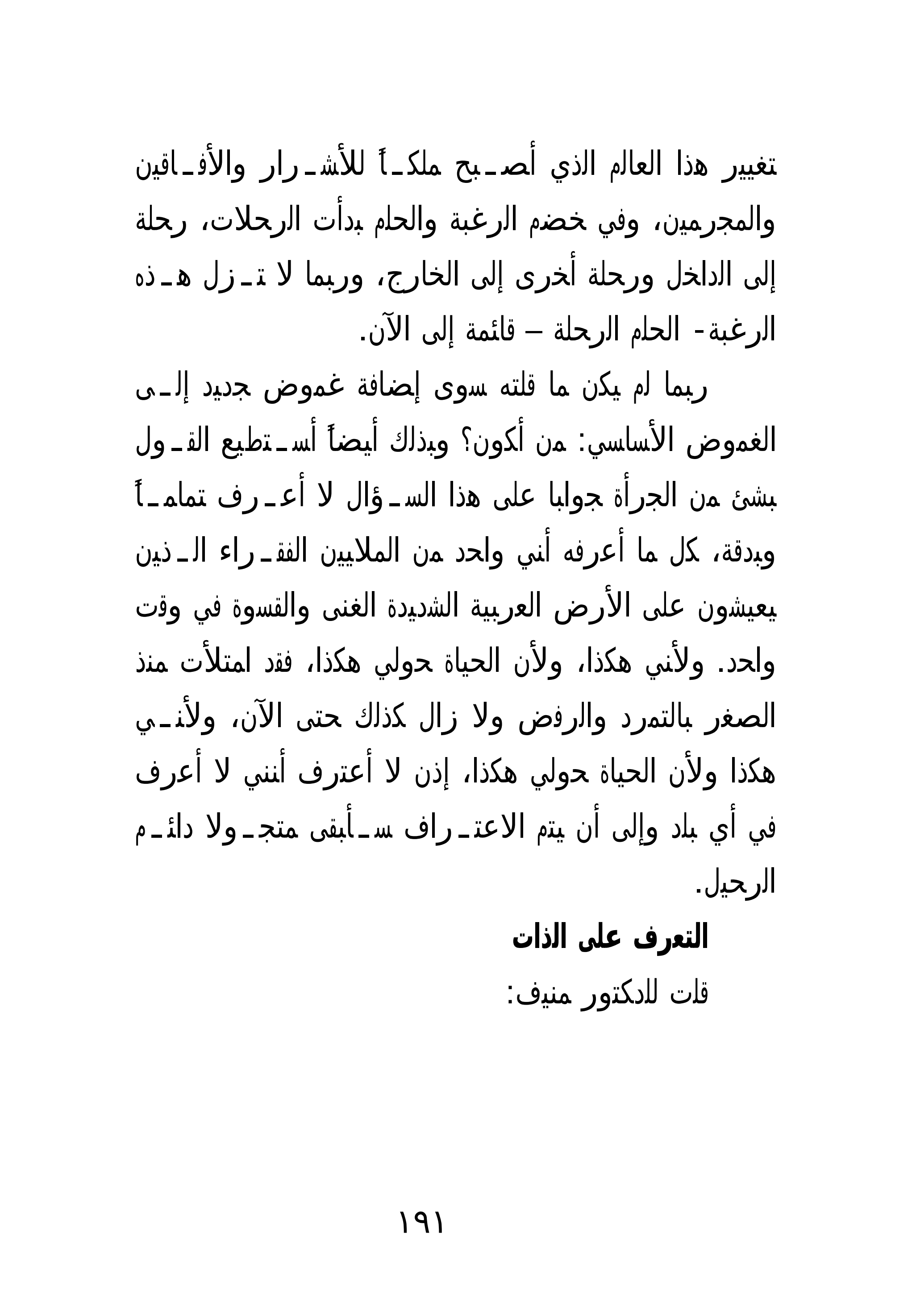
في أحيان عديدة تكون أبسط الأسئلة وأكثرها عادية هي الأسئلة الأكثر صعوبة والأخطر فالإنسان في التصاقه اليومي المستمر مع الذات لا يستطيع أن ينفصل عنها وينظر إليها من مسافة كافية فيتعرف عليها ويحدد موقعها في الزمان والمكان ولا يمتلك بالتالي إجابة واضحة ومقنعة لمثل هذه الأسئلة أو يكتفي بالإجابة التقليدية التي تقنعه وتقنع الآخرين أيضا ولذلك أردت أن أتبع طريقة الآخرين في الإجابة أو طريقة قريبة منها أقول إنني واحد من هؤلاء الملايين التي تعيش بين الماءين، فإذا اقتنع الآخرون بالإجابة يمكن أن ينتهي الأمر، أما إذا استمر السؤال قائما فأقول إنني أقرب إلى عدم المعرفة، فوالدي الذي ترك نجد مثل كثيرين غيره، ومثل عادة العرب الرحل عندما يقل الماء وينتهي الكلأ فيهاجرون، هاجر والدي ضرب في الأرض وراء الماء والكلأ وفي تجواله الطويل كان يتوقف بعض الوقت في أماكن معينة، توقف في رحلته الطويلة في العراق ثم الشام ففلسطين فمصر، وربما ذهب أبعد من ذلك وعندما تعب من الرحيل وأصابه الحنين إلى الوطن بدأ رحلة العودة ، ولكن الرحلة هذه المرة كانت أكثر صعوبة وبطئا، وأصبحت



المحطات طويلة قضى وقتا طويلا في الشام مرة أخرى، تزوج وأنجب، وفي عمان توقف يلتقط أنفاسه قبل أن يضع قدميه على أرض الجزيرة العربية، وفي هذه المحطة الأخيرة ولدت، وإذا كان الإنسان لا يعرف في أي أرض يولد وفي أي أرض يموت، فإن أرض الولادة تعني دائما كل شيء، المهم ما يتبع الولادة، وإذا كنت قد حملت عن أبي الرغبة في التجوال الدائم والرحيل، فإن المناخ الأولى عالقة بأنفي حتى الآن: رائحة الجمال في الساحة الكبيرة وفي تستعد للرحيل، وجوه البشر وهي تتقابل بعد سنوات طويلة من الفراق، رسائل شفوية يحملها المسافرون للمقيمين، ثم رائحة الأشياء الأخرى، مدينة بسيطة صغيرة تتحول بين إغماضة عين وانتباهها من السكينة المغرقة في ظلام الوادي العميق، إلى مدينة تستقبل عشرات الأشياء والبشر الذين ليس لها بهم عهد، جيوش الحلفاء الذاهبة إلى الحرب أو العائدة من الحرب، الجنود بألوانهم المتباينة بين السواد الفاحم والشقرة الحادة ووجوههم المتعبة، قادمون أو ذاهبون إلى الحرب، وما يرافق ذلك من شعور حاد بالرحيل المادي أو المعنوي، السفر أو الموت، وفي غمرن ذلك يموت المسنون، ويموت

أبي قبل أن تطأ قدماه أرض الجزيرة، ونبقى فـي انتظـار القافلة الأخرى التي ستسافر، لكن واقع الحياة فـي المدينـة الصغيرة أخذ شكلاً جديدا هذه المرة، شكلاً متسـارعاً، فلـم يترك للأشخاص أن يقرروا وفي ظل هذا الانتظار الطويـل المحض تقع أشياء أخرى جديدة ولكن الأطفال يذهبون إلـى المدارس يراقبون، يتعلمون، ينتظرون ويستعدون للرحيـل، يستعدون.

في هذا الجو وفي ذلك المكان وأثنـاء محطـة مـن محطات الطريق إلى الجزيرة ولدت، وبعد أن سافرت قوافل كثيرة ولم أكن ضمن أي من هذه القوافل، اضطرت لـدخول المدرسة لتعلم بعض الأشياء لكن هاجس الرحيل لم ينته ولم يتوقف، وفي هذه الفترة بدأت رحلة من نوع جديـد، رحلـة خاصة لم تحدث إلا مـرة واحـدة فـي التـاريخ، رحلـة الفلسطينيين الذين بدأوا يصلون يوما بعد آخر بالمئات إلـى المدينة الصغيرة إلى المحطة التـي كانـت علـى أطـراف الصحراء، وفي ظل تفاعلات معقدة للغاية، تكونـت أشـياء كثيرة وولدت أشياء كثيرة الرغبات والأفكار والشعور الحاد بالهزيمة والمعرفة المباشرة بالخيانة والضياع، أخيراً رغبـة

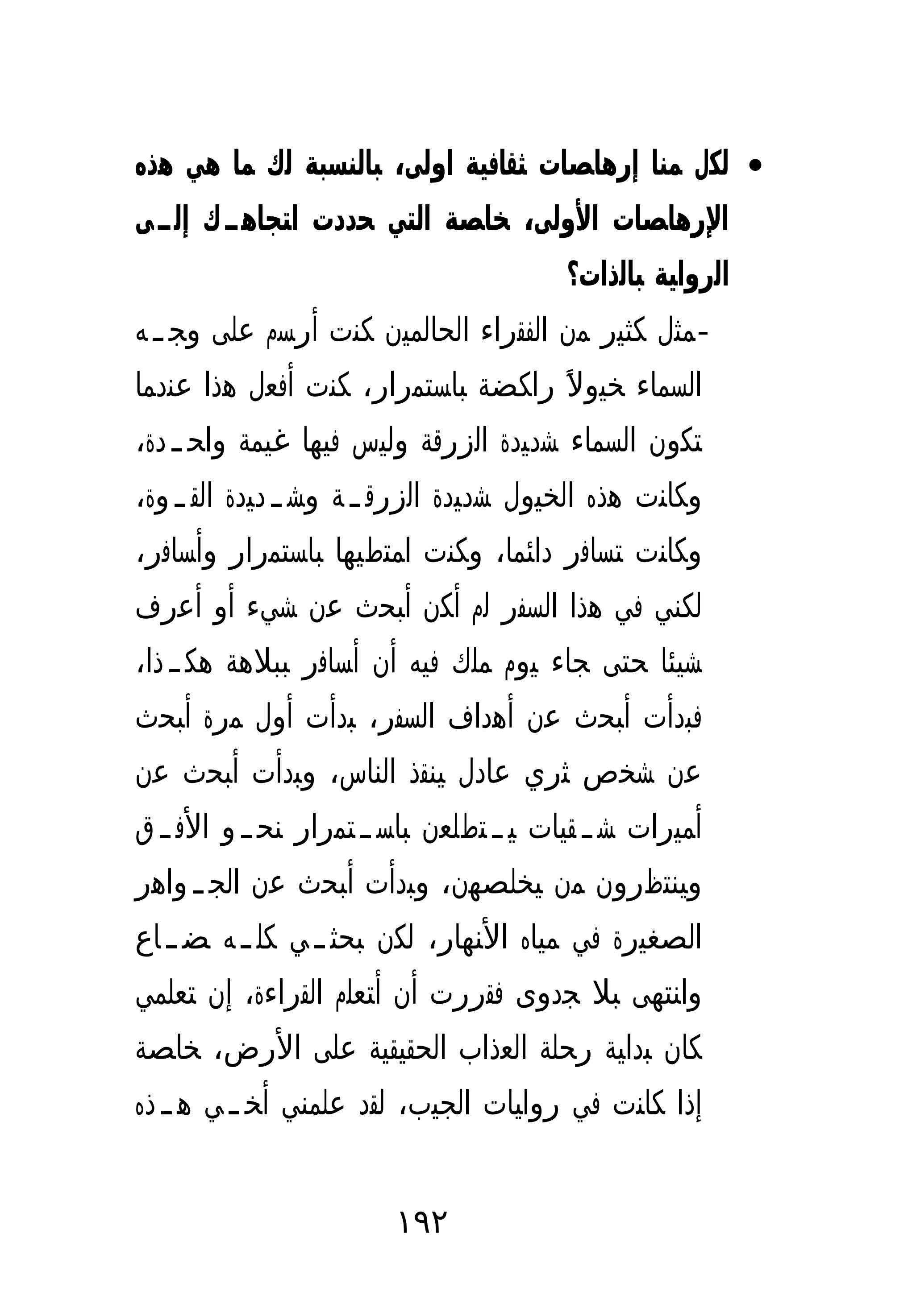


تغيير هذا العالم الذي أصـبح ملكـاً للأشـرار والأفـاقين والمجرمين، وفي خضم الرغبة والحلم بدأت الرحلات، رحلة إلى الداخل ورحلة أخرى إلى الخارج، وربما لا تـزل هـذه الرغبة- الحلم الرحلة – قائمة إلى الآن.

ربما لم يكن ما قلته سوى إضافة غموض جديد إلـى الغموض الأساسي: من أكون؟ وبذلك أيضاً أسـتطيع القـول بشئ من الجرأة جوابا على هذا السـؤال لا أعـرف تمامـاً وبدقة، كل ما أعرفه أني واحد من الملايين الفقـراء الـذين يعيشون على الأرض العربية الشديدة الغنى والقسوة في وقت واحد. ولأني هكذا، ولأن الحياة حولي هكذا، فقد امتلأت منذ الصغر بالتمرد والرفض ولا زال كذلك حتى الآن، ولأنـي هكذا ولأن الحياة حولي هكذا، إذن لا أعترف أنني لا أعرف في أي بلد وإلى أن يتم الاعتـراف سـأبقى متجـولا دائـم الرحيل.

التعرف على الذات

قلت للدكتور منيف:



- **لكل منا إرهاصات ثقافية اولى، بالنسبة لك ما هي هذه الإرهاصات الأولى، خاصة التي حددت اتجاهـك إلـى الرواية بالذات؟**

-مثل كثير من الفقراء الحالمين كنت أرسم على وجـه السماء خيولاً راكضة باستمرار، كنت أفعل هذا عندما تكون السماء شديدة الزرقة وليس فيها غيمة واحـدة، وكانت هذه الخيول شديدة الزرقـة وشـديدة القـوة، وكانت تسافر دائما، وكنت امتطيها باستمرار وأسافر، لكني في هذا السفر لم أكن أبحث عن شيء أو أعرف شيئا حتى جاء يوم مالك فيه أن أسافر ببلاهة هكـذا، فبدأت أبحث عن أهداف السفر، بدأت أول مرة أبحث عن شخص ثري عادل ينقذ الناس، وبدأت أبحث عن أميرات شـقيات يـتطلعن باسـتمرار نحـو الأفـق وينتظرون من يخلصهن، وبدأت أبحث عن الجـواهر الصغيرة في مياه الأنهار، لكن بحثـي كلـه ضـاع وانتهى بلا جدوى فقررت أن أتعلم القراءة، إن تعلمي كان بداية رحلة العذاب الحقيقية على الأرض، خاصة إذا كانت في روايات الجيب، لقد علمني أخـي هـذه

الرحلة وقادني في مسالكها الغامضة الملعونة، كنـت أقرأ كل يوم رواية، كنت أجد نفسي مستغرقاً في عالم شديد الكثافة والغمـوض والشـر، وأن هـذا العـالم يحاصرني لدرجة لا يمكن الإفلات منـه، وانقضـت سنوات عديدة كانت روايات الجيب هي الزاد الوحيد، لكن جاء يوم لم أستطع فيه الاستمرار، بدأت أبحـث عن شئ آخر فوجدت في لعبـة البحـث المجنونـة «المنفلوطي» و«جبران».. وظللت أعيش فترة تحـت «ظلال الزيزفون» وتحت ظلال «الأجنحة المتكسرة» ثم كانت رحلة أخرى مع «الأيام» و «علـى هـامش السيرة» ثم كانت رحلة أخرى مع «الأيام» و «علـى هامش السيرة» وانتهت تلك الأيام إلى توفيق الحكـيم وعبد الحليم عبد ا ، وكانت وقفات هنا وهناك حتـى كان أحد المرافئ الأساسية لدى نجيب محفـوظ وإذا كان نبض المرافئ يشد الإنسان ويسترجعه بين سفرة وأخرى، فقد ظل مرفأ نجيب محفوظ أحـد المرافـئ الأساسية، لكن رحيل الإنسـان الـدائم فـي المكـان والزمان جعل التوقف في حالات كثيرة صعبا.

أستطيع أن أزعم أني قارئ جيد، لكن لم أفكـر يومـا بالكتابة، كنت أكتفي بالمراقبة النشيطة دون أيـة رغبـة أو فكرة بالكتابة وإذا كنت قد اقتنعت بذلك خلال فترة طويلة فإن هموم العمل السياسي وتفاصيله اليومية قد استغرقتني تماما، فلم تبق الرواية الهم الوحيد، إذ أصبح إلى جانبها هم البحـث عن الحقيقة والعدالة في العمل اليومي، وفي العمل السياسـي على وجه التحديد ومن هنا وجدت أن دولاب الحياة لا يترك للإنسان القدرة على التوقف أو الاختيار، وهكذا انتهت خيول السماء لتبدأ عوضا عنها قطارات الأرض والسفن والشواطئ البعيدة، وبعض الأحيان ركوب الحيوانات للانتقال من مكان إلى آخر من أجل إيصال أوراق صغيرة كان ضمنها بعـض الروايات.

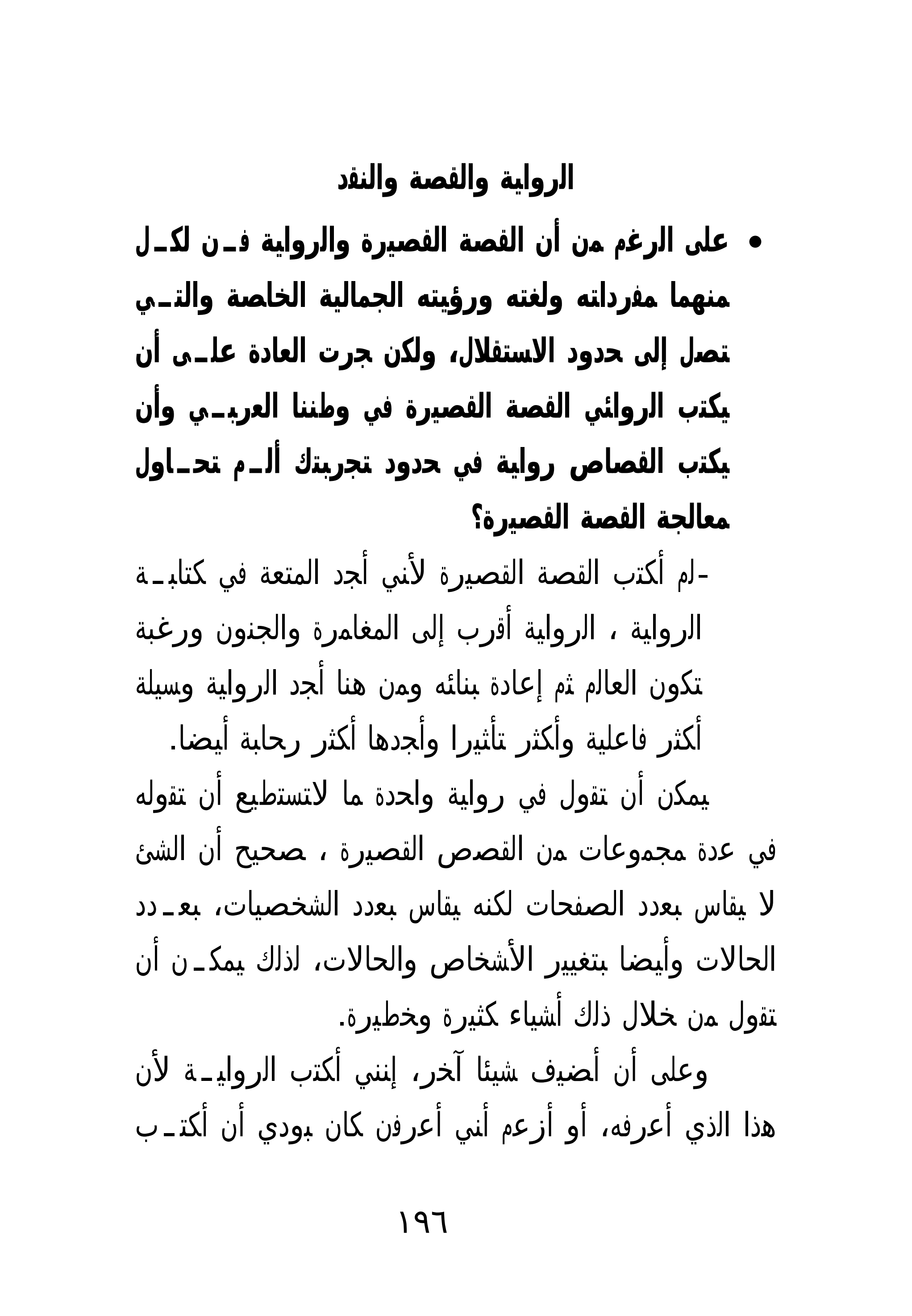
وفي خضم التغييرات الكبيرة – السلبية والإيجابية – لا يستطيع الإنسان أن يتوقف دائمـا ليتأمـل ويعيـد تركيـب الصورة ولذلك توارت رغبات كثيرة لتحل أخرى مكانها لكن في لحظات معينة، وغالبا ما تأتي هذه اللحظات بشكل مفاجئ يتوقف الإنسان دون إرادة وبعض الأحيان دون وعي ليتأمل، يتوقف ليغير اتجاه السير، وإذا كان أبي قد تركني صـغيراً

وحملني همه كبيراً كما قال شاعر جاهلي، فقد تصورت أني مضطر للتوقف وإعادة النظر لأن الفرق كبير بين ما كنـت أطمح إليه، وما بدأت أراه بين ما حاولته وبين مـا وصـلت إليه ومن هنا كانت إجازة كبيرة بعـض الشـئ وإذا كـان الإنسان حتى في الإجازة لا يستطيع أن يتوقف عـن بعـض العادات السيئة فقد عاودتني رغبة القراءة بجنون ثم أنفجـر بداخلي عواء أني يجب أن أفعل شيئا آخر غير القراءة فكانت محاولة الكتابة.

إن هذه المحاولة جـاءت متـأخرة كثيـرا. وجـاءت الاعتبارات وأسباب خارجة عـن إرادتـي وقـد تنتهـي أو تتوقف، ولذا كان مجيئها يعني بداية مرحلة جديدة في حياتي.

إنني الآن أقرب إلى البوح من الاعتراف الكامل، وأن لذلك أسبابا كثيرة لا يجب ذكرها كلها.

فهل يمكن اعتبار ذلك كله جوابا أو أسئلة وإشـكالات جديدة أطرحها على نفسي بصوت عال؟ لك أن تستنتج مـا تريد



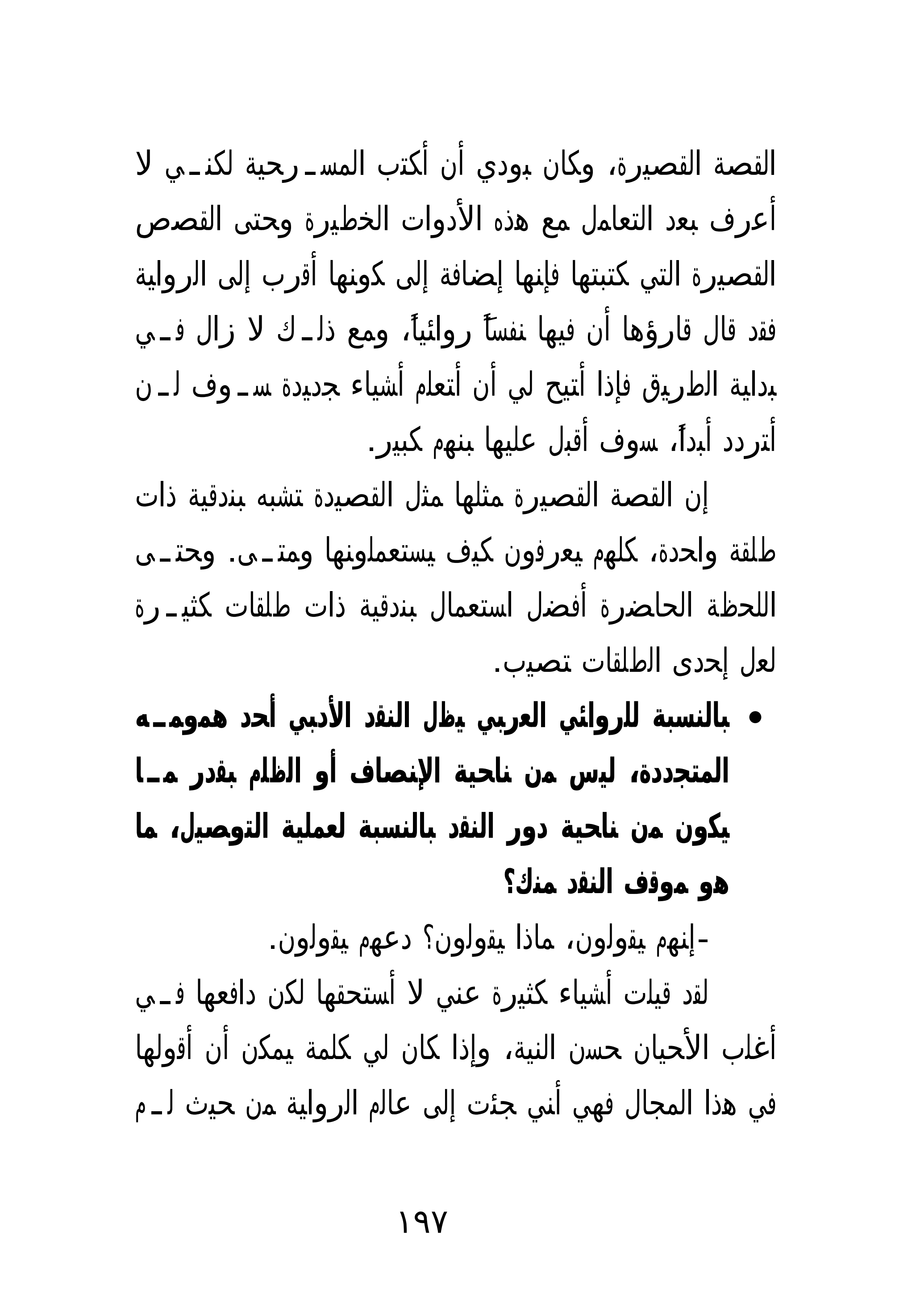
الرواية والقصة والنقد

- **على الرغم من أن القصة القصيرة والرواية فـن لكـل منهما مفرداته ولغته ورؤيته الجمالية الخاصة والتـي تصل إلى حدود الاستقلال، ولكن جرت العادة علـى أن يكتب الروائي القصة القصيرة في وطننا العربـي وأن يكتب القصاص رواية في حدود تجربتك ألـم تحـاول معالجة القصة القصيرة؟**

-لم أكتب القصة القصيرة لأني أجد المتعة في كتابـة الرواية ، الرواية أقرب إلى المغامرة والجنون ورغبة تكون العالم ثم إعادة بنائه ومن هنا أجد الرواية وسيلة أكثر فاعلية وأكثر تأثيرا وأجدها أكثر رحابة أيضا.

يمكن أن تقول في رواية واحدة ما لاتستطيع أن تقوله في عدة مجموعات من القصص القصيرة ، صحيح أن الشئ لا يقاس بعدد الصفحات لكنه يقاس بعدد الشخصيات، بعـدد الحالات وأيضا بتغيير الأشخاص والحالات، لذلك يمكـن أن تقول من خلال ذلك أشياء كثيرة وخطيرة.

وعلى أن أضيف شيئا آخر، إنني أكتب الروايـة لأن هذا الذي أعرفه، أو أزعم أني أعرفن كان بودي أن أكتـب



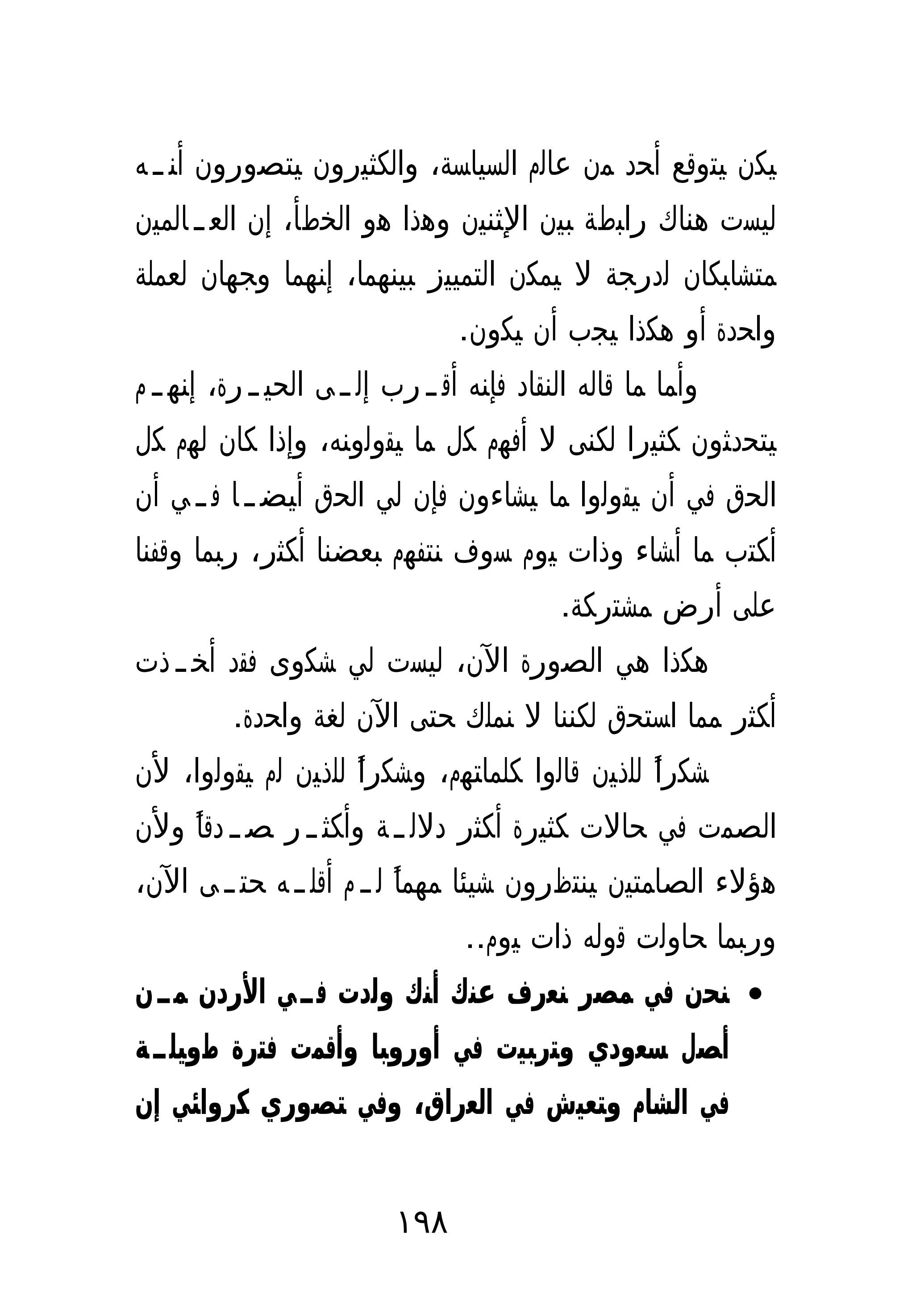
القصة القصيرة، وكان بودي أن أكتب المسـرحية لكنـي لا أعرف بعد التعامل مع هذه الأدوات الخطيرة وحتى القصص القصيرة التي كتبتها فإنها إضافة إلى كونها أقرب إلى الرواية فقد قال قارؤها أن فيها نفساً روائياً، ومع ذلـك لا زال فـي بداية الطريق فإذا أتيح لي أن أتعلم أشياء جديدة سـوف لـن أتردد أبداً، سوف أقبل عليها بنهم كبير.

إن القصة القصيرة مثلها مثل القصيدة تشبه بندقية ذات طلقة واحدة، كلهم يعرفون كيف يستعملونها ومتـى. وحتـى اللحظة الحاضرة أفضل استعمال بندقية ذات طلقات كثيـرة لعل إحدى الطلقات تصيب.

- **بالنسبة للروائي العربي يظل النقد الأدبي أحد همومـه المتجددة، ليس من ناحية الإنصاف أو الظلم بقدر مـا يكون من ناحية دور النقد بالنسبة لعملية التوصيل، ما هو موقف النقد منك؟**

-إنهم يقولون، ماذا يقولون؟ دعهم يقولون.

لقد قيلت أشياء كثيرة عني لا أستحقها لكن دافعها فـي أغلب الأحيان حسن النية، وإذا كان لي كلمة يمكن أن أقولها في هذا المجال فهي أني جئت إلى عالم الرواية من حيث لـم



يكن يتوقع أحد من عالم السياسة، والكثيرون يتصورون أنـه ليست هناك رابطة بين الإثنين وهذا هو الخطأ، إن العـالمين متشابكان لدرجة لا يمكن التمييز بينهما، إنهما وجهان لعملة واحدة أو هكذا يجب أن يكون.

وأما ما قاله النقاد فإنه أقـرب إلـى الحيـرة، إنهـم يتحدثون كثيرا لكنى لا أفهم كل ما يقولونه، وإذا كان لهم كل الحق في أن يقولوا ما يشاءون فإن لي الحق أيضـا فـي أن أكتب ما أشاء وذات يوم سوف نتفهم بعضنا أكثر، ربما وقفنا على أرض مشتركة.

هكذا هي الصورة الآن، ليست لي شكوى فقد أخـذت أكثر مما استحق لكننا لا نملك حتى الآن لغة واحدة.

شكراً للذين قالوا كلماتهم، وشكراً للذين لم يقولوا، لأن الصمت في حالات كثيرة أكثر دلالـة وأكثـر صـدقاً ولأن هؤلاء الصامتين ينتظرون شيئا مهماً لـم أقلـه حتـى الآن، وربما حاولت قوله ذات يوم..

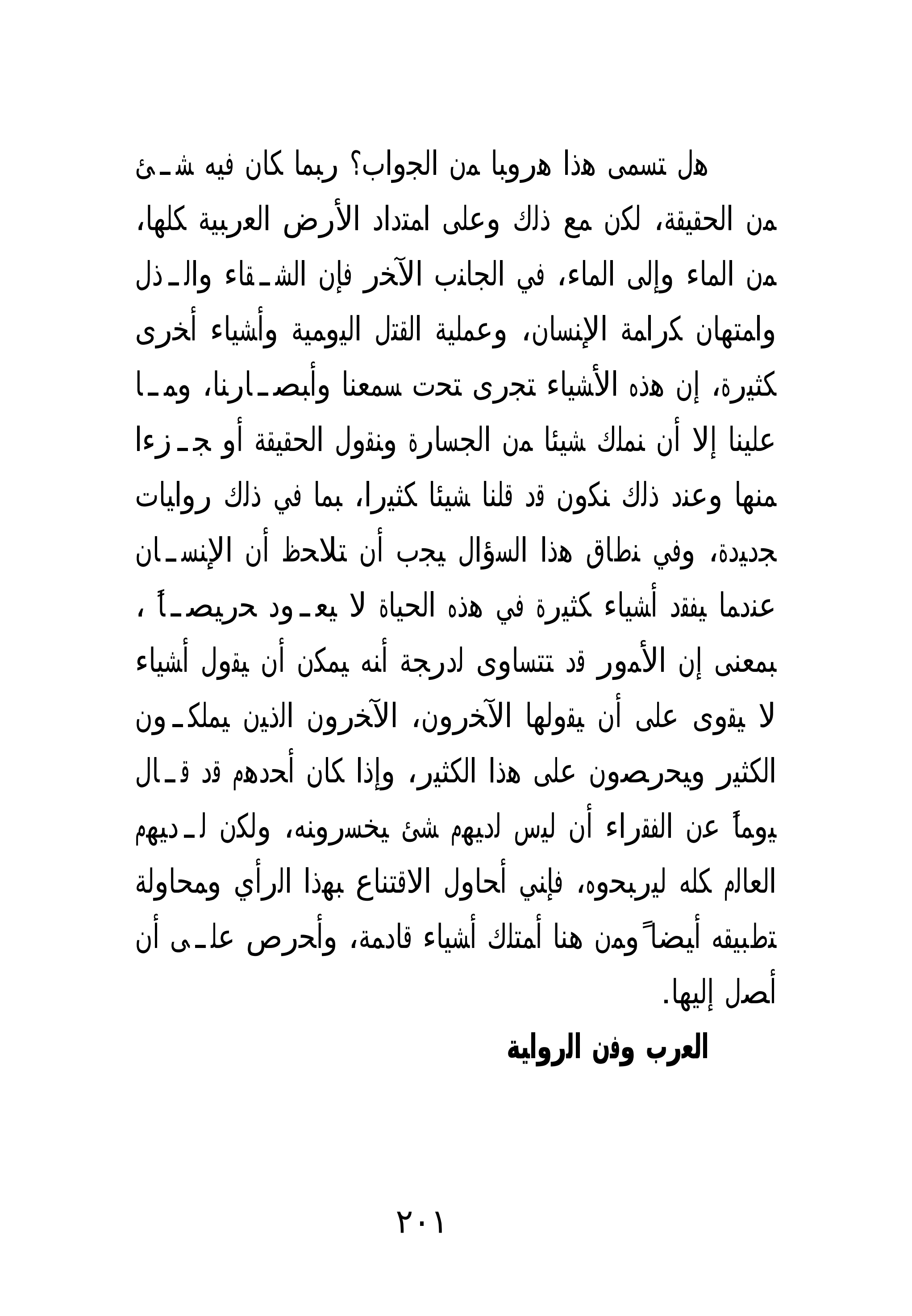
- **نحن في مصر نعرف عنك أنك ولدت فـي الأردن مـن أصل سعودي وتربيت في أوروبا وأقمت فترة طويلـة في الشام وتعيش في العراق، وفي تصوري كروائي إن**

ذلك يقيم مشكلة أساسية، فالروائي يحتاج إلى التعامل مع بنية اجتماعية يعرف لغة التفاهم معها، كيف تحل هذه المشكلة؟

-إن جواز السفر في حالات كثيرة لا يحدد هوية الإنسان وإن كان يسهل أمامه المرور فقط، وجواز السفر بالنسبة لي مشكلة أكثر تعقيداً مما يوحيه السؤال. إن الإنسان بدون أرض أقرب ما يكون إلى النبتة الاصطناعية ولا يمكن أن يقدم شيئاً حياً، ومن هنا فالمشكلة بالنسبة لي ليست كوني من السعودية وأقيم الآن في العراق، وإنما لأنني في حالة رحيل دائم والرحيل إذا كان مفيداً في أغلب الأحيان فإنه يصبح عديم الجدوى إذا افتقد الإنسان ميناء أخيراً، ومن هنا ولهذا السبب أحاول إقناع نفسي أنني أملك الأرض العربية كلها وأنها بيتي وأنها وطني، وفي مكان فيها سيكون لي قبر، هكذا أحاول أن أقتنع، صحيح أنني لم أستطع الوصول إلى هذه القناعة لكنني أحاول، هذا في جانب وفي الجانب الآخر، ومن خلال التجوال والانتقال من مكان لآخر، أجد أن الأشياء والحالات

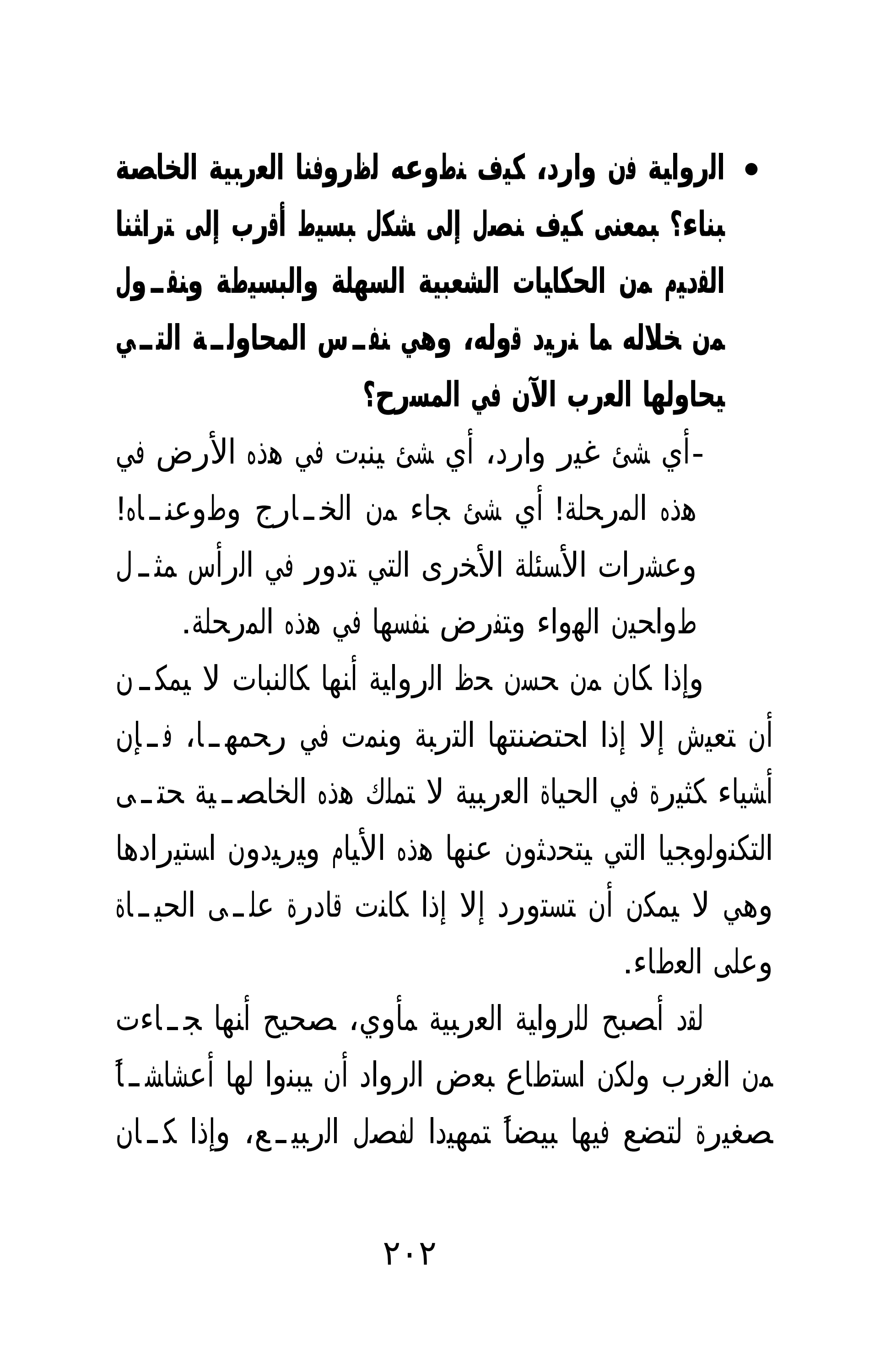
تتكرر لدرجة إنني لا أعرف أيـن أنـا. إن التشـابه والتماثل في الأوضاع العربية لا يجعلك تميز قطـراً عن آخر. حتى الطقس والبيئة وألوان الوجوه متقاربة لدرجة أن رجلاً عرفته في بغداد تظـن أنـك رأيتـه وعشت معه في دمشق وما عدا اللهجـة فـإن كـل الأشياء واحدة. وإن كنت في رواياتي كلها قد رفضت أن أسمي الأمكنة فقد قال الكثيرون وفي بلدان عديـدة أني ما عنيت إلا هم.

إن الواقع الاجتماعي مفتوح على الاتجاهات الأربعـة ويمكن التقاط المادة الروائية من المنجم الكبير بسهولة. ولأن الفقير يحس ألام الفقراء ويعرف همومهم، ولأن الشقي يعرف أسباب الشقاء ويحاربه ولأن المطاردين يخافون من الأشباح ويتجنبون الاقتراب من المقابر والأماكن الموحشة فإن الـذي عاش مع الفقراء وغرق في الشقاء ويخاف كل وقـت مـن سحب جواز السفر، لا يحتاج إلى الكثير من الروابط المحلية لكي يقول ما عنده كما لا يخاف الانتقال من حالة إلى حالـة أخرى.



هل تسمى هذا هروبا من الجواب؟ ربما كان فيه شـئ من الحقيقة، لكن مع ذلك وعلى امتداد الأرض العربية كلها، من الماء وإلى الماء، في الجانب الآخر فإن الشـقاء والـذل وامتهان كرامة الإنسان، وعملية القتل اليومية وأشياء أخرى كثيرة، إن هذه الأشياء تجرى تحت سمعنا وأبصـارنا، ومـا علينا إلا أن نملك شيئا من الجسارة ونقول الحقيقة أو جـزءا منها وعند ذلك نكون قد قلنا شيئا كثيرا، بما في ذلك روايات جديدة، وفي نطاق هذا السؤال يجب أن تلاحظ أن الإنسـان عندما يفقد أشياء كثيرة في هذه الحياة لا يعـود حريصـاً ، بمعنى إن الأمور قد تتساوى لدرجة أنه يمكن أن يقول أشياء لا يقوى على أن يقولها الآخرون، الآخرون الذين يملكـون الكثير ويحرصون على هذا الكثير، وإذا كان أحدهم قد قـال يوماً عن الفقراء أن ليس لديهم شئ يخسرونه، ولكن لـديهم العالم كله ليربحوه، فإني أحاول الاقتناع بهذا الرأي ومحاولة تطبيقه أيضاً ومن هنا أمتلك أشياء قادمة، وأحرص علـى أن أصل إليها.

العرب وفن الرواية



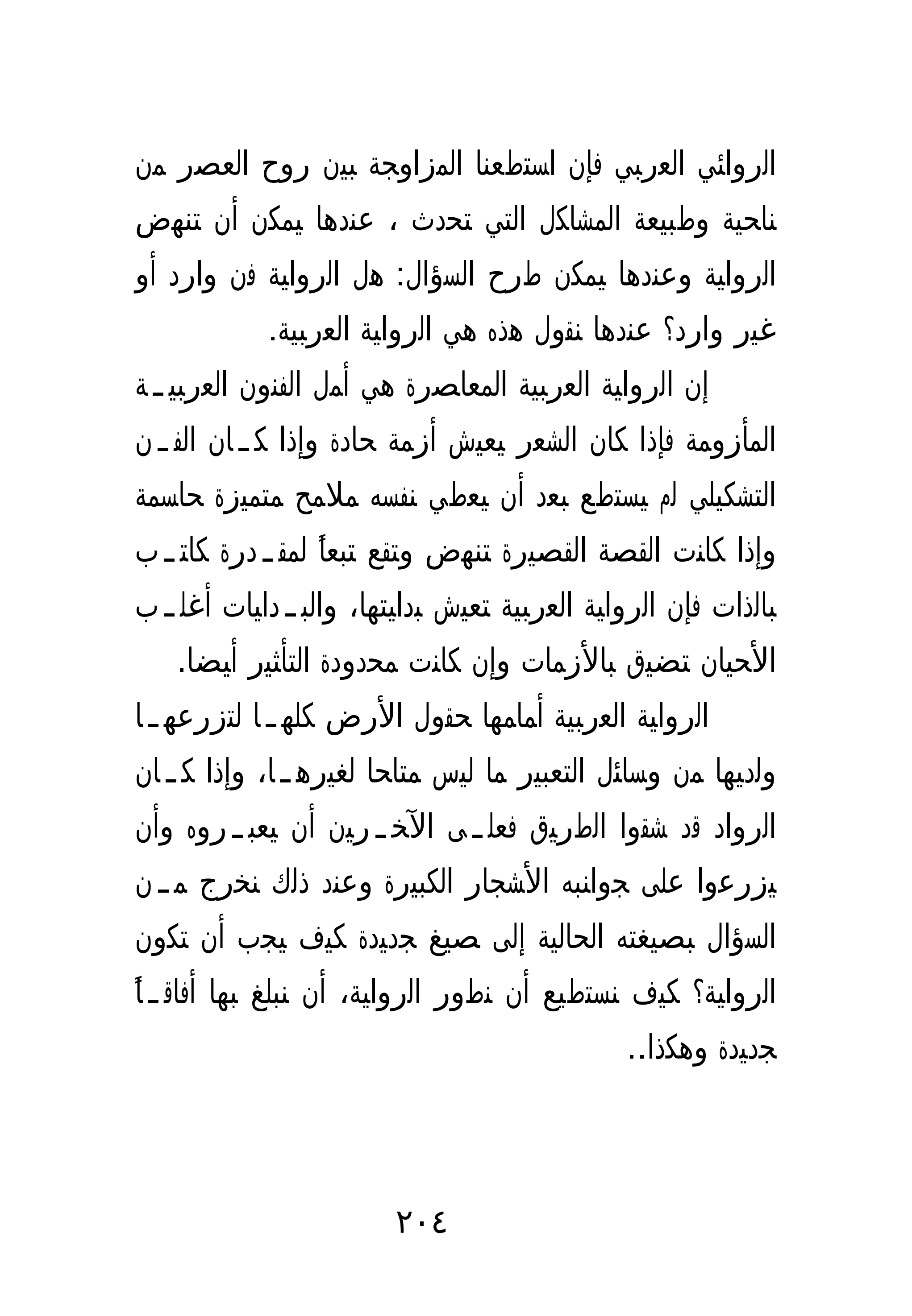
- **الرواية فن وارد، كيف نطوعه لظروفنا العربية الخاصة بناء؟ بمعنى كيف نصل إلى شكل بسيط أقرب إلى تراثنا القديم من الحكايات الشعبية السهلة والبسيطة ونقـول من خلاله ما نريد قوله، وهي نفـس المحاولـة التـي يحاولها العرب الآن في المسرح؟**

-أي شئ غير وارد، أي شئ ينبت في هذه الأرض في هذه المرحلة! أي شئ جاء من الخـارج وطوعنـاه! وعشرات الأسئلة الأخرى التي تدور في الرأس مثـل طواحين الهواء وتفرض نفسها في هذه المرحلة.

وإذا كان من حسن حظ الرواية أنها كالنبات لا يمكـن أن تعيش إلا إذا احتضنتها التربة ونمت في رحمهـا، فـإن أشياء كثيرة في الحياة العربية لا تملك هذه الخاصـية حتـى التكنولوجيا التي يتحدثون عنها هذه الأيام ويريدون استيرادها وهي لا يمكن أن تستورد إلا إذا كانت قادرة علـى الحيـاة وعلى العطاء.

لقد أصبح للرواية العربية مأوي، صحيح أنها جـاءت من الغرب ولكن استطاع بعض الرواد أن يبنوا لها أعشاشـاً صغيرة لتضع فيها بيضاً تمهيدا لفصل الربيـع، وإذا كـان

الربيع لم يأت بعد وإذا كانت الرياح العاصفة لا تزال تـأتي عبر البحر فإن الأعشاش الصغيرة فـي الأمـاكن المظلمـة الدافئة قادرة على حماية البيض وسوف تفرخ قريبا، لم تولد الرواية العربية التي نريدها بعد، ولم يولد الروائيون الـذين يضربون عميقا في الأرض لكن البشائر التي حملها بعـض الرواد البيض الذي وضعوه يمكـن أن يعطـى ويمكـن أن يساعد، ليست العملية ميكانيكية تماما لكن المطر ينبت العشب وما دمنا في فصل الأمطار وما دام الوطن العربي مليئا إلى درجة التخمة بمواد روائية غير متاحة في أماكن أخرى ولأن التناقضات من الضخامة والقسوة إلى درجة يمكن أن تفتـت الحجر فإن العملية الروائية لا بد وأن تنمـو تزدهـر لكـن شرطها الأساسي الإخلاص، يجب أن يتمتع الروائيون بمقدار كبير من الإخلاص والنزاهة، ويجب أن يتأملوا البيئة التـي يعيشون فيها بوعي وأن تدور رؤوسهم بالزوابع التي تحملها الأعمال القادمة من الغرب وعندما سيكونوا قادرين على أن يقولوا شيئا هاما وشيئا يعبر البحر إلى الضفة الأخرى لـدينا في القديم تراث هام لا أقول أنه روائي تماماً ولكن فيه شـيئا كثيرا من روح الرواية ويمكن أن يساعد على خلق التـراث



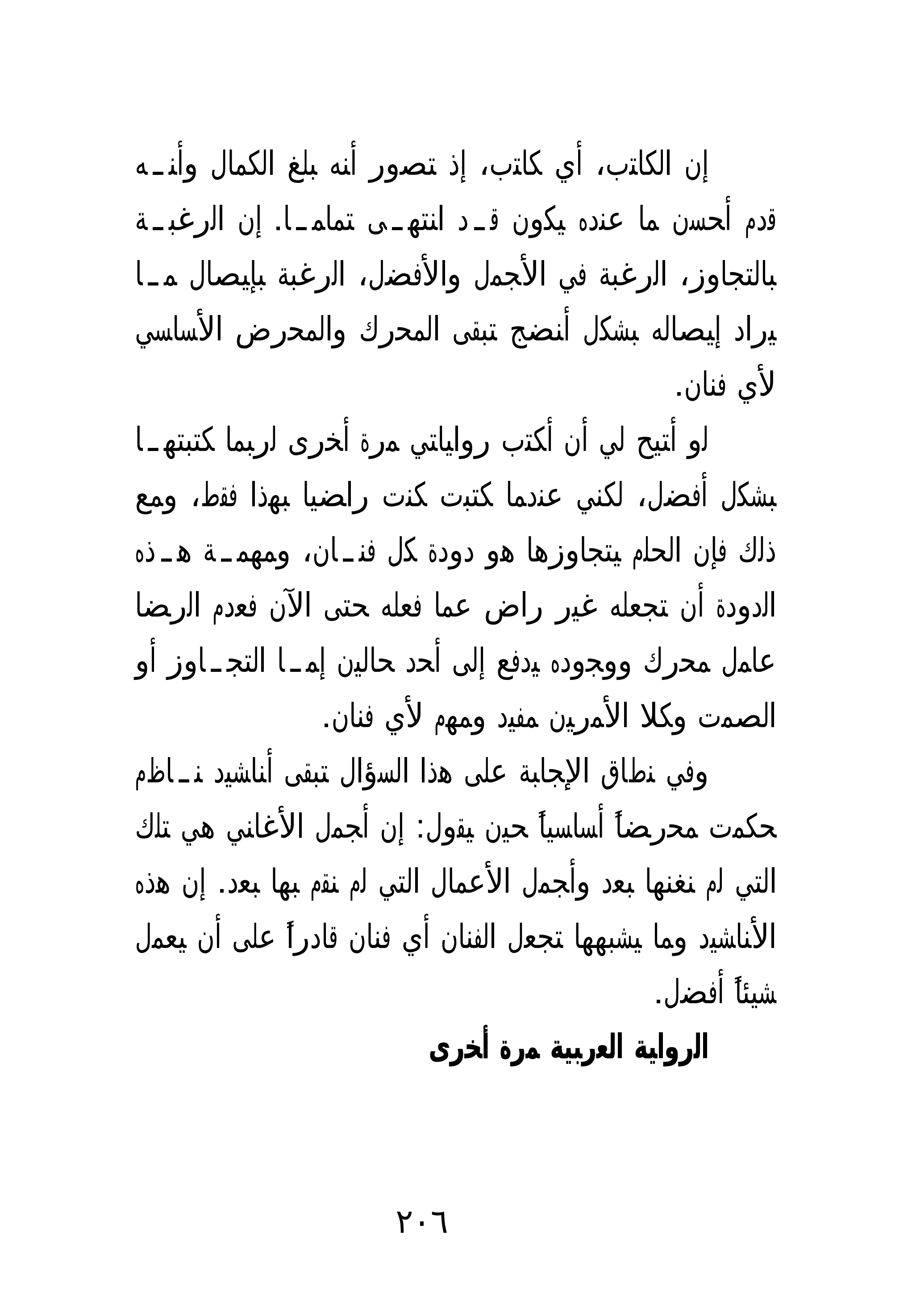
الروائي العربي فإن استطعنا المزاوجة بين روح العصر من ناحية وطبيعة المشاكل التي تحدث ، عندها يمكن أن تنهض الرواية وعندها يمكن طرح السؤال: هل الرواية فن وارد أو غير وارد؟ عندها نقول هذه هي الرواية العربية.

إن الرواية العربية المعاصرة هي أمل الفنون العربيـة المأزومة فإذا كان الشعر يعيش أزمة حادة وإذا كـان الفـن التشكيلي لم يستطع بعد أن يعطي نفسه ملامح متميزة حاسمة وإذا كانت القصة القصيرة تنهض وتقع تبعاً لمقـدرة كاتـب بالذات فإن الرواية العربية تعيش بدايتها، والبـدايات أغلـب الأحيان تضيق بالأزمات وإن كانت محدودة التأثير أيضا.

الرواية العربية أمامها حقول الأرض كلهـا لتزرعهـا وأديها من وسائل التعبير ما ليس متاحا لغيرهـا، وإذا كـان الرواد قد شقوا الطريق فعلـى الآخـرين أن يعبـروه وأن يزرعوا على جوانبه الأشجار الكبيرة وعند ذلك نخرج مـن السؤال بصيغته الحالية إلى صيغ جديدة كيف يجب أن تكون الرواية؟ كيف نستطيع أن نطور الرواية، أن نبلغ بها أفاقـاً جديدة وهكذا..

- **يلاحظ على رواياتك الثلاث: «الأشجار واغتيال مرزوق» و «قصة حب مجوسية» و «شرق المتوسط» أن كلا منها تطرق موضعاً مختلفاً عن العمل الآخر، كيف تحدد خط تطورك من خلال الأعمال الثلاثة؟**

-الكاتب. أي كاتب لديه شئ يمكن أن يقوله والمجتمع الذي نعيش فيه يزخر بآلاف النماذج والمشاكل وطبيعة الحياة تتغير كل يوم، الماء الجاري لا يمكن أن يمر بالجسر مرتين، إنه يسير دائما إلى الأمام، هذه البديهات التي تحدد وتوجه وتخلق الإمكانيات لأي عمل فني شريطة أن يلتقط الفنان بعين مبصرة وذكية، المادة التي يريد معالجتها ويقدمها للناس بصدق وإخلاص، صحيح أن لدي كل إنسان نظرة وفلسفة أو وجهة نظر على الأقل تجاه كثير من المشاكل والقضايا وهذه النظرة أو الفلسفة توجه باستمرار وتفرض نفسها لكن طبيعة المشاكل المطروحة وكيفية التعامل معها تساعد في حالات كثيرة في إيجاد الإطار الفني ولتجنب تكراره.

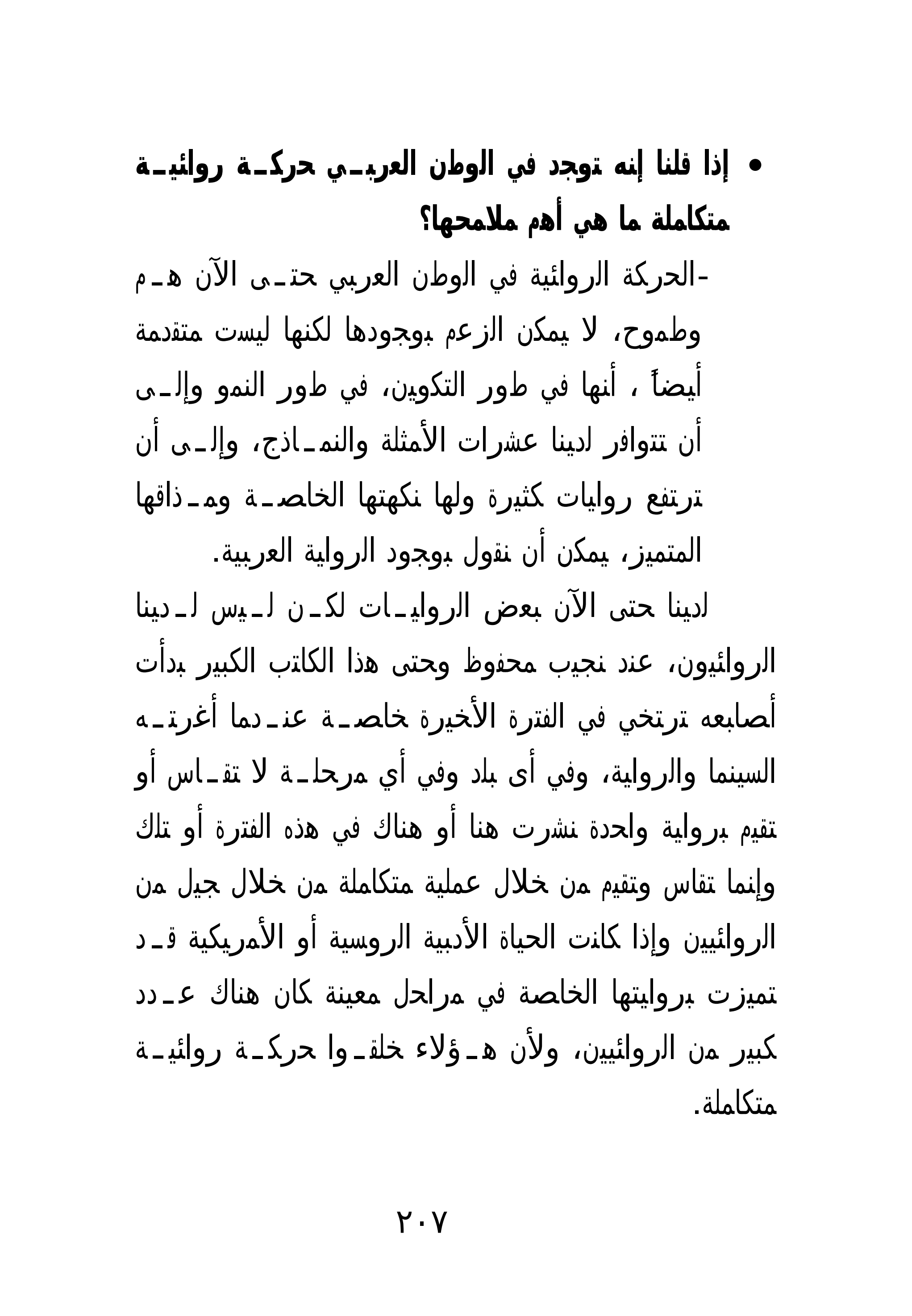


إن الكاتب، أي كاتب، إذ تصور أنه بلغ الكمال وأنـه قدم أحسن ما عنده يكون قـد انتهـى تمامـا. إن الرغبـة بالتجاوز، الرغبة في الأجمل والأفضل، الرغبة بإيصال مـا يراد إيصاله بشكل أنضج تبقى المحرك والمحرض الأساسي لأي فنان.

لو أتيح لي أن أكتب رواياتي مرة أخرى لربما كتبتهـا بشكل أفضل، لكني عندما كتبت كنت راضيا بهذا فقط، ومع ذلك فإن الحلم يتجاوزها هو دودة كل فنـان، ومهمـة هـذه الدودة أن تجعله غير راض عما فعله حتى الآن فعدم الرضا عامل محرك ووجوده يدفع إلى أحد حالين إمـا التجـاوز أو الصمت وكلا الأمرين مفيد ومهم لأي فنان.

وفي نطاق الإجابة على هذا السؤال تبقى أناشيد نـاظم حكمت محرضاً أساسياً حين يقول: إن أجمل الأغاني هي تلك التي لم نغنها بعد وأجمل الأعمال التي لم نقم بها بعد. إن هذه الأناشيد وما يشبهها تجعل الفنان أي فنان قادراً على أن يعمل شيئاً أفضل.

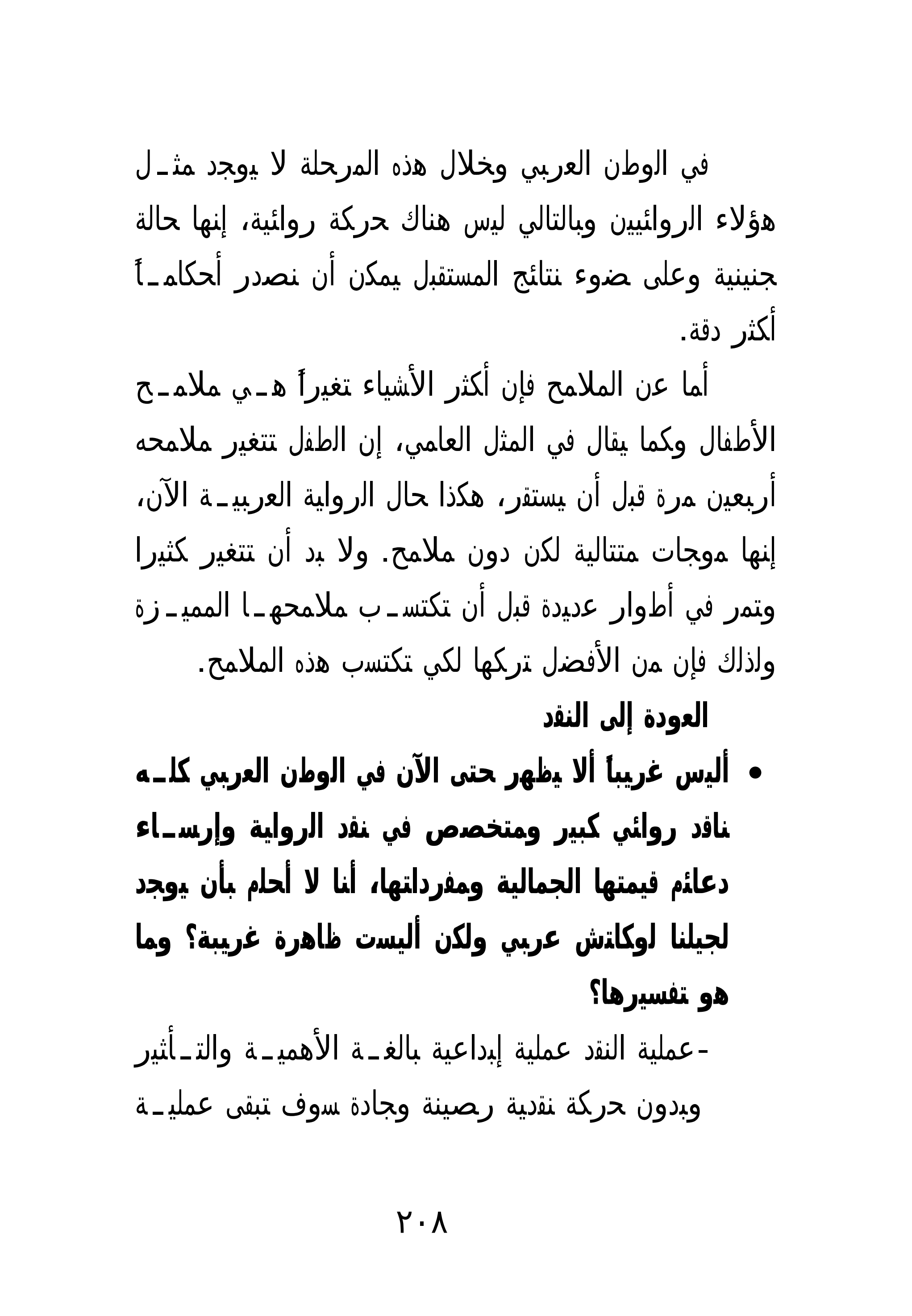
الرواية العربية مرة أخرى



- **إذا قلنا إنه توجد في الوطن العربـي حركـة روائيـة متكاملة ما هي أهم ملامحها؟**

-الحركة الروائية في الوطن العربي حتـى الآن هـم وطموح، لا يمكن الزعم بوجودها لكنها ليست متقدمة أيضاً ، أنها في طور التكوين، في طور النمو وإلـى أن تتوافر لدينا عشرات الأمثلة والنمـاذج، وإلـى أن ترتفع روايات كثيرة ولها نكهتها الخاصـة ومـذاقها المتميز، يمكن أن نقول بوجود الرواية العربية.

لدينا حتى الآن بعض الروايـات لكـن لـيس لـدينا الروائيون، عند نجيب محفوظ وحتى هذا الكاتب الكبير بدأت أصابعه ترتخي في الفترة الأخيرة خاصـة عنـدما أغرتـه السينما والرواية، وفي أى بلد وفي أي مرحلـة لا تقـاس أو تقيم برواية واحدة نشرت هنا أو هناك في هذه الفترة أو تلك وإنما تقاس وتقيم من خلال عملية متكاملة من خلال جيل من الروائيين وإذا كانت الحياة الأدبية الروسية أو الأمريكية قـد تميزت بروايتها الخاصة في مراحل معينة كان هناك عـدد كبير من الروائيين، ولأن هـؤلاء خلقـوا حركـة روائيـة متكاملة.



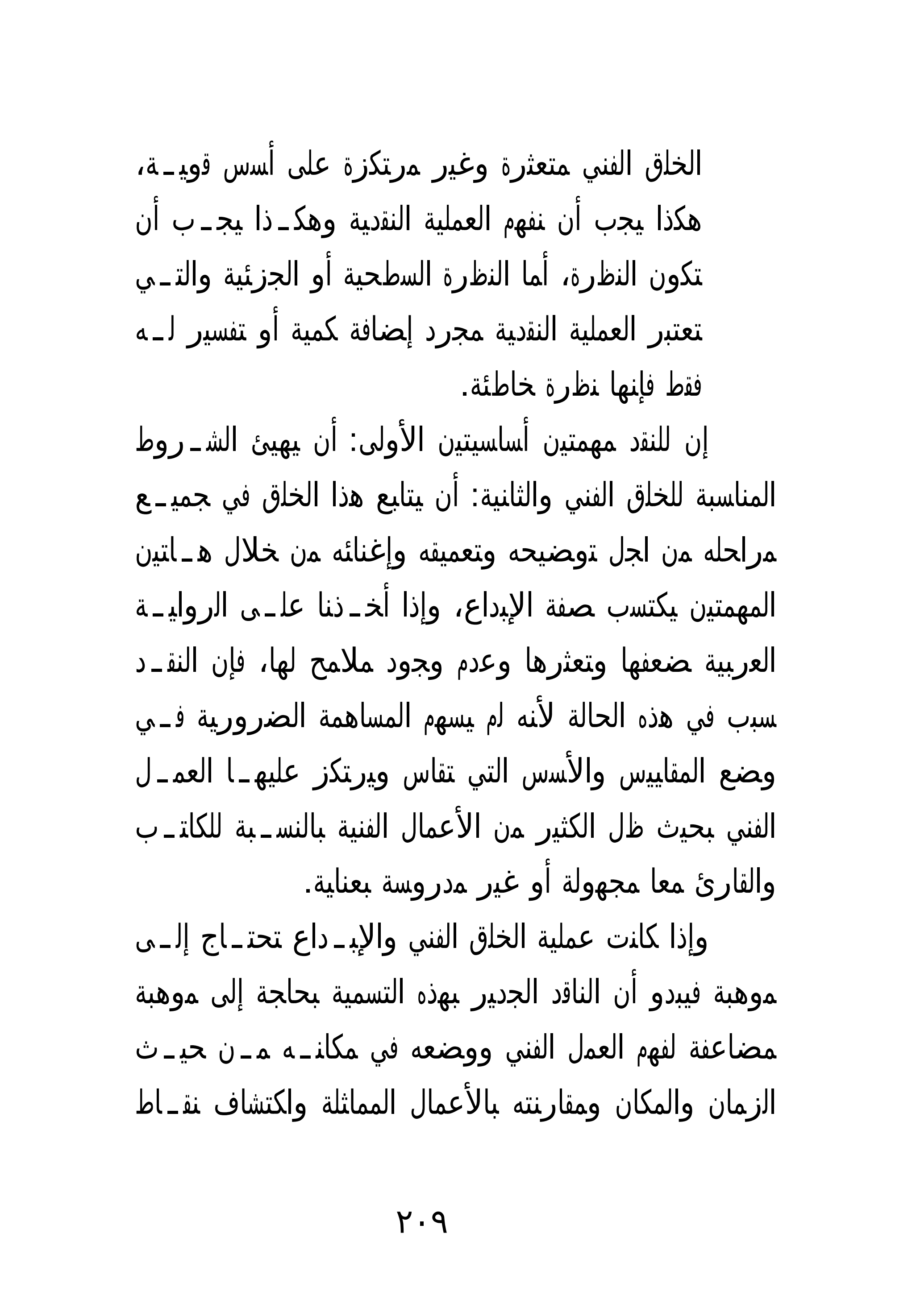
في الوطن العربي وخلال هذه المرحلة لا يوجد مثـل هؤلاء الروائيين وبالتالي ليس هناك حركة روائية، إنها حالة جنينية وعلى ضوء نتائج المستقبل يمكن أن نصدر أحكامـاً أكثر دقة.

أما عن الملامح فإن أكثر الأشياء تغيراً هـي ملامـح الأطفال وكما يقال في المثل العامي، إن الطفل تتغير ملامحه أربعين مرة قبل أن يستقر، هكذا حال الرواية العربيـة الآن، إنها موجات متتالية لكن دون ملامح. ولا بد أن تتغير كثيرا وتمر في أطوار عديدة قبل أن تكتسـب ملامحهـا المميـزة ولذلك فإن من الأفضل تركها لكي تكتسب هذه الملامح.

العودة إلى النقد

- **أليس غريباً ألا يظهر حتى الآن في الوطن العربي كلـه ناقد روائي كبير ومتخصص في نقد الرواية وإرسـاء دعائم قيمتها الجمالية ومفرداتها، أنا لا أحلم بأن يوجد لجيلنا لوكاتش عربي ولكن أليست ظاهرة غريبة؟ وما هو تفسيرها؟**

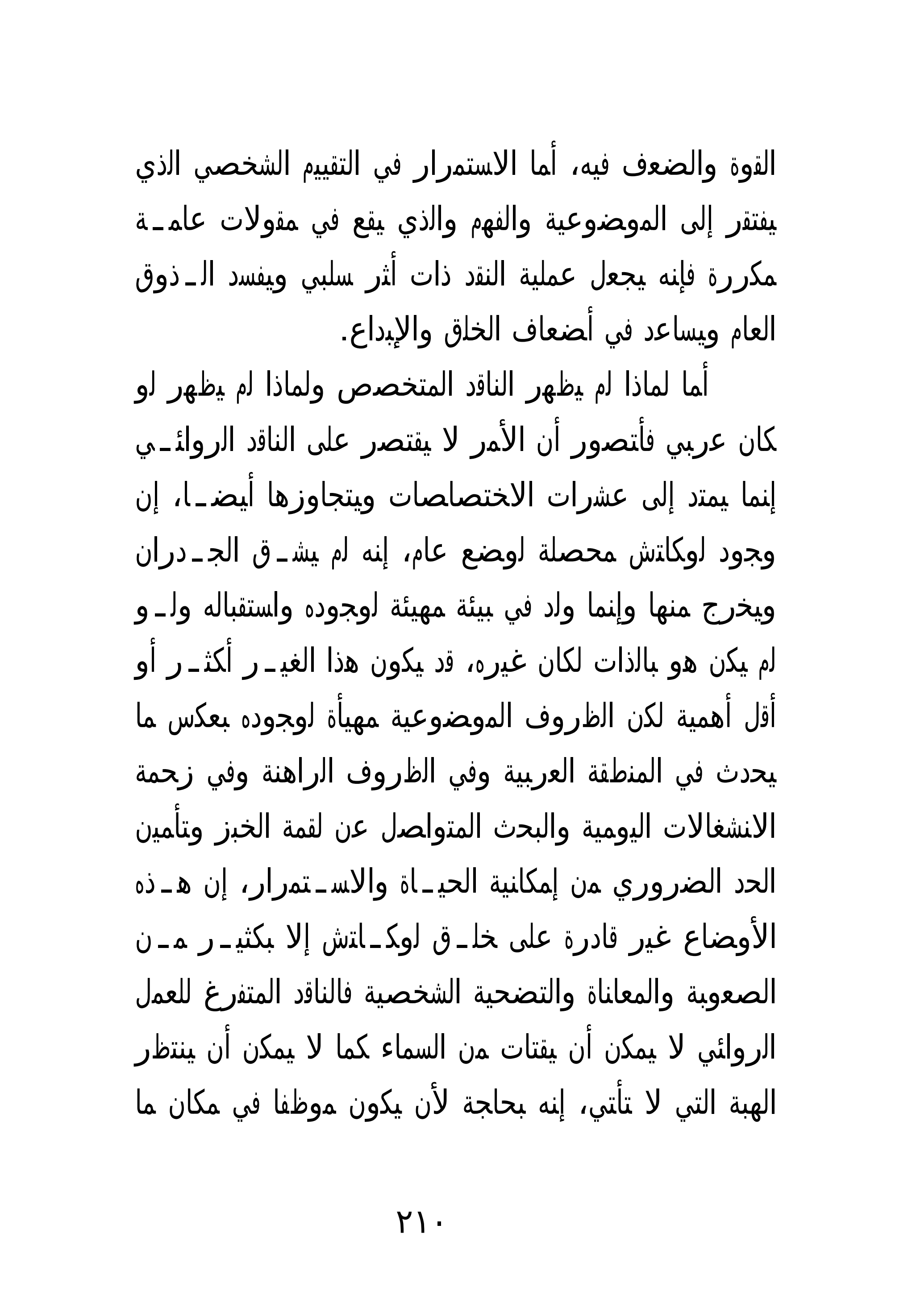
-عملية النقد عملية إبداعية بالغـة الأهميـة والتـأثير وبدون حركة نقدية رصينة وجادة سوف تبقى عمليـة



الخلاق الفني متعثرة وغير مرتكزة على أسس قوية،
هكذا يجب أن نفهم العملية النقدية وهكذا يجب أن
تكون النظرة، أما النظرة السطحية أو الجزئية والتي
تعتبر العملية النقدية مجرد إضافة كمية أو تفسير له
فقط فإنها نظرة خاطئة.

إن للنقد مهمتين أساسيتين الأولى: أن يهيئ الشروط
المناسبة للخلاق الفني والثانية: أن يتابع هذا الخلاق في جميع
مراحله من اجل توضيحه وتعميقه وإغنائه من خلال هاتين
المهمتين يكتسب صفة الإبداع، وإذا أخذنا على الرواية
العربية ضعفها وتعثرها وعدم وجود ملامح لها، فإن النقد
سبب في هذه الحالة لأنه لم يسهم المساهمة الضرورية في
وضع المقاييس والأسس التي تقاس ويرتكز عليها العمل
الفني بحيث ظل الكثير من الأعمال الفنية بالنسبة للكاتب
والقارئ معا مجهولة أو غير مدروسة بعناية.

وإذا كانت عملية الخلاق الفني والإبداع تحتاج إلى
موهبة فيبدو أن الناقد الجدير بهذه التسمية بحاجة إلى موهبة
مضاعفة لفهم العمل الفني ووضعه في مكانه من حيث
الزمان والمكان ومقارنته بالأعمال المماثلة واكتشاف نقاط



القوة والضعف فيه، أما الاستمرار في التقييم الشخصي الذي يفتقر إلى الموضوعية والفهم والذي يقع في مقولات عامـة مكررة فإنه يجعل عملية النقد ذات أثر سلبي ويفسد الـذوق العام ويساعد في أضعاف الخلق والإبداع.

أما لماذا لم يظهر الناقد المتخصص ولماذا لم يظهر لو كان عربي فأتصور أن الأمر لا يقتصر على الناقد الروائـي إنما يمتد إلى عشرات الاختصاصات ويتجاوزها أيضـا، إن وجود لوكاتش محصلة لوضع عام، إنه لم يشـق الجـدران ويخرج منها وإنما ولد في بيئة مهيئة لوجوده واستقباله ولـو لم يكن هو بالذات لكان غيره، قد يكون هذا الغيـر أكثـر أو أقل أهمية لكن الظروف الموضوعية مهيأة لوجوده بعكس ما يحدث في المنطقة العربية وفي الظروف الراهنة وفي زحمة الانشغالات اليومية والبحث المتواصل عن لقمة الخبز وتأمين الحد الضروري من إمكانية الحيـاة والاسـتمرار، إن هـذه الأوضاع غير قادرة على خلـق لوكـاتش إلا بكثيـر مـن الصعوبة والمعاناة والتضحية الشخصية فالناقد المتفرغ للعمل الروائي لا يمكن أن يقتات من السماء كما لا يمكن أن ينتظر الهبة التي لا تأتي، إنه بحاجة لأن يكون موظفا في مكان ما

وأن يعمل عدد من الساعات في مجلة أو دائرة لكي يـؤمن قوته وأن يمتلك إمكانية شراء الكتب والسفر، إن وضعا مثل هذه لا يتيح التخصص أو التفرغ ولذلك لا يمكن أن نكتشـف لوكاتش فجأة ومع ذلك فإن عمليـة النقـد بكـل مشـاكلها وعلاقاتها المريضة إذا بذلت داخلها ومـن أجلهـا الجهـود تستطيع أن تلعب دورا أكثر فعالية وأهمية مما يحصـل الآن وتستطيع بالتالي أن تساعد الرواية وأن تقودها، وحتى ذلـك الوقت سوف نسمع أشياء كثيرة وسـوف تبقـى العلاقـات الشخصية هي الأساس وسوف يبقى الكثير من الأعمال فـي زوايا مظلمة.

إن ديستوفيسكي خلقه ناقد أول مرة من خـلال خلـق الناقد له بدأ يخلق نفسه أما لو كان ذلـك الناقـد جـاهلا أو كسولا أو أنانيا فإن ديستوفيسكي كان مضـطرا لأن ينتظـر وقتا طويلا لكي يقدم روائعه أو ربما لم يقدمها أبدا..

من هنا تبرز أهمية دور النقد وفعاليته ومدى تأثيره في خلق القارئ والكاتب معا وبالتالي في خلق البيئة وبـدروها إلى وجود لوكاتش وغيره.

حوار مع مناضلة فلسطينية. الحياة تبدأ من الضفة الأخرى لليأس

يا دارنا يا أم الحجر الأحمر	إحنا رحلنا وغيرنا الـوطن
يا دارنا يا أم الحجر والطوق	يا عليا ومشـروعها لفـوق
يا دارنا يا اللي ربيتينا فيكي	لا عادت تأوينا ولا تـأويكي
يا دارنا إن نزواك غربا عنا	إلو حيبيبهم يا دار حتي نعاود

ليس مهما ذكر اسمي، سأبدا بحسابات الربح الكثيـر، والخسارة، تتدخل علامتا زائد وناقص في رحلة العمر بشكل مثير، لأضع أولاً ما ضاع أمام علامة ناقص ضـلعان مـن الصدر، جزء من المعدة، طحال، جزء من الأمعاء الدقيقـة، مساحة من عضلات البطن، أجزاء متنـاثرة ضـمرت مـن الجسم، أحلام مستحيلة التحقيق، أمام علامة زائد وصل فـي الأمعاء فرحتان بالمعدة حزام للبطن لا أستطيع الحياة بدونـه لحظة واحدة، تعليمات صارمة تنظم كـل مـا فـي العمـر والمشي والأكل والنوم، وحتى الضحك والبكاء، تـلال مـن الهموم والأحزان قلت في البداية، ليس مهما ذكر اسمى هأنذا أقول ليس مهما أن أحكي حكايتي، وما قيمة كل شـئ لقـد

وصلت إلى الضفة الأخرى لليأس مهمـا أقنعتنـي بجـدوى الحديث فالصمت سلوى وعزائي وزادي.

لا يحتاج المتحدث إلى تقديم، والحديث التالي جرى في حجرة صغيرة، مزدحمة وتائهة بمستشفى النيل الجامعي على مدى أيام وليالي طوال، لا أدرى كم عددها، تعرضـنا فيـه للكثير من الموضوعات، في شئ مـن التعـب والفوضـى والضنى، ولم تكن موضوعات الحديث عن النضال والثـورة الدائمة واستراتيجية الدفاع والهجوم ولم ينزلـق مـن فـوق لسانها كلمات كبيرة الحجم لم تقل تعريب فلسطين أو فلسطنة العالم العربي.

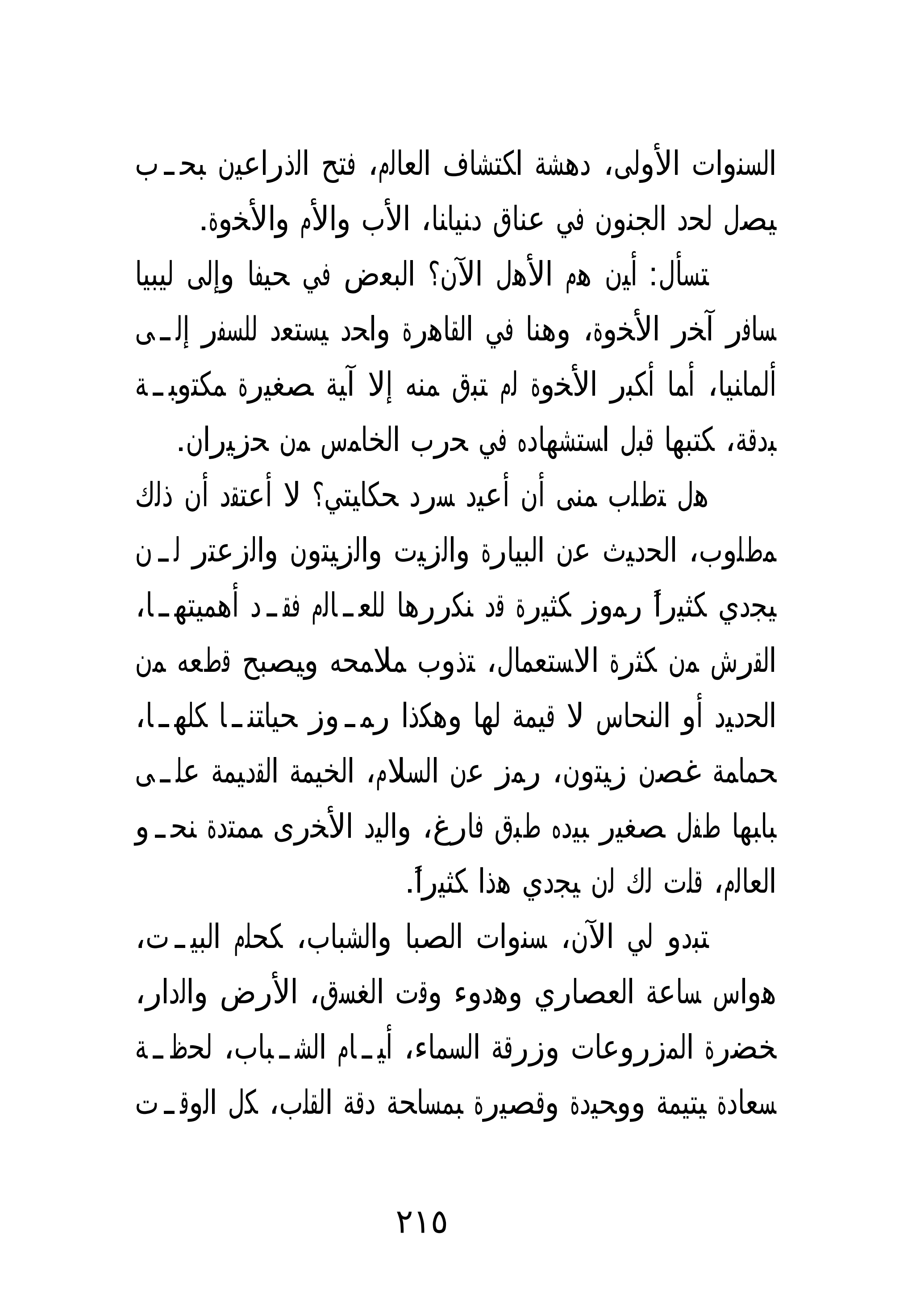
وكان للحديث معها مفردات أخرى ، حياتها الخاصة، الميلاد، سنوات الشباب في فلسطين، العمل الفدائي، الوشـاية بها، القبض عليها، العذاب والتعذيب والضنى داخل سـجون العدو الصهيوني ثم الحضور إلى القاهرة للعلاج، في ليـالي كثيرة كنت أجلس بجوارها، فوق سرير سفرى صغير فـي حجرة تطل على نيل مصر، وكانت ملاحظاتي تتحول إلـى أسئلة والأسئلة إلا علامات اسـتفهام جارحـة، وعلامـات

الاستفهام إلى رحابة من العواطف والمشاعر، كنا في رحلـة بحث حول بعض المعاني البسيطة، وأولها بطولة الإنسان.

ورغم بساطة الكلمات فلقد أحسست بشئ ما بـداخلها، أنه الأرض لا يمكن أن يعد شعب إلى وطنـه إلا أن وجـد أرضاً يعيش فوقها، في التاريخ قبائل داست العالم من أقصاه إلى أقصاه، صالت وجالت، كالمغول، ولكنها ليست شعوباً إذ لا شعب بلا أرض.. وإسرائيل قد تسمح بأي شيء. ولكنهـا لن تسمح بأن تتحول فلسطين إلى أرض.

باختصار دعونا من الكلام، لم يعد يجدى كثيراً، دعونا نستمع إلى مناضلة فلسطينية، عادت أخيراً من سجون العدو الإسرائيلي ولتطرح منذ البداية، الطريقة التقليدية في عمـل حديث صحفي، حيث تتحول المسألة إلى ذكاء فـي طـرح السؤال، وفهلوة في استخلاص الجواب فقط، سأدون هنا مـا قالته، بدون نظام وبدون ترتيب.

تقول ولدت في عام المحنة الأول وأسـأل أي المحـن تقصدين؟ فترد بصوت يقطر أسى: وأي الأعوام خلت مـن المحن؟ يبدو لي تساؤلي في مرارة هذا الزمان: تقول ولـدت في العام الذي فقدنا فيه أرضنا في سنة ١٩٤٨، لا أذكر جيداً



السنوات الأولى، دهشة اكتشاف العالم، فتح الذراعين بحب يصل لحد الجنون في عناق دنيانا، الأب والأم والأخوة.

تسأل: أين هم الأهل الآن؟ البعض في حيفا وإلى ليبيا سافر آخر الأخوة، وهنا في القاهرة واحد يستعد للسفر إلى ألمانيا، أما أكبر الأخوة لم تبق منه إلا آية صغيرة مكتوبة بدقة، كتبها قبل استشهاده في حرب الخامس من حزيران.

هل تطلب مني أن أعيد سرد حكايتي؟ لا أعتقد أن ذلك مطلوب، الحديث عن البيارة والزيت والزيتون والزعتر لن يجدي كثيراً رموز كثيرة قد نكررها للعالم فقد أهميتها، القرش من كثرة الاستعمال، تذوب ملامحه ويصبح قطعه من الحديد أو النحاس لا قيمة لها وهكذا رموز حياتنا كلها، حمامة غصن زيتون، رمز عن السلام، الخيمة القديمة على بابها طفل صغير بيده طبق فارغ، واليد الأخرى ممتدة نحو العالم، قلت لك لن يجدي هذا كثيراً.

تبدو لي الآن، سنوات الصبا والشباب، كحلم البيت، هواس ساعة العصاري وهدوء وقت الغسق، الأرض والدار، خضرة المزروعات وزرقة السماء، أيام الشباب، لحظة سعادة يتيمة ووحيدة وقصيرة بمساحة دقة القلب، كل الوقت

دقة قلب بدأت بها سعادتي، وبها انتهت أيضاً، ما قيمة أن أذكر اسمه أو عمله، كنت أسأل عنه كل مساء، اللهفة الشوق والحبور ثم ماذا ينبض القلب، لم يعد يستطيع حتى أن يبكي، تجمد الدم في العروق، وتلونت الدنيا بلون التراب.

لم يبق بعد هذا سوى «ارض» فلسطين تزوجتها، كانت حبي وأملي وعزائي وسلواي لا أستطيع أن أفسر كيف تم الأمر، ولا متي، ذات صباح حضر إلى أخي، طلب مني الاستعداد للذهاب في اليوم التالي إلى مكان للتدريب، لم يقل كلاماً كثيراً ، أنجز الصمت كل المطلوب بيننا، هناك اكتسبت الأشياء أسماء جديدة، المكان يسمونه المعسكر، القنابل «تفاح» وهكذا عشت لذة الاكتشاف الأول وكان عالمي مثقلاً بكل الاكتشافات الرائعة والمدهشة، صدقني أرجوك، قد تسأل: لم فعلت هذا، وأقول لك: عندما فعلته لم أدرك معنى ما يحدث ولكني أقول لك ببساطة وجدت نفسي، وجدت الكلمات التي أشرح بها ما بداخلي، ففى عمليتنا الأولى، كنت مكلفة بمهمة، وأتممتها مع بعض الزملاء، وعدنا سالمين، وفي العملية الأولى عثرت على حقيقة كياني الجديد. ووضعت يدي على هذه الحقيقة، كنت قد تعديت العشرين

بسنوات قليلة، وكانت أهم الحقائق أن أنوثتي ذلـك الكيـان المتفجر بداخلي تحولت إلى مسارات أخرى، لم أعد الرفيقـة أو الزوجة أو الحبيبة أو العشيقة، أصبحت شيئاً آخر، مساوياً للرجل، أعبر عن وجودي وتفجيري من خلال إبداع كل يوم وعندما تتلاقى النظرات أو تصطدم الأيدي كنا نكتشف أننـا في غيبوبة عن أنفسنا. كانت هناك الأرض، أنستنا كل حقائق حياتنا الصغيرة.

الثانية والنصف تماماً.

ما زلت أذكر هذا جيدا. للوشـاية رائحـة لا ينكرهـا الأنف ولا يخطئها الإنسان، ومن العتمـة خرجـت ملامـح اثنين، كانا يتكلمان بلغة أهل بلادي، القيا تحية السـماء، قـالا كلاماً عن فلسطين والمقاومة وعن الغربة والخيام البعيدة ثـم سارا على أن يعودوا مرة أخرى.

لم استرح لكلامهما، في الثامنة والنصف حضر مـن قبضوا على، تحت السرير وجدوا عدداً من التفاح، معـذرة، فقابل وعشر طبنجات وكمية من الـذخيرة ومـدفعين، هـل ستطلب مني وصف ما حدث داخل سجون إسـرائيل، لـن يكون هناك جديد في كل ما أقوله، ولكي تدرك معنـى هـذا

فاعلم أنه أجريت لي ٢٦ عملية جراحية فـي كـل أجـزاء جسمي عدا الجراحات السريعة داخل أسواء السجن ثم إن ما حدث لم يحدث لي وحدي بل لكل الذين يقبض علـيهم مـن أبناء فلسطين، وهذا يحدث كـل يـوم، بـل ويحـدث الآن، وسيظل يحدث في مستقبل أيامنا. ما الفائدة؟

استجوابات. سيل لا ينتهي من الأسئلة، ولكن السـؤال والجواب مع من تعملين، اسمك، سكنك، الجهة التي تمولكم، الاسم الحركي والدفتر، والوثائق التـي معـك، أيـن هـي، الأسماء التي بداخل ذاكرتك، قوليها اسماً اسـماً، المـوت أو الاعتراف، والموت هنا ليس إغماضـة عـين بـل تعـذيب متصل، الموت يأتي ويدخل الجسم، على مدى العمـر كلـه، الموت بالتقسيط تكلمي، وعندما بدا أن صمتي حقيقة، بـدأت قائمة التعذيب، تراب أسيا يموت في عينـي، ميـاه أنهـار تبخرت ويتبخر معها الكثير، الأحذيـة العسـكرية الغريبـة الصنع تدوس حياتنا وكرامتنا، أشجار بلادي كلها أصـبحت أشجار صبر لا يميتها الجوع أو العطش ولا تحرقها الشمس.

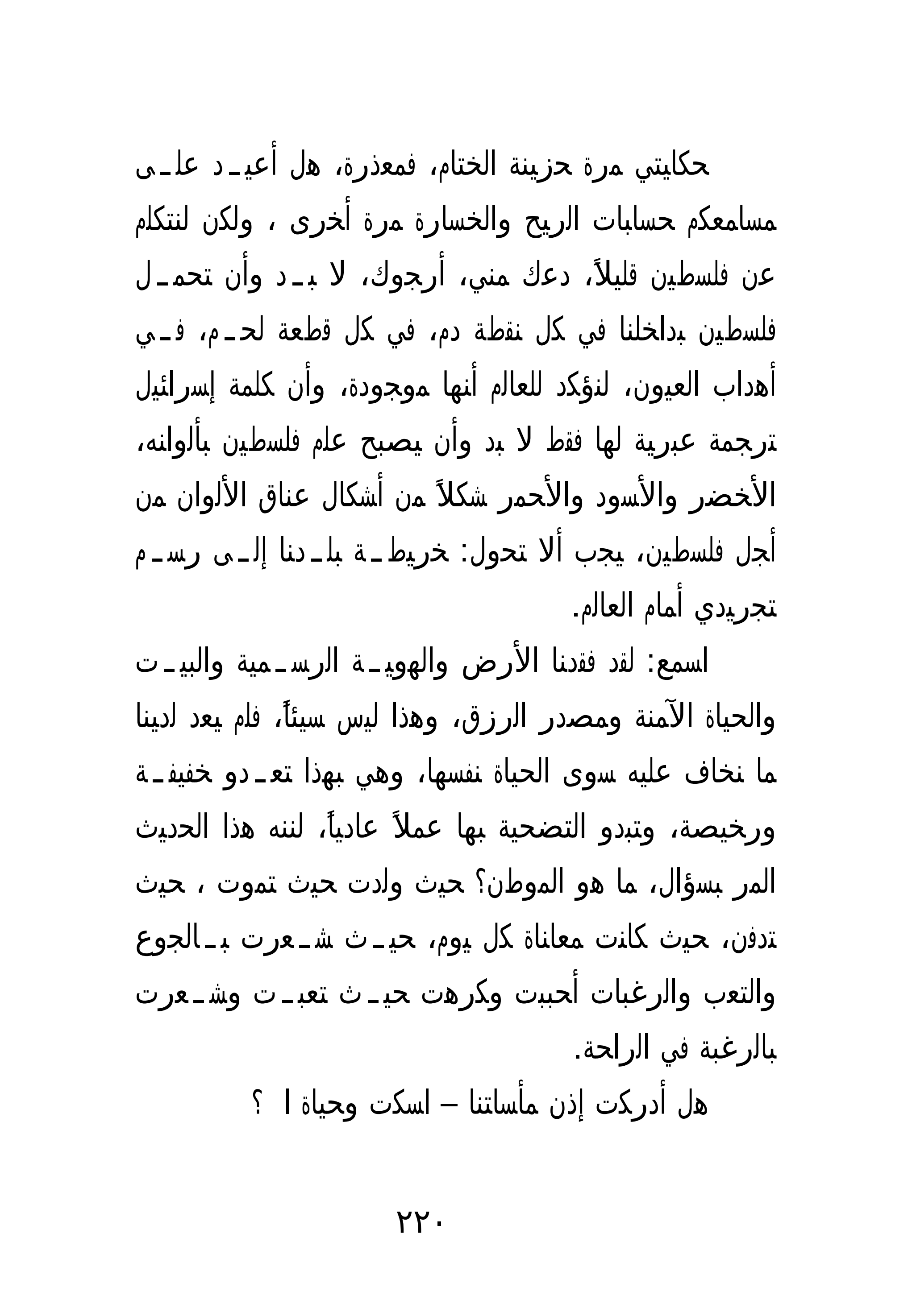
الضرب باليدين، أياد غلاظ، الضرب بالعصى، أنواع كثيرة من العصى، طويلة وقصيرة مدببة وحادة، العصى من

الحديد، الحديد الساخن، الحديد الأحمر من كثرة التدخين، إلى هنا ينتهي بند الضرب، ليبدأ بند آخر، لك، تقليـع الأظـافر، تقليع الشعر، التشريط في أكثر من مكان بالجسم، الجلـوس ليلة كاملة في مياه باردة، النوم طوال الليل في حجرة صغيرة مع كلبة وأولادها الصغار.

سألت نفسي في أول ليلة وأنا أستمع لنشـرة الأخبـار تأتي من بعيد، العالم قد نسينا، لا يـذكر عالمنـا إلا عنـدما نحاول أن نجرب الحياة أو نحاول أن نجرب المـوت قلـت بصوت مهزوم عالمنا مـدجج بالسـلاح ونحـن مـدججون بالقيود.

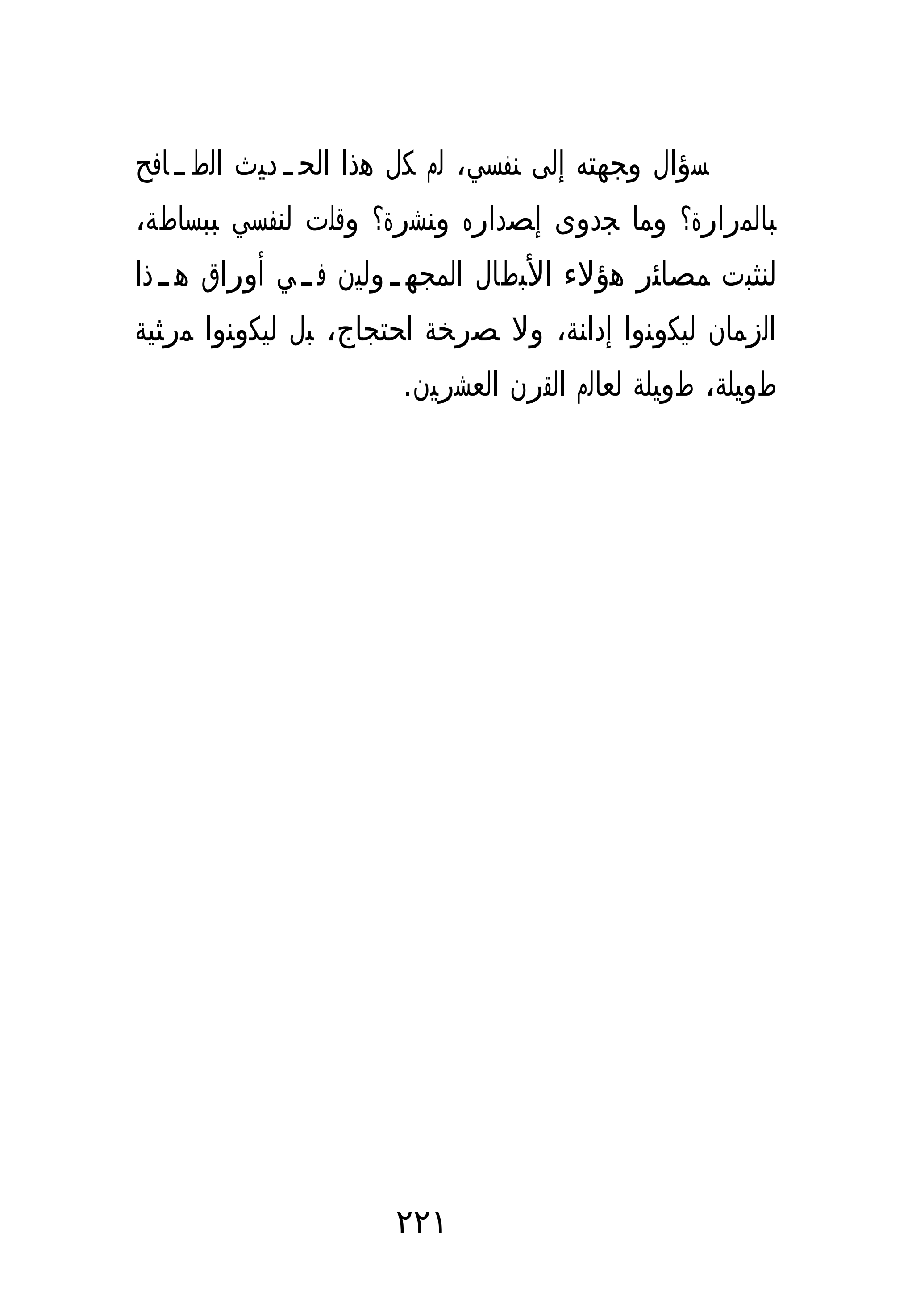
ذهبت إلى المستشفى وعدت، ثم ذهبت وعدت، سافرت إلى أمريكا للعلاج وعدت، وكان واضحاً أن دائي لم يكتشف له طبيب بعد، الجوع والعطش في الصحراء، الموت، الحلـم في العراء.

ثم كان الحضور إلى مصر، أملاً حقيقياً لي، بدا لـي ميدان التحرير قبلة الدنيا، حضرت إليها من قبل، ولكنها تظل لنا الكعبة والأمل والملاذ.


حكايتي مرة حزينة الختام، فمعذرة، هل أعيـد علـى مسامعكم حسابات الربح والخسارة مرة أخرى ، ولكن لنتكلم عن فلسطين قليلاً، دعك مني، أرجوك، لا بـد وأن تحمـل فلسطين بداخلنا في كل نقطة دم، في كل قطعة لحـم، فـي أهداب العيون، لنؤكد للعالم أنها موجودة، وأن كلمة إسرائيل ترجمة عبرية لها فقط لا بد وأن يصبح علم فلسطين بألوانه، الأخضر والأسود والأحمر شكلاً من أشكال عناق الألوان من أجل فلسطين، يجب ألا تحول: خريطـة بلـدنا إلـى رسـم تجريدي أمام العالم.

اسمع: لقد فقدنا الأرض والهويـة الرسـمية والبيـت والحياة الآمنة ومصدر الرزق، وهذا ليس سيئاً، فلم يعد لدينا ما نخاف عليه سوى الحياة نفسها، وهي بهذا تعـدو خفيفـة ورخيصة، وتبدو التضحية بها عملاً عادياً، لننه هذا الحديث المر بسؤال، ما هو الموطن؟ حيث ولدت حيث تموت ، حيث تدفن، حيث كانت معاناة كل يوم، حيـث شـعرت بـالجوع والتعب والرغبات أحببت وكرهت حيـث تعبـت وشـعرت بالرغبة في الراحة.

هل أدركت إذن مأساتنا – اسكت وحياة ا ؟

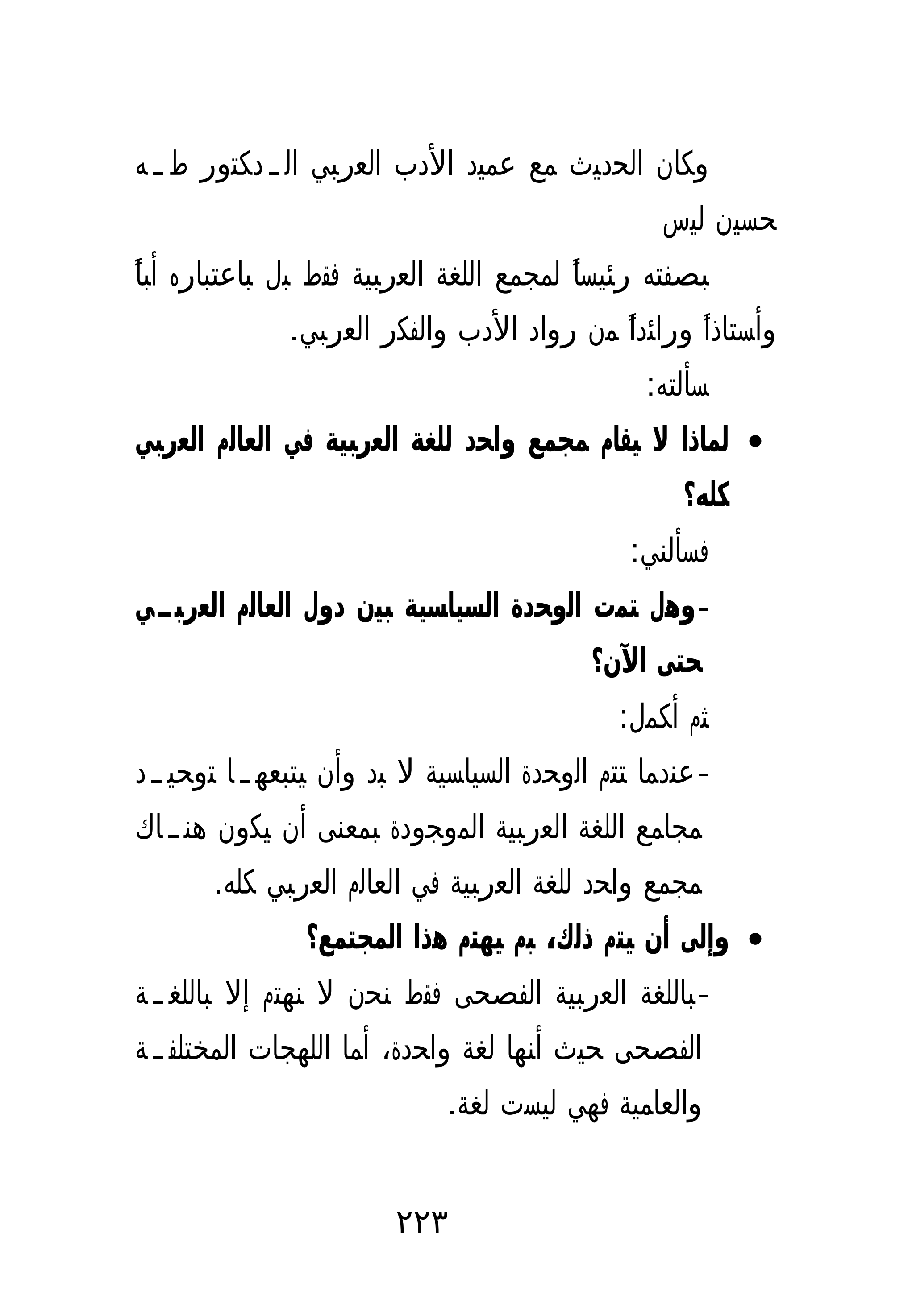


سؤال وجهته إلى نفسي، لم كل هذا الحديث الطافح بالمرارة؟ وما جدوى إصداره ونشرة؟ وقلت لنفسي ببساطة، لنثبت مصائر هؤلاء الأبطال المجهولين في أوراق هذا الزمان ليكونوا إدانة، ولا صرخة احتجاج، بل ليكونوا مرثية طويلة، طويلة لعالم القرن العشرين.

الدكتور طه حسين يقول:

اللغة العربية تمر الآن بأزمة حادة

على مدى خمسة عشر يوماً عقد مجمع اللغة العربية بالقاهرة الدورة (٢٩) ليناقش أعضاؤه مصطلحات الفيزقيات النووية والمصطلحات الاقتصادية والمصطلحات الكيميائية والجيولوجية وتلقى فيه الأبحاث التي تتناول قضايا اللغة العربية وربما كان من المعتاد في كل دورة أن تقرأ في الصحف اليومية خبر بدء دورات المجمع وخبر انتهائها وما تم إنجازه من الأعمال ثم نمر عليها مر الكرام كأن الأمر لا يعنينا وتظل أعمال المجمع وإنجازاته في النهاية سراً خاصاً بالمجمعيين وحدهم رغم أن ما يناقشونه متصل بنا، بحياتنا، بوجودنا نفسه، إنه اللغة التي نتفاهم بها، ورغم أهمية لغتنا أو قضاياها فلا يوجد لها في العالم العربي كله سوى ثلاث مجامع فقط مجمع القاهرة وهو أقدمها حيث أنشئ سنة ١٩٣٢ ثم مجمع في بغداد وآخر في سوريا، إذا كانت اللغة هي ما يخص المتكلمين بها جميعاً مهما كانت درجة اختلافهم فلا بد وأن تكون دورة المجمع مناسبة لحديث قد يطول عن لغتنا.



وكان الحديث مع عميد الأدب العربي الـدكتور طـه حسين ليس

بصفته رئيساً لمجمع اللغة العربية فقط بل باعتباره أباً وأستاذاً ورائداً من رواد الأدب والفكر العربي.

سألته:

- **لماذا لا يقام مجمع واحد للغة العربية في العالم العربي كله؟**

فسألني:

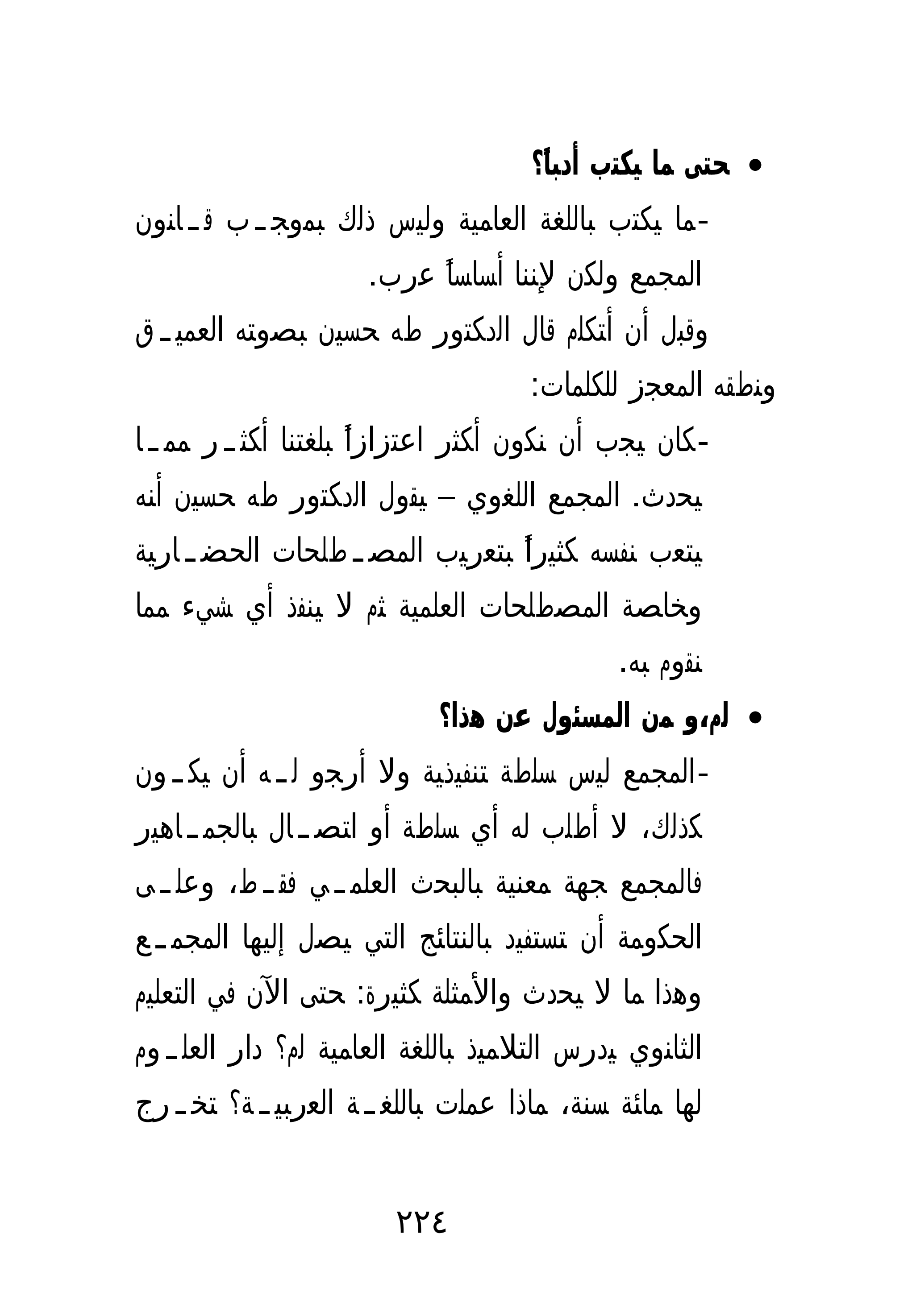
-وهل تمت الوحدة السياسية بين دول العالم العربـي حتى الآن؟

ثم أكمل:

-عندما تتم الوحدة السياسية لا بد وأن يتبعهـا توحيـد مجامع اللغة العربية الموجودة بمعنى أن يكون هنـاك مجمع واحد للغة العربية في العالم العربي كله.

- **وإلى أن يتم ذلك، بم يهتم هذا المجتمع؟**

-باللغة العربية الفصحى فقط نحن لا نهتم إلا باللغـة الفصحى حيث أنها لغة واحدة، أما اللهجات المختلفـة والعامية فهي ليست لغة.



- **حتى ما يكتب أدباً؟**

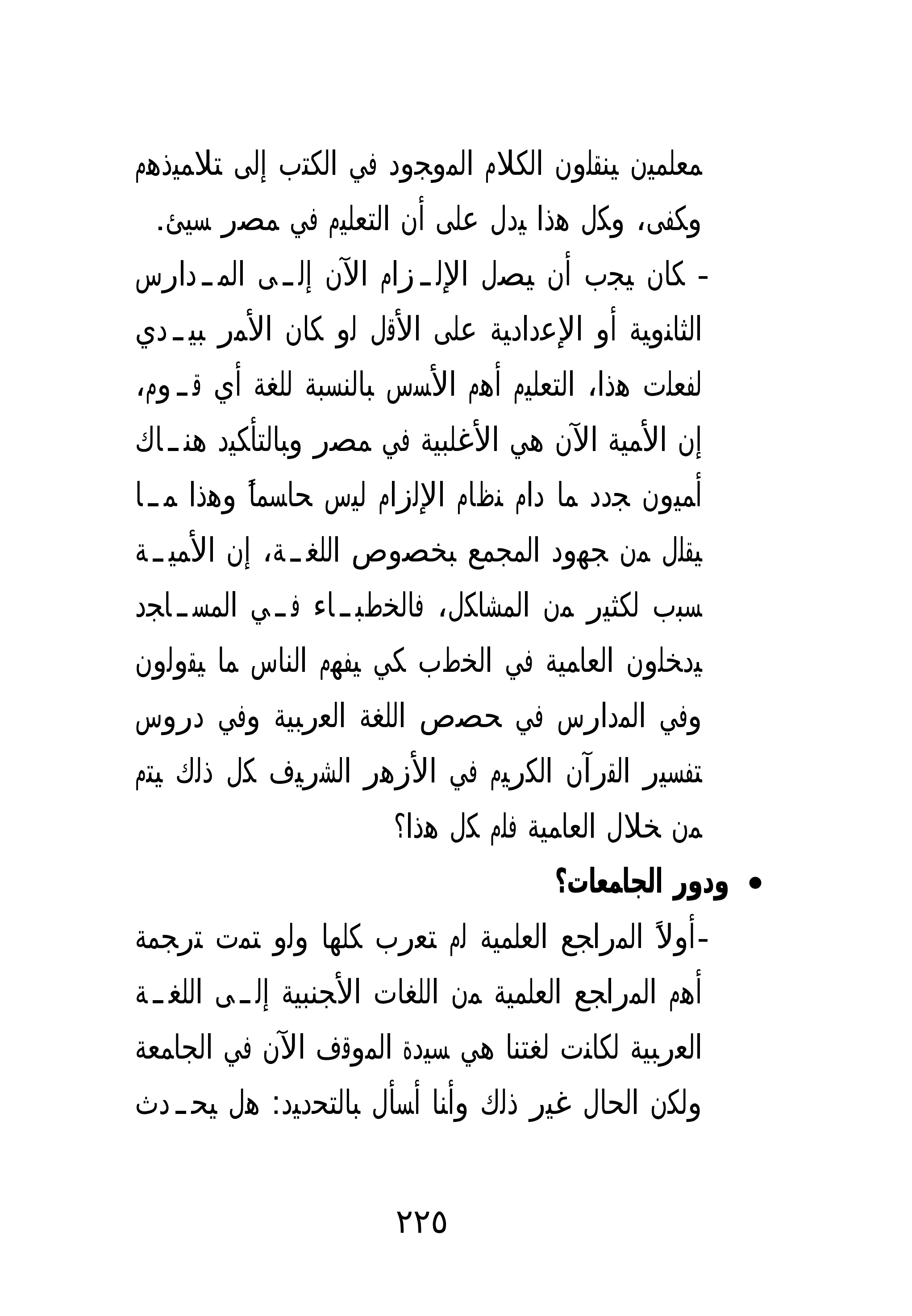
-ما يكتب باللغة العامية وليس ذلك بموجب قانون المجمع ولكن لإننا أساساً عرب.

وقبل أن أتكلم قال الدكتور طه حسين بصوته العميق ونطقه المعجز للكلمات:

-كان يجب أن نكون أكثر اعتزازاً بلغتنا أكثر مما يحدث. المجمع اللغوي – يقول الدكتور طه حسين أنه يتعب نفسه كثيراً بتعريب المصطلحات الحضارية وخاصة المصطلحات العلمية ثم لا ينفذ أي شيء مما نقوم به.

- **لم،و من المسئول عن هذا؟**

-المجمع ليس سلطة تنفيذية ولا أرجو له أن يكون كذلك، لا أطاب له أي سلطة أو اتصال بالجماهير فالمجمع جهة معنية بالبحث العلمي فقط، وعلى الحكومة أن تستفيد بالنتائج التي يصل إليها المجمع وهذا ما لا يحدث والأمثلة كثيرة: حتى الآن في التعليم الثانوي يدرس التلاميذ باللغة العامية لم؟ دار العلوم لها مائة سنة، ماذا عملت باللغة العربية؟ تخرج

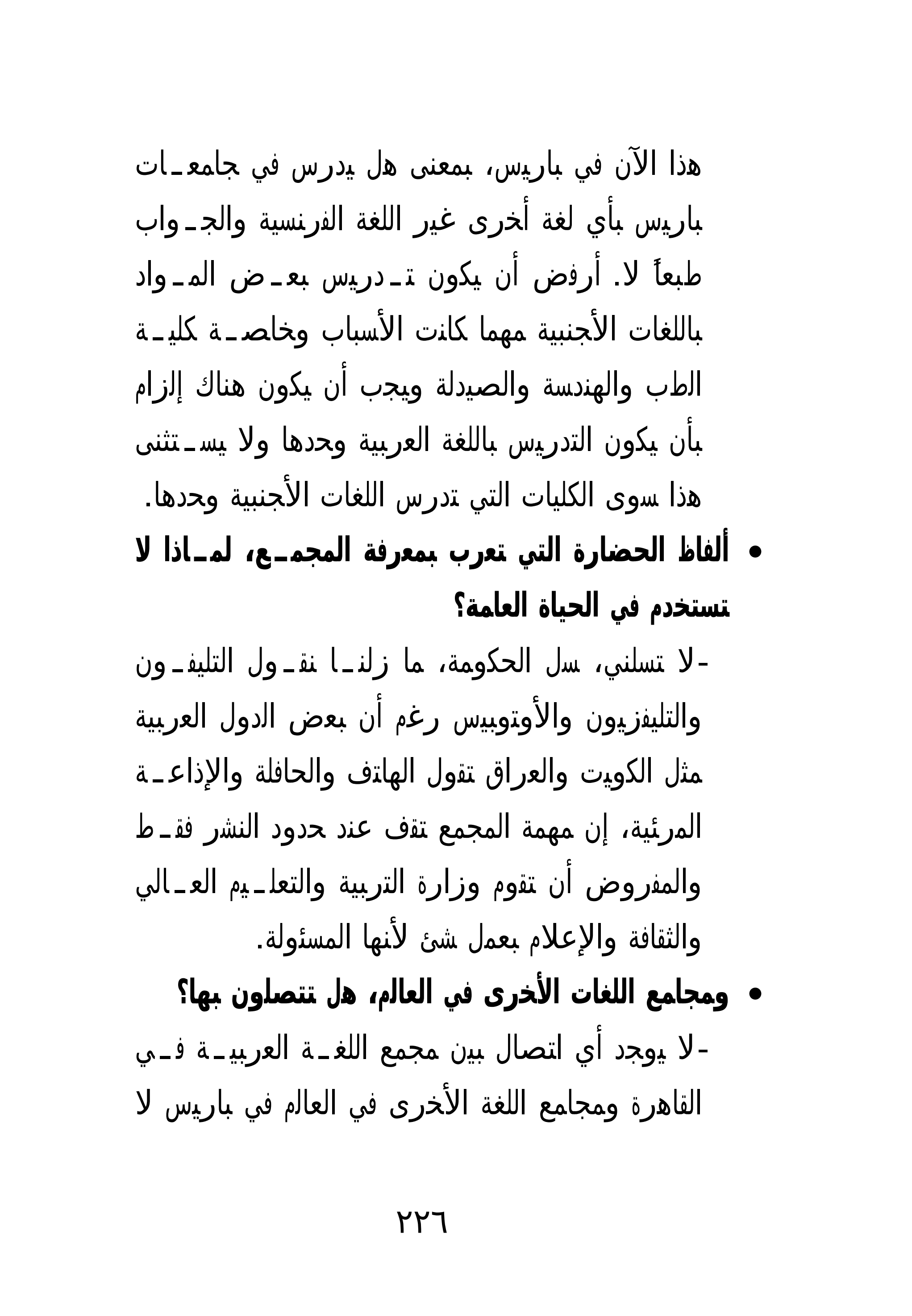


معلمين ينقلون الكلام الموجود في الكتب إلى تلاميذهم وكفى، وكل هذا يدل على أن التعليم في مصر سيئ.

- كان يجب أن يصل الإلـزام الآن إلـى المـدارس الثانوية أو الإعدادية على الأقل لو كان الأمر بيـدي لفعلت هذا، التعليم أهم الأسس بالنسبة للغة أي قـوم، إن الأمية الآن هي الأغلبية في مصر وبالتأكيد هنـاك أميون جدد ما دام نظام الإلزام ليس حاسماً وهذا مـا يقال من جهود المجمع بخصوص اللغـة، إن الأميـة سبب لكثير من المشاكل، فالخطبـاء فـي المسـاجد يدخلون العامية في الخطب كي يفهم الناس ما يقولون وفي المدارس في حصص اللغة العربية وفي دروس تفسير القرآن الكريم في الأزهر الشريف كل ذلك يتم من خلال العامية فلم كل هذا؟

- **ودور الجامعات؟**

-أولاً المراجع العلمية لم تعرب كلها ولو تمت ترجمة أهم المراجع العلمية من اللغات الأجنبية إلـى اللغـة العربية لكانت لغتنا هي سيدة الموقف الآن في الجامعة ولكن الحال غير ذلك وأنا أسأل بالتحديد: هل يحـدث

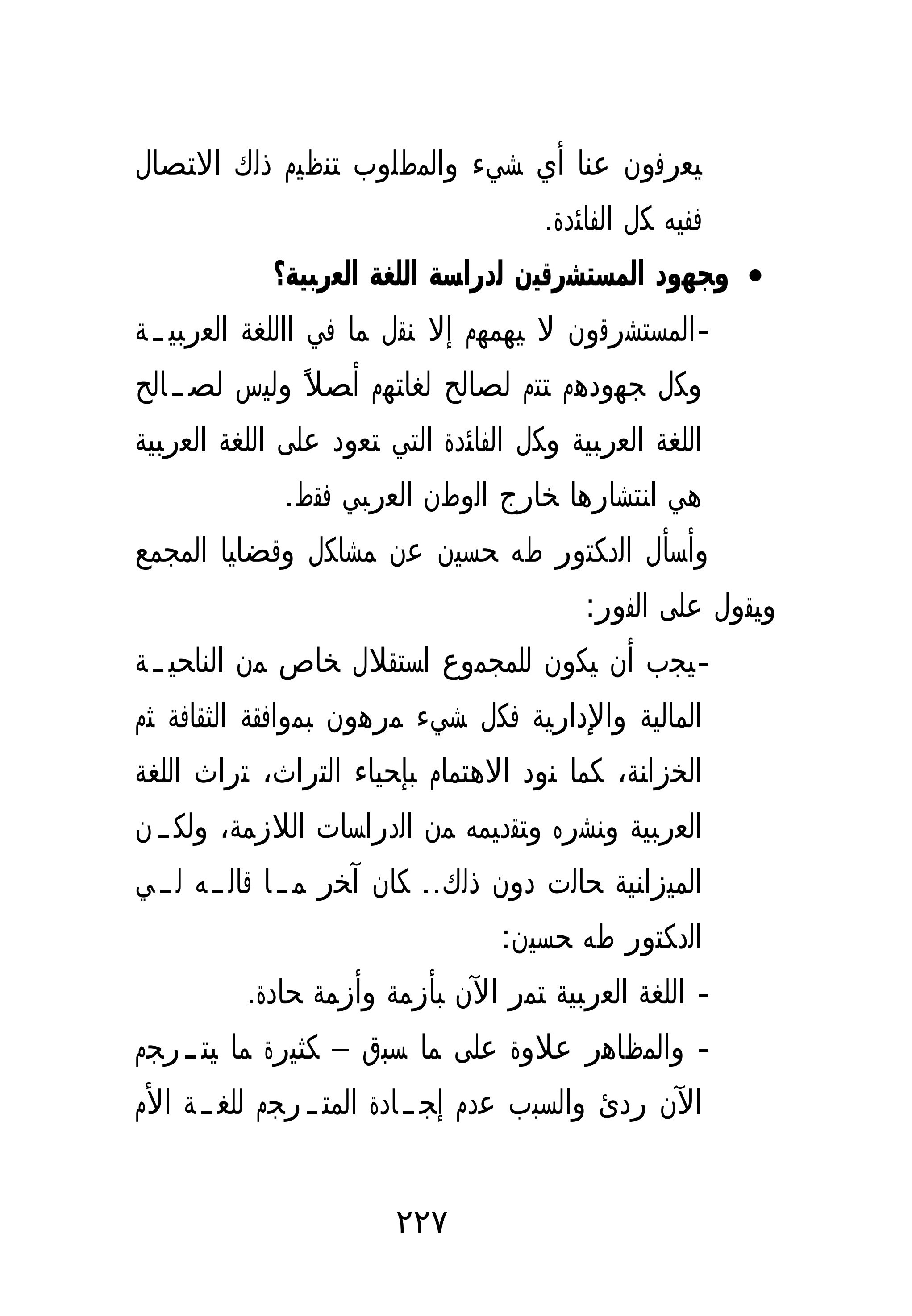

هذا الآن في باريس، بمعنى هل يدرس في جامعـات باريس بأي لغة أخرى غير اللغة الفرنسية والجـواب طبعاً لا. أرفض أن يكون تـدريس بعـض المـواد باللغات الأجنبية مهما كانت الأسباب وخاصـة كليـة الطب والهندسة والصيدلة ويجب أن يكون هناك إلزام بأن يكون التدريس باللغة العربية وحدها ولا يسـتثنى هذا سوى الكليات التي تدرس اللغات الأجنبية وحدها.

- **ألفاظ الحضارة التي تعرب بمعرفة المجمـع، لمـاذا لا تستخدم في الحياة العامة؟**

-لا تسلني، سل الحكومة، ما زلنـا نقـول التليفـون والتليفزيون والأوتوبيس رغم أن بعض الدول العربية مثل الكويت والعراق تقول الهاتف والحافلة والإذاعـة المرئية، إن مهمة المجمع تقف عند حدود النشر فقـط والمفروض أن تقوم وزارة التربية والتعلـيم العـالي والثقافة والإعلام بعمل شئ لأنها المسئولة.

- **ومجامع اللغات الأخرى في العالم، هل تتصلون بها؟**

-لا يوجد أي اتصال بين مجمع اللغـة العربيـة فـي القاهرة ومجامع اللغة الأخرى في العالم في باريس لا



يعرفون عنا أي شيء والمطلوب تنظيم ذلك الاتصال ففيه كل الفائدة.

- **وجهود المستشرقين لدراسة اللغة العربية؟**

-المستشرقون لا يهمهم إلا نقل ما في االلغة العربيـة وكل جهودهم تتم لصالح لغاتهم أصلاً وليس لصـالح اللغة العربية وكل الفائدة التي تعود على اللغة العربية هي انتشارها خارج الوطن العربي فقط.

وأسأل الدكتور طه حسين عن مشاكل وقضايا المجمع ويقول على الفور:

-يجب أن يكون للمجموع استقلال خاص من الناحيـة المالية والإدارية فكل شيء مرهون بموافقة الثقافة ثم الخزانة، كما نود الاهتمام بإحياء التراث، تراث اللغة العربية ونشره وتقديمه من الدراسات اللازمة، ولكـن الميزانية حالت دون ذلك.. كان آخر مـا قالـه لـي الدكتور طه حسين:

- اللغة العربية تمر الآن بأزمة وأزمة حادة.

- والمظاهر علاوة على ما سبق – كثيرة ما يتـرجم الآن ردئ والسبب عدم إجـادة المتـرجم للغـة الأم

المترجم إليها، أقصد العربية، ما يكتبه الأدباء الشباب، والسبب أيضاً اللغة، لم ينالوا التعليم الكافي من ناحية اللغة.

مرغما تركته فكان بودي أن أسمع عنه أكثر.

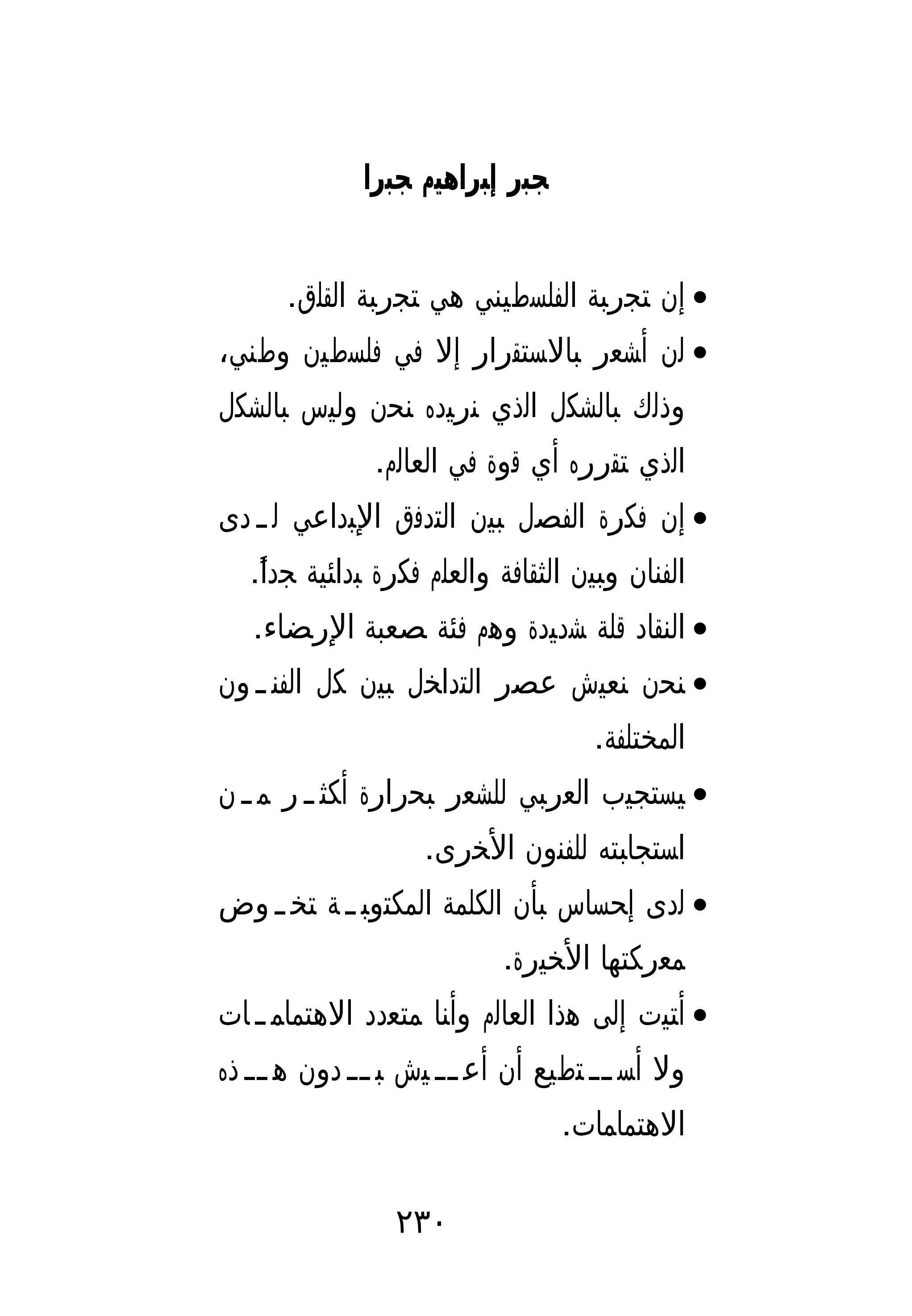
مشاكل المجمع

نعود الآن إلى مجمع اللغة العربية حيث تعقد الـدورة (٢٩) إلى من يحضرها، عـلاوة علـى أعضـاء المجمـع المصريين ١٥٠ عضواً من الوطن العربـي يجمـع بيـنهم الاهتمام باللغة العربية وقضاياها.

كان لقائي مع الدكتور إبراهيم مدكور الأمـين العـام للمجمع والموضوع: مشاكل المجمع، المبني يقف على رأس قائمة المشاكل، المبنى الحالي مبنى منذ أكثر مـن أربعـين سنة، والمطلوب مبنى آخر وبالفعل خصصت قطعـة أرض لإقامة المجمع الجديـد لكـن الطريـق لا يـزال طـويلاً، الإجراءات لا تنتهي عند حد ثم – يكمل الدكتور مـدكور – التقصير الكامل من جهة أجهزة الإعلام، من الممكن أن تقوم أجهزة الإعلام بدورين، أن تساعد على تنقية لغة الناس ثـم توصل ما يقوم به المجمع من جهود وأبحاث وأكبـر عـدد

ممكن من الجماهير وهذا ما يجب أن تقوم به أجهزة الإعلام كلها ونحن ندرك مدى تقصير وسائل الإعلام عندما نعـرف أن مجلة المجمع ومطبوعات المجمع وكتبه تنشـر وتتـداول خارج مصر أكثر من داخلها.

وأخيراً نطالب ببعض السعة في اعتمـادات المجمـع، فرسالته التي يقوم بها تفرض ذلك وتتطلبه حيـث لا تقـف الميزانية وبنودها عائقاً أمام أعمـال هامـة للمجمـع مثـل الاطلاع على كل ما ينشر في الخارج عن اللغـة العربيـة وعمل الدراسات والبحث عن تراث اللغة العربيـة وأحيـاء مسابقات المجمع للأعمال الأدبية كل عام بشكلها القديم.



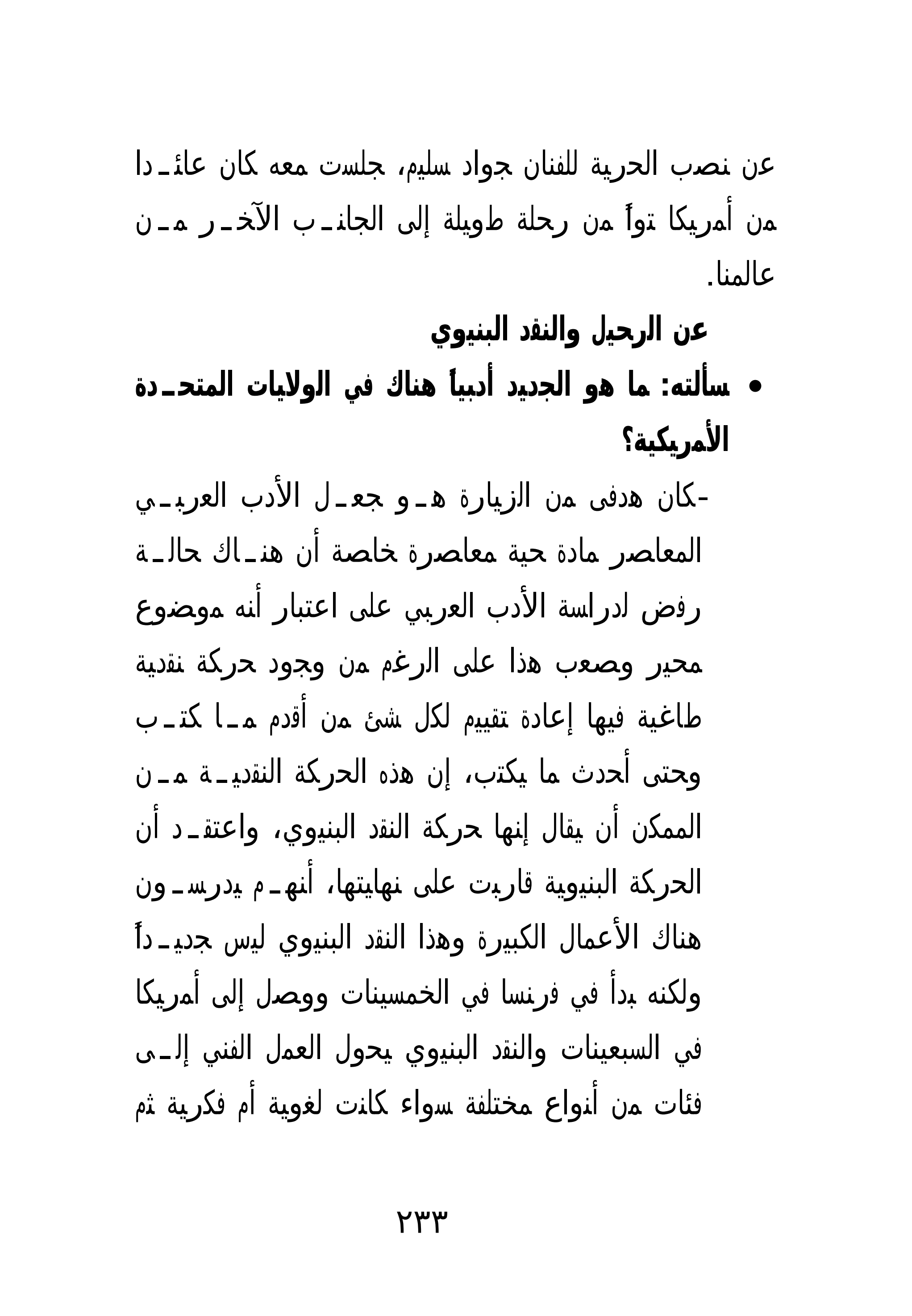
جبر إبراهيم جبرا

- إن تجربة الفلسطيني هي تجربة القلق.
- لن أشعر بالاستقرار إلا في فلسطين وطني، وذلك بالشكل الذي نريده نحن وليس بالشكل الذي تقرره أي قوة في العالم.
- إن فكرة الفصل بين التدفق الإبداعي لـدى الفنان وبين الثقافة والعلم فكرة بدائية جداً.
- النقاد قلة شديدة وهم فئة صعبة الإرضاء.
- نحن نعيش عصر التداخل بين كل الفنـون المختلفة.
- يستجيب العربي للشعر بحرارة أكثـر مـن استجابته للفنون الأخرى.
- لدى إحساس بأن الكلمة المكتوبـة تخـوض معركتها الأخيرة.
- أتيت إلى هذا العالم وأنا متعدد الاهتمامـات ولا أسـتطيع أن أعـيش بـدون هـذه الاهتمامات.

معرفتي به لها قصة لا بأس من روايتها هنا، ومن أن تكون هي المدخل الطبيعي لحديثي الطويل الذي أجريته معه على مدى جلستين، في منزله الأنيق بحي المنصور، أفخـر أحياء مدينة بغداد، والذي حدث أنه في سنة ١٩٦٩م صدرت روايتي الأولى «الحداد» في مصر في مطبعة محدودة فقيرة، معنى بالكلمة المكتوبة، في وطننا العربي، خاصة مـن لـه اهتمام بفن الرواية وأرسلت الرواية إلى الكثيرين، أعطـاني عناوينهم غالي شكري.. ورحت أنتظر، وكان الوحيد الـذي رد على في رسالة مطولة هو جبرا إبراهيم جبرا، من يومها ونحن نتبادل الرسائل، ونشأت بيننا على البعد صـداقة مـن نوع غريب. ولهذا عندما سافرت إلى بغداد كان مـن أهـم وأول مشروعاتي أن ألتقي به، وتم اللقاء.

وتكرر اللقاء، ولم يكن من حديث في هـذه اللقـاءات سوى عن حال عرب سنة ١٩٧٧ وأشهد أنه كان متفائلاً فهو عائد من رحلة طويلة إلى الجانب الآخر من عالمنا، عائد من أوروبا وأمريكا، أما أنا فمغروس هنا في القاع، كل يوم أفطر على خلافات وتمزقات وشـتائم العـرب، كانـت نظرتـي متشائمة، ولكنه كان متفائلاً إلى أبعد الحدود، بل قال لـي إن

المستقبل في عصرنا للعرب دون سواهم وأعتقـد أن تلـك كانت حالته أيضاً وعندما التقيت به منذ عامين مضـيا فـي بغداد أيضا، وربما بعيداً عن الأضواء حياته جادة ولا أعتقد أن فيها ما هو أكثر من العمل المستمر، وفـي الحقيقـة إن نشاط جبرا إبراهيم جبرا في ميدان أو ميادين الأدب ملحوظ بصورة غير عادية، له في الرواية ، «صـراخ فـي ليـل طويل» «والسفينة» وستصدر له عن وزارة الإعلام في بغداد قريباً روايته الثالثة: «البحث عن وليد مسعود» وكتب القصة القصيرة: صدرت له «تمزق». وكتب الشعر، له أكثر مـن ديوان شعري جيد، وكتب الدراسة النقديـة: لـه «الرحلـة الثامنة»، «النار والجوهر» هذا فضلاً عن الترجمات الكثيرة، ترجم رواية «وليم فـوكنر» الصـخب والعنـف، وتـرجم مسرحيات شكسبير، وآخر ما صدر له كتاب ارمند ويلسون «قلعة أكسل» هذا فضلاً عن رواية لـه كتبهـا بالإنجليزيـة وصدرت في لندن منذ سنوات، وترجمها الدكتور عصـفور، وصدرت بالعربية لأول مرة منذ ثلاثة أعوام، لا يمكن فـي هذا المقام أن نغفل اهتمامات جبرا بالفن التشكيلي، له كتـاب عن الفن التشكيلي المعاصر في العراق، ودراسته الشـهيرة

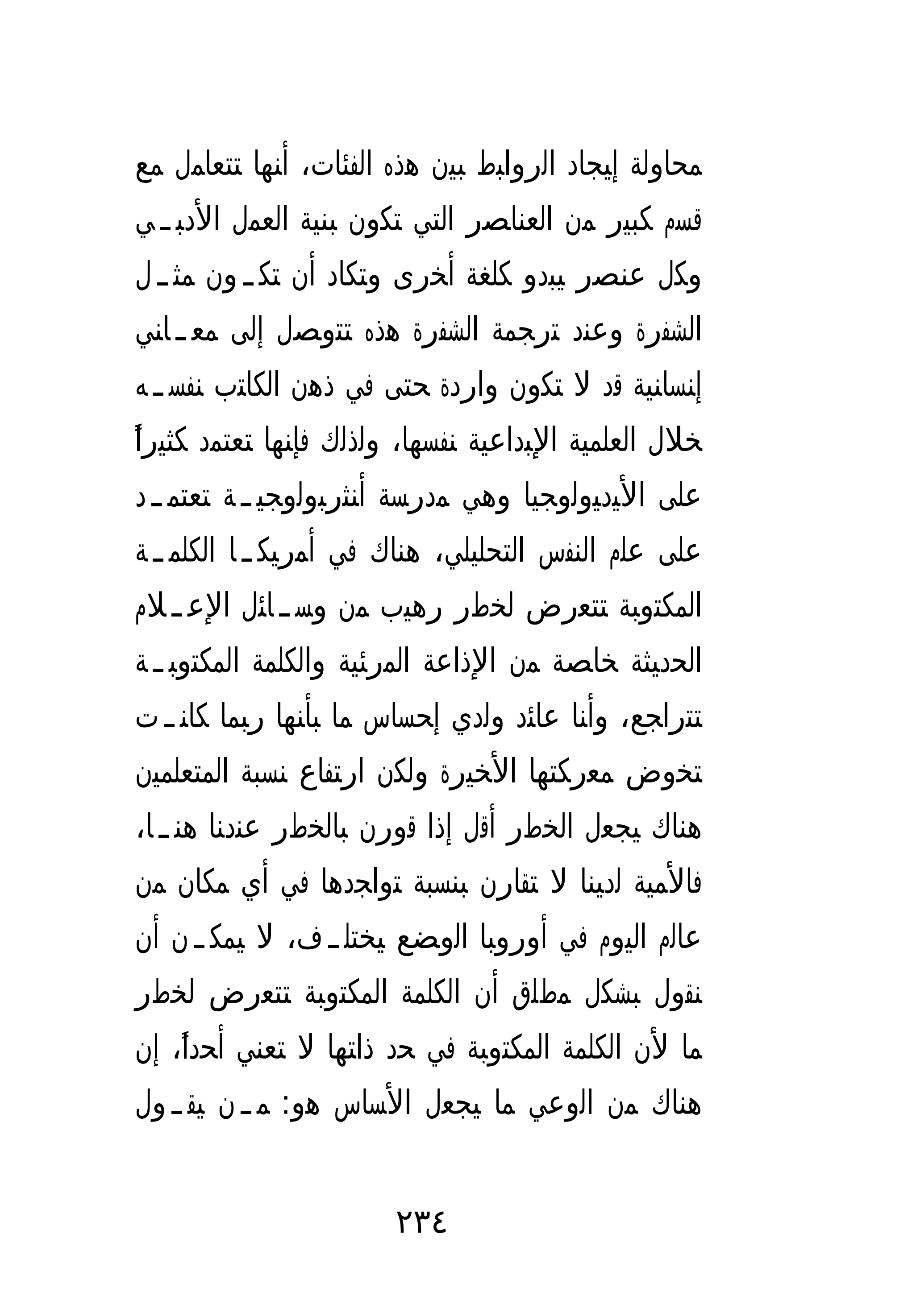


عن نصب الحرية للفنان جواد سليم، جلست معه كان عائـدا من أمريكا تواً من رحلة طويلة إلى الجانـب الآخـر مـن عالمنا.

عن الرحيل والنقد البنيوي

- **سألته: ما هو الجديد أدبياً هناك في الولايات المتحـدة الأمريكية؟**

-كان هدفى من الزيارة هـو جعـل الأدب العربـي المعاصر مادة حية معاصرة خاصة أن هنـاك حالـة رفض لدراسة الأدب العربي على اعتبار أنه موضوع محير وصعب هذا على الرغم من وجود حركة نقدية طاغية فيها إعادة تقييم لكل شئ من أقدم مـا كتـب وحتى أحدث ما يكتب، إن هذه الحركة النقديـة مـن الممكن أن يقال إنها حركة النقد البنيوي، واعتقـد أن الحركة البنيوية قاربت على نهايتها، أنهـم يدرسـون هناك الأعمال الكبيرة وهذا النقد البنيوي ليس جديـداً ولكنه بدأ في فرنسا في الخمسينات ووصل إلى أمريكا في السبعينات والنقد البنيوي يحول العمل الفني إلـى فئات من أنواع مختلفة سواء كانت لغوية أم فكرية ثم


محاولة إيجاد الروابط بين هذه الفئات، أنها تتعامل مع قسم كبير من العناصر التي تكون بنية العمل الأدبـي وكل عنصر يبدو كلغة أخرى وتكاد أن تكـون مثـل الشفرة وعند ترجمة الشفرة هذه تتوصل إلى معـاني إنسانية قد لا تكون واردة حتى في ذهن الكاتب نفسـه خلال العلمية الإبداعية نفسها، ولذلك فإنها تعتمد كثيراً على الأيديولوجيا وهي مدرسة أنثربولوجيـة تعتمـد على علم النفس التحليلي، هناك في أمريكـا الكلمـة المكتوبة تتعرض لخطر رهيب من وسـائل الإعـلام الحديثة خاصة من الإذاعة المرئية والكلمة المكتوبـة تتراجع، وأنا عائد ولدي إحساس ما بأنها ربما كانـت تخوض معركتها الأخيرة ولكن ارتفاع نسبة المتعلمين هناك يجعل الخطر أقل إذا قورن بالخطر عندنا هنـا، فالأمية لدينا لا تقارن بنسبة تواجدها في أي مكان من عالم اليوم في أوروبا الوضع يختلـف، لا يمكـن أن نقول بشكل مطلق أن الكلمة المكتوبة تتعرض لخطر ما لأن الكلمة المكتوبة في حد ذاتها لا تعني أحداً، إن هناك من الوعي ما يجعل الأساس هو: مـن يقـول

الكلمة المكتوبة وليس الكلمة بشكل مطلق وهناك فـي ميدان الكتاب السياسي له وجود، وهذه الحال عنـدنا أيضاً ولكنها في وطننا العربي تشكل حالـة مرضـية لأن الوطن العربي يخلو من النقاد والمعلقـين الـذين يقررون الجيد من الردئ نحن نحتاج إلى منطـق لأن العملية المنطقية اضطربت عندنا.

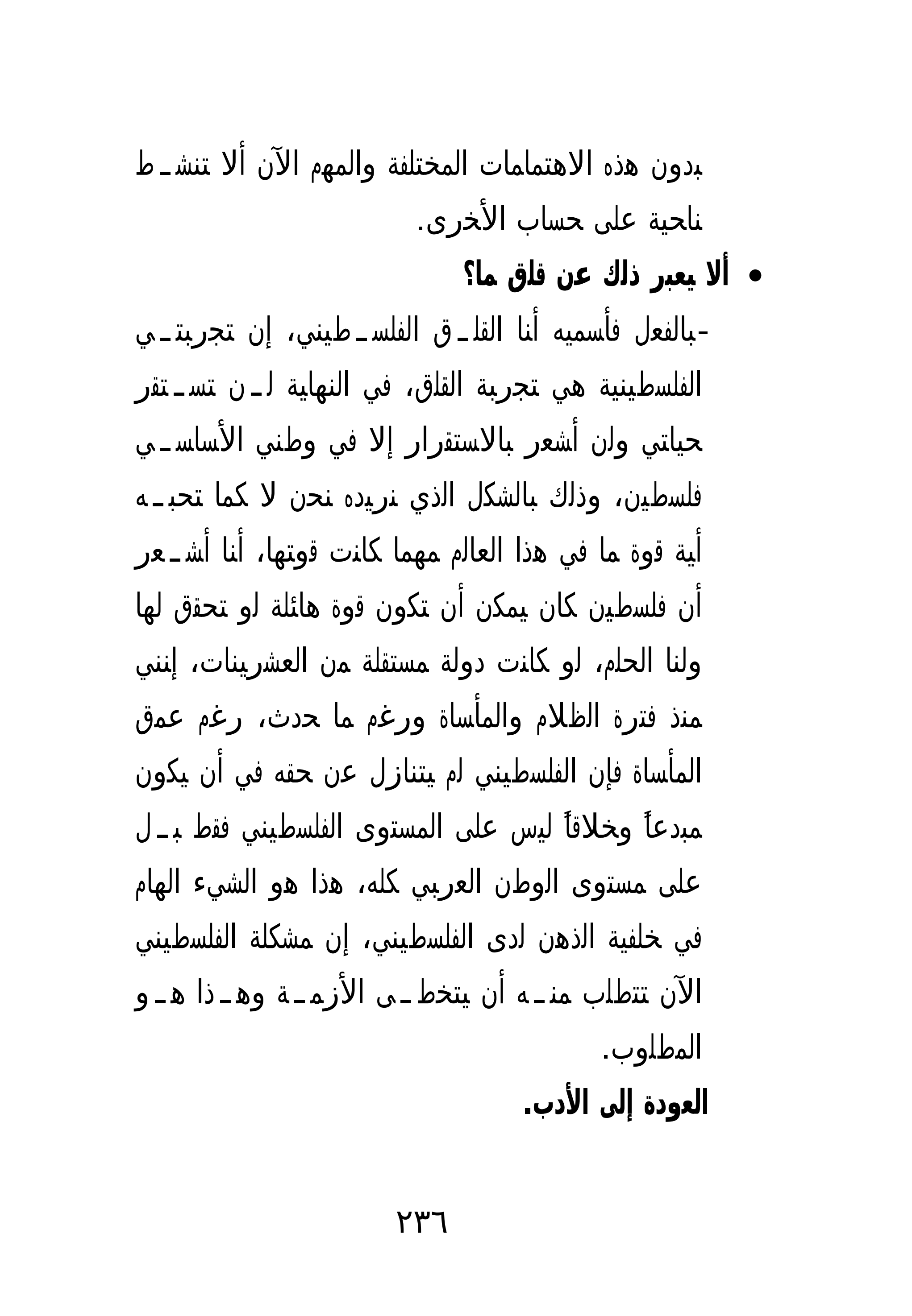
القلق الفلسطيني

- **ماذا تفعل هذه الأيام؟**

-انتهيت من روايتي الجديدة «البحث عن وليد مسعود» وستصدر قريباً وكان لدي ديوان من الشعر عنوانـه «لوعة الشمس» وهو لم يصدر بعد وفي الوقت نفسه أجمع مقالاتي النقدية التي نشرت متفرقة ولم تصـدر بعد في كتاب.

- **ألا يعد ذلك اهتمامات متفرقة؟**

-أشعر أن كل ناحية مـن حيـاتي تعززهـا الناحيـة الأخرى وتغذيها، لقد أتيت إلى هذه الدنيا وأنا متعـدد الجوانب والاهتمامات وأنا الآن لا أستطيع أن أعـيش



بدون هذه الاهتمامات المختلفة والمهم الآن ألا تنشـط ناحية على حساب الأخرى.

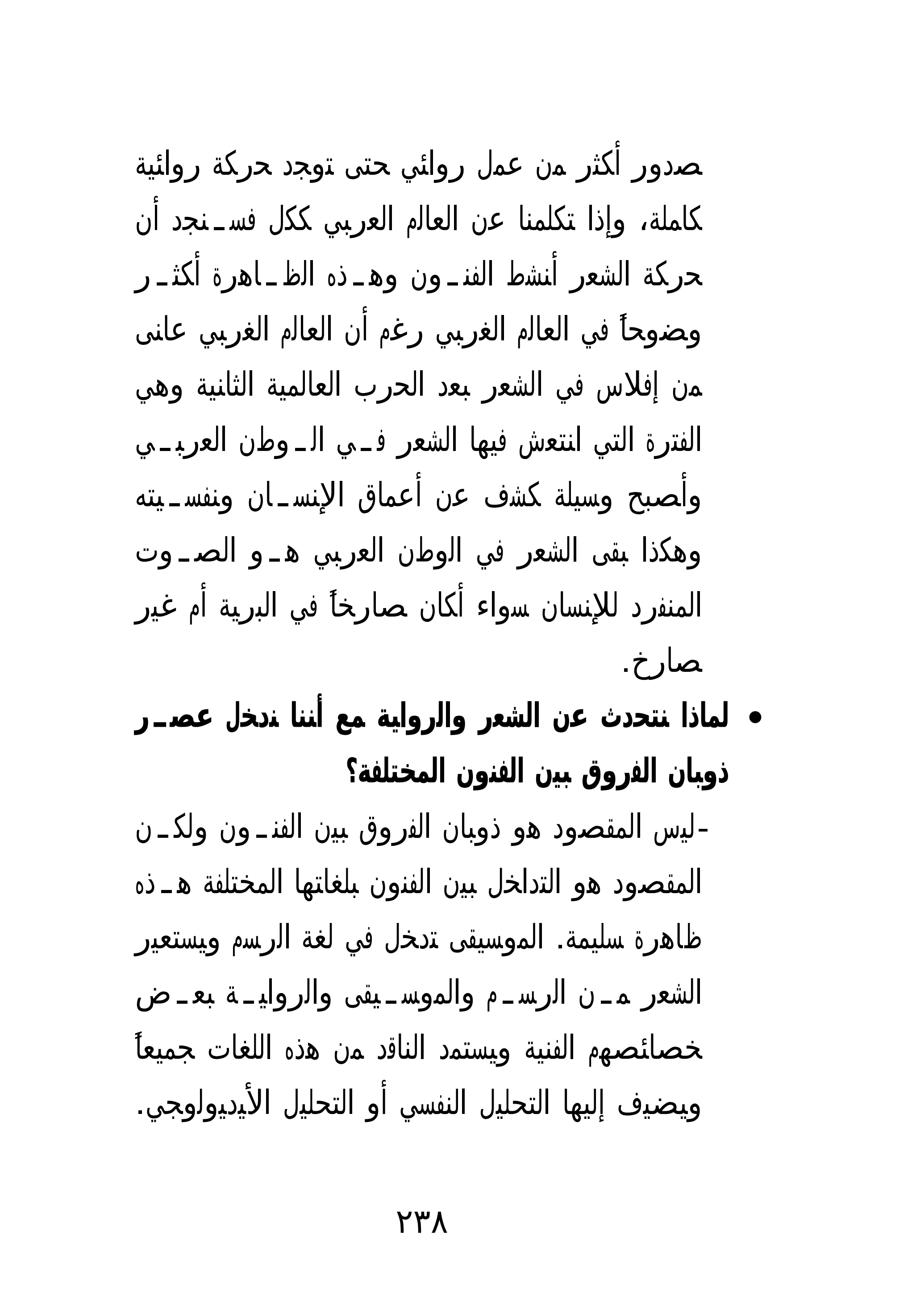
- **ألا يعبر ذلك عن قلق ما؟**

-بالفعل فأسميه أنا القلـق الفلسـطيني، إن تجربتـي الفلسطينية هي تجربة القلق، في النهاية لـن تسـتقر حياتي ولن أشعر بالاستقرار إلا في وطني الأساسـي فلسطين، وذلك بالشكل الذي نريده نحن لا كما تحبـه أية قوة ما في هذا العالم مهما كانت قوتها، أنا أشـعر أن فلسطين كان يمكن أن تكون قوة هائلة لو تحقق لها ولنا الحلم، لو كانت دولة مستقلة من العشرينات، إنني منذ فترة الظلام والمأساة ورغم ما حدث، رغم عمق المأساة فإن الفلسطيني لم يتنازل عن حقه في أن يكون مبدعاً وخلاقاً ليس على المستوى الفلسطيني فقط بـل على مستوى الوطن العربي كله، هذا هو الشيء الهام في خلفية الذهن لدى الفلسطيني، إن مشكلة الفلسطيني الآن تتطلب منـه أن يتخطـى الأزمـة وهـذا هـو المطلوب.

العودة إلى الأدب.

- **لماذا كان الشعر هو الفن الأول الذي عبر عن مأساة الفلسطيني؟**

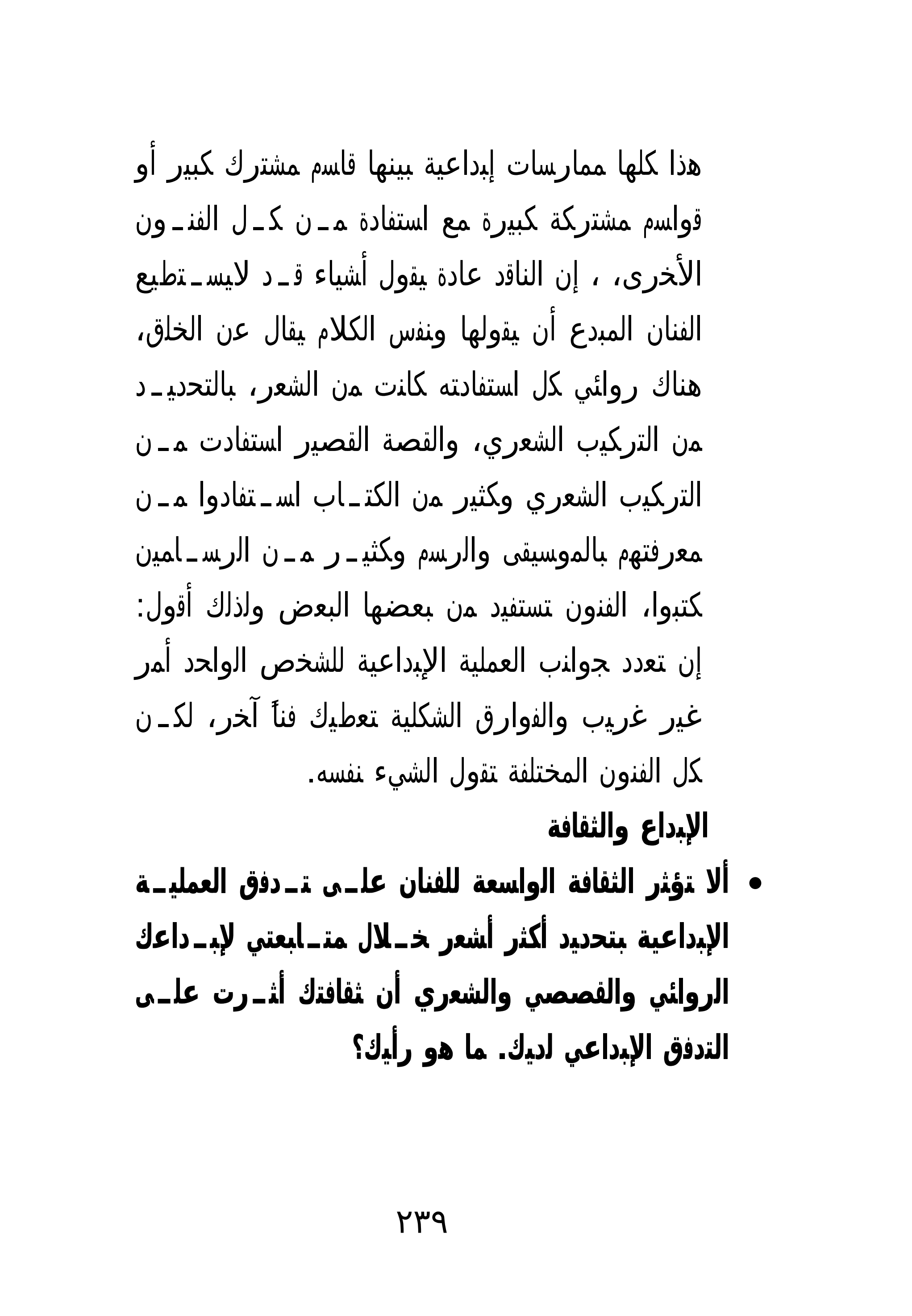
-هذا سببه في تصورى أننا – نحن العرب – أتقنا فن الشعر بصورة أكثر نضجاً من الفنون الأخرى، وربما كان التصور النظري أن الرواية قد تكون أقرب إلى التعبير عن المأساة من الشعر ولكننا لم نتقن فن الرواية بنفس الدرجة التي أتقنا بها فن الشعر، الفن الروائي عندنا في مراحله الأولى ، نحن ما زلنا نتعلم كيف نكتب رواية هذا مع احترامي لكل الأخوة المصريين، هذا فضلاً عن أن العربي يستجيب للشعر بحرارة قد لا يستجيب بها لأي فن آخر – في «السفينة» كنت أكتب رواية ومع هذا تحولت المسألة إلى نوع من التصور الشعري ومع هذا أرى أن الرواية قد تكون أقدر على تصوير القضايا العربية في المرحلة المقبلة، وعندنا عدد كبير من الشبان يحاولون الآن كتابة الرواية وليس القصة القصيرة ومع هذا فإن صدور رواية واحدة لا يكفي لكي نقول أن هناك رواية فلسطينية تعبر عن المأساة، لا بد من



صدور أكثر من عمل روائي حتى توجد حركة روائية كاملة، وإذا تكلمنا عن العالم العربي ككل فسـنجد أن حركة الشعر أنشط الفنـون وهـذه الظـاهرة أكثـر وضوحاً في العالم الغربي رغم أن العالم الغربي عانى من إفلاس في الشعر بعد الحرب العالمية الثانية وهي الفترة التي انتعش فيها الشعر فـي الـوطن العربـي وأصبح وسيلة كشف عن أعماق الإنسـان ونفسـيته وهكذا بقى الشعر في الوطن العربي هـو الصـوت المنفرد للإنسان سواء أكان صارخاً في البرية أم غير صارخ.

- **لماذا نتحدث عن الشعر والرواية مع أننا ندخل عصـر ذوبان الفروق بين الفنون المختلفة؟**

-ليس المقصود هو ذوبان الفروق بين الفنـون ولكـن المقصود هو التداخل بين الفنون بلغاتها المختلفة هـذه ظاهرة سليمة. الموسيقى تدخل في لغة الرسم ويستعير الشعر مـن الرسـم والموسـيقى والروايـة بعـض خصائصهم الفنية ويستمد الناقد من هذه اللغات جميعاً ويضيف إليها التحليل النفسي أو التحليل الأيديولوجي.



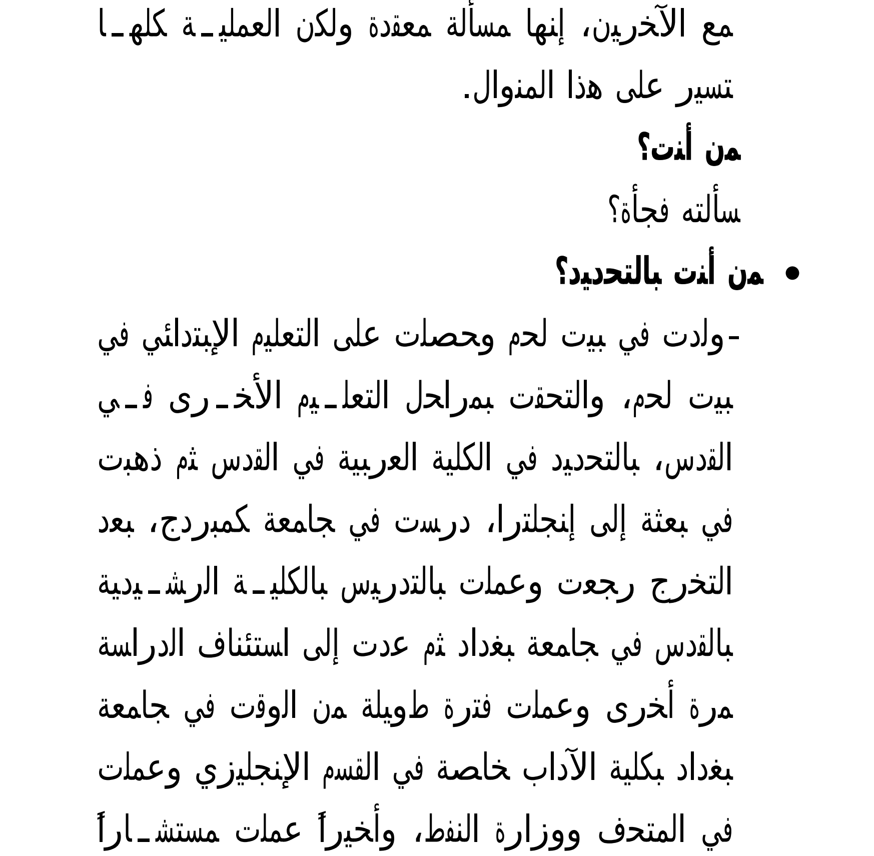
هذا كلها ممارسات إبداعية بينها قاسم مشترك كبير أو قواسم مشتركة كبيرة مع استفادة من كل الفنون الأخرى، ، إن الناقد عادة يقول أشياء قد لايستطيع الفنان المبدع أن يقولها ونفس الكلام يقال عن الخلق، هناك روائي كل استفادته كانت من الشعر، بالتحديد من التركيب الشعري، والقصة القصير استفادت من التركيب الشعري وكثير من الكتاب استفادوا من معرفتهم بالموسيقى والرسم وكثير من الرسامين كتبوا، الفنون تستفيد من بعضها البعض ولذلك أقول: إن تعدد جوانب العملية الإبداعية للشخص الواحد أمر غير غريب والفوارق الشكلية تعطيك فناً آخر، لكن كل الفنون المختلفة تقول الشيء نفسه.

الإبداع والثقافة

- **ألا تؤثر الثقافة الواسعة للفنان على تدفق العملية الإبداعية بتحديد أكثر أشعر خلال متابعتي لإبداعك الروائي والقصصي والشعري أن ثقافتك أثرت على التدفق الإبداعي لديك. ما هو رأيك؟**

-في الإبداع جانب تلقائي لا يمكن أن يكـون مفـتعلاً ولكن هذا الإبداع قـد يكـون مثقفـاً ومليئـاً بـالعلم والتجربة. من الممكن أن يكون الإنسان تلقائيا ومثقفا في نفس الوقت وكل الكتاب الكبار في تـاريخ الأدب كتبوا أدبهم عن امتلاء ثقافي، أبو نواس والمتنبي كتبا عن امتلاء حياتي ومن خلال كثافة متعددة الجوانـب تجعلهم خلاقين أنداداً من نوع خاص، إن فكرة الفصل بين التدفق الإبداعي التلقائي وبين الثقافة والعالم فكرة بدائية جداً، الإنسان الفنان يجب أن يكون متميزاً وهذا التميز لايأتي إلا من الثقافة الواسعة ثم لمـاذا نبتعـد كثيراً بهذه الصورة، إن إبداع الإنسان هـو شخصـه بنفسه الإنسان هو ما يكبت في النهاية، الأسلوب هـو الثقافة والحس والحلم والإنسان من الصعب تصـنيفه من الداخل. لا يمكن أن نخلق فاصـلاً بـين إبداعـه وثقافته. الثقافة معناها أن تأخذ العود الأعوج وتعدله، كلمة تثقيف معناها أن تجعله صالحاً للعمل، كـل مـا حصلته من الثقافة عبارة عن موروث يقـف خلـف جبرا إبراهيم جبرا، وأنا لا أريد أن أكون إلا أنا. ولا

أحب أن أكذب على نفسي ولا على الآخرين إن هدفي الأساسي عندما أكتب هو الصدق مع النفس والصدق مع الآخرين، إنها مسألة معقدة ولكن العمليـة كلهـا تسير على هذا المنوال.

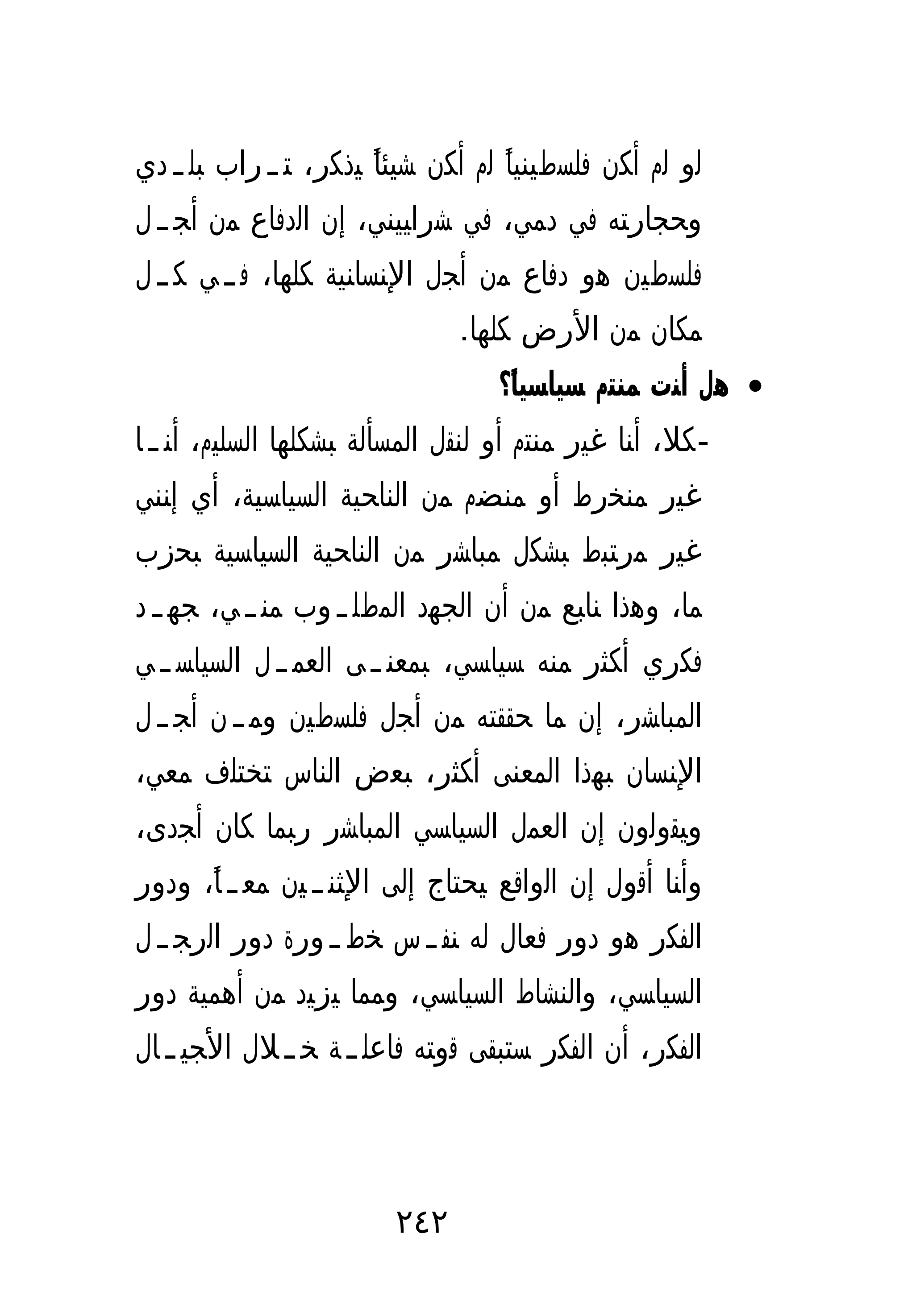


من أنت؟

سألته فجأة؟

- **من أنت بالتحديد؟**

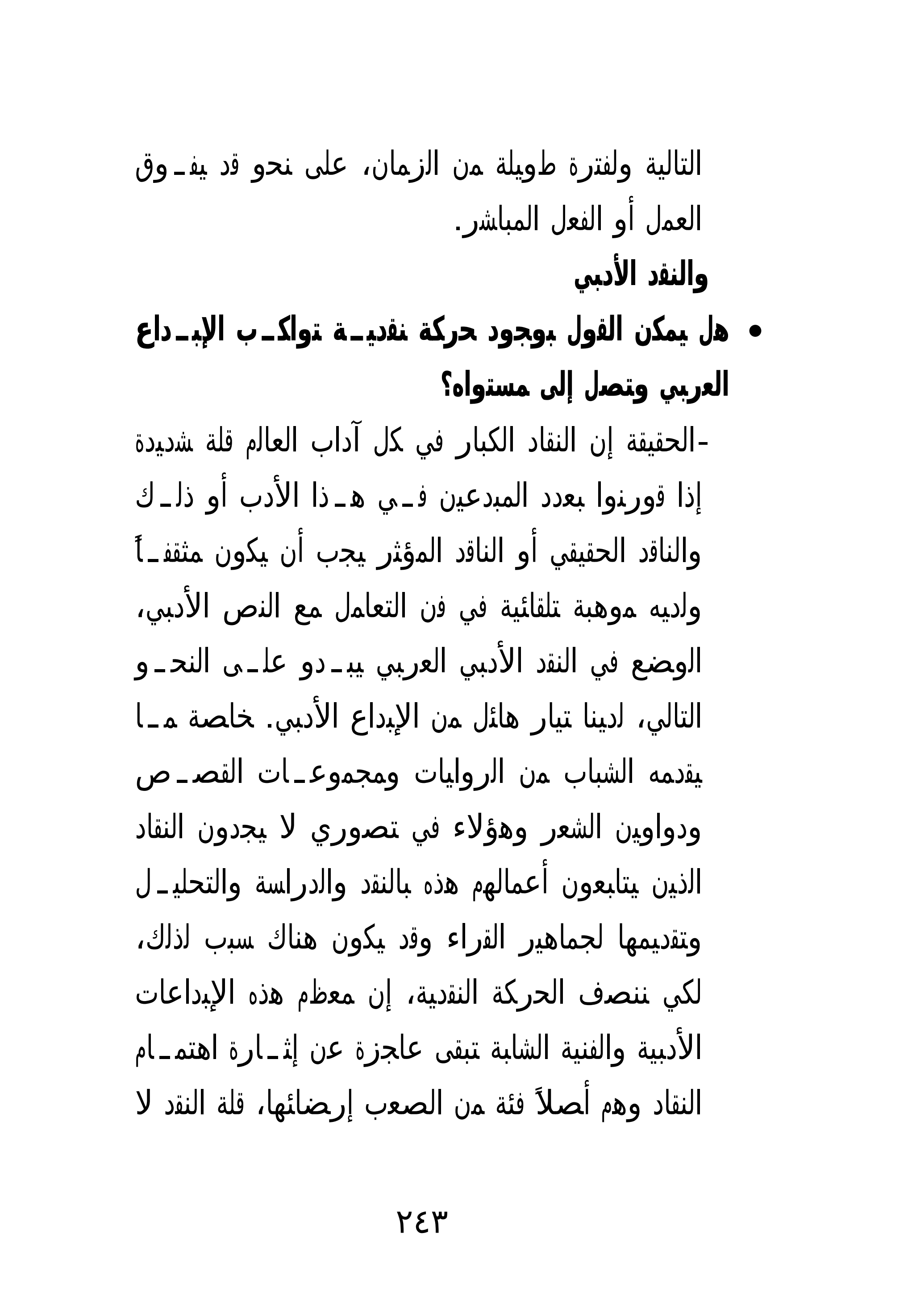
-ولدت في بيت لحم وحصلت على التعليم الإبتدائي في بيت لحم، والتحقت بمراحل التعلـيم الأخـرى فـي القدس، بالتحديد في الكلية العربية في القدس ثم ذهبت في بعثة إلى إنجلترا، درست في جامعة كمبردج، بعد التخرج رجعت وعملت بالتدريس بالكليـة الرشـيدية بالقدس في جامعة بغداد ثم عدت إلى استئناف الدراسة مرة أخرى وعملت فترة طويلة من الوقت في جامعة بغداد بكلية الآداب خاصة في القسم الإنجليزي وعملت في المتحف ووزارة النفط، وأخيراً عملت مستشـاراً في وزارة الإعلام العراقية، وخلال هـذه المراحـل كانت كلمة «فلسطيني» هي كل حياتي. إنني أقول لك



لو لم أكن فلسطينياً لم أكن شيئاً يذكر، تـراب بلـدي وحجارته في دمي، في شرابيني، إن الدفاع من أجـل فلسطين هو دفاع من أجل الإنسانية كلها، فـي كـل مكان من الأرض كلها.

- **هل أنت منتم سياسياً؟**

-كلا، أنا غير منتم أو لنقل المسألة بشكلها السليم، أنـا غير منخرط أو منضم من الناحية السياسية، أي إنني غير مرتبط بشكل مباشر من الناحية السياسية بحزب ما، وهذا نابع من أن الجهد المطلـوب منـي، جهـد فكري أكثر منه سياسي، بمعنـى العمـل السياسـي المباشر، إن ما حققته من أجل فلسطين ومـن أجـل الإنسان بهذا المعنى أكثر، بعض الناس تختلف معي، ويقولون إن العمل السياسي المباشر ربما كان أجدى، وأنا أقول إن الواقع يحتاج إلى الإثنـين معـاً، ودور الفكر هو دور فعال له نفـس خطـورة دور الرجـل السياسي، والنشاط السياسي، ومما يزيد من أهمية دور الفكر، أن الفكر ستبقى قوته فاعلـة خـلال الأجيـال


التالية ولفترة طويلة من الزمان، على نحو قد يفـوق العمل أو الفعل المباشر.

والنقد الأدبي

- **هل يمكن القول بوجود حركة نقديـة تواكـب الإبـداع العربي وتصل إلى مستواه؟**

-الحقيقة إن النقاد الكبار في كل آداب العالم قلة شديدة إذا قورنوا بعدد المبدعين فـي هـذا الأدب أو ذلـك والناقد الحقيقي أو الناقد المؤثر يجب أن يكون مثقفـاً ولديه موهبة تلقائية في فن التعامل مع النص الأدبي، الوضع في النقد الأدبي العربي يبـدو علـى النحـو التالي، لدينا تيار هائل من الإبداع الأدبي. خاصة مـا يقدمه الشباب من الروايات ومجموعـات القصـص ودواوين الشعر وهؤلاء في تصوري لا يجدون النقاد الذين يتابعون أعمالهم هذه بالنقد والدراسة والتحليـل وتقديمها لجماهير القراء وقد يكون هناك سبب لذلك، لكي ننصف الحركة النقدية، إن معظم هذه الإبداعات الأدبية والفنية الشابة تبقى عاجزة عن إثـارة اهتمـام النقاد وهم أصلاً فئة من الصعب إرضائها، قلة النقد لا

تعني فترو أو عدم استجابة النقاد، ولكنها تعني أيضـا أن ما يصدر من أعمال أدبية عاجز عن تحريك الجو الأدبي والفكري، إن الكثير من هذه الأعمـال مثـل الحصى المتساقط في بركة، الحصـى الـذي يلقـي بضجر في هذه البركة، وهذا يختلف عن العمل العظيم الذي يحدث الأمواج الكبيرة وتتطاير المياه فـي كـل اتجاه وهنا لا بد وأن نجد الاستجابة ونجد من يتصدى لمثل هذه الأعمال.

ونحن الآن. على مستوى الوطن العربـي كلـه فـي انتظار هذه المعجزة.